تاريخ
الدولتين الموحدية والحفصية

تاليف

الفقيه النبيه العلامة الشيخ ابي

عبد الله محمد بن ابراهيم اللولوي

المعروف

بالزركشي رحمه الله تعالى

طبعة اولى

في مطبعة الدولة التونسية المحروسة

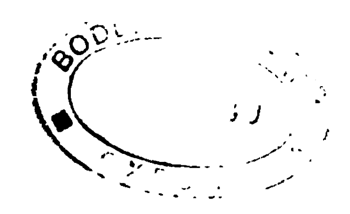
سنة ١٢٨٩

1872

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل الايام دولا * وصير بعض الناس لبعض خولا * وجعل لهم في المطامع املا * لا يبغون عنها حولا * وبعد فان الامام المهدي رحمه الله تعالى هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن عطا بن رباح بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم كذا نسبه الكاتب ابو عبد الله محمد بن نجيل في تاريخه * وحكى ابن سعيد في البيان المعرب ان والد الامام المهدي يقال له عبد الله وتومرت وآمغار وان الامام ولد سنة احدى وتسعين واربعمائة * وقال ابن خلكان سنة اربع وثمانين وقال ابن الخطيب الاندلسي سنة ست وثمانين وقال الغرناطي سنة احدى وسبعين واربعمائة وقرا بقرطبة على القاضي ابن حمدون ثم ارتحل الى المهدية واخذ عن الامام المازري ثم انتقل الى الاسكندرية وهو ابن ثماني عشرة سنة واخذ عن الامام ابي بكر الطرطوشي ثم انتقل الى بغداد واخذ عن الامام الغزالي * ولما وصل كتاب الاحياء الى المغرب اشار من اشار على الملك المتولي على لمتونة بتمزيقه فبلغ ذلك الغزالي فقال – اللهم مزق ملكهم – فقال المهدي له – على يدي يا سيدي – فقال – على يدك * فاكدت هذه الدعوة ما في علم المهدي من ذلك * فتوجه الى المغرب بعد ان اقام بالمشرق خمسة اعوام وقيل بافريقية سنة اربع عشرة وخمسمائة ومر بالمهدية فغير المنكر بها وذلك في مدة علي بن يحيى بن تميم بن المعز



الصنهاجي صاحبها وله بمدينة زويلة مسجد يعرف باسمه * قال الشيخ ابو الحسن البطرني رايت شيخنا خليلا المزدوري قال رايت الشيخ الصالح ابا عبد الله محمد الصقلي المدفون بابر من عمل مرناق احدى قرى تونس قال اجتاز علي الامام المهدي وانا اسكن بزويلة فقال لي — يا شيخ الامام ابو حامد يسلم عليك — قال البطرني وبلغني ان الصقلي عاش ثلثمائة سنة وثلث عشرة سنة * ثم ان المهدي انتقل الى تونس مدة بني خريسان الولاة عليها ثم انتقل الى بجاية وبها وال العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي وكان يجلس على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهي معروفة به الى الان وهناك لقي عبد المومن بن علي حاجا مع عمه فاعجبه فعله وثنى عزمه من سفره وشمر للاخذ عنه فارتحل الامام الى المغرب وهو معه ولحق بوانشريس وصحبه منها البربر جلة اصحابه ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فرحل الى فاس ثم الى مكناس ونهى فيها عن المنكر فلوجعه الاشرار ضربا فلحق بمراكش في منتصف ربيع الاول عام خمسة عشر وخمسمائة واقام بها ولقي اميرها علي ابن يوسف اللمتوني بالمسجد الجامع في صلاة الجمعة فوعظه واغلظ له القول ففاوض الفقهاء في شانه وكانوا ملئوا منه رعبا وحسدا لما كان ينتحل مذهب الاشعريين في تاويل المتشابه وينكر عليهم واحضر للمناظرة بمحضر علي بن يوسف فكان له الظهور عليهم فخرج وفر منهم من يومه فلحق باغمات وغير المنكر بها على عادته فاغرى به اهلها علي بن يوسف فخرج هو وتلامذته ولحق بمسيعدة ثم بهنتاتة ولقيه من اشياخهم الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي * ثم ارتحل الامام منهم الى ايكليز من بلاد هرغة فنزل على قومه وذلك كله في سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى بها رابطة للعبادة واجتمع عليه الطلبة والقبائل فعلمهم التوحيد * وكان قاضي مراكش مالك بن وهيب حذر منه الامير علي بن يوسف لانه كان حزاء ينظر في النجوم وقال له احتفظ على الدولة من الرجل واجعل على رجله كبلا

لئلا يسمعك طبلا لانه اظنه صاحب الدرهم المربع * فبعث علي بن يوسف الخيل في طلبه ففاتهم وداخل عامل السوس وهو ابو بكر بن محمد اللمتوني بعض اهل هرغة في قتله ونذرهم اخوانهم فنقلوه الى معقل امتناعهم وقتلوا من داخل في قتله * ثم دعوا المصامدة الى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين فبويع يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من سنة خمس عشرة * فاول من بايعه اصحابه العشرة تحت شجرة خرنوب وهم عبد المومن بن علي والشيخ ابو علي عمر الصنهاجي والشيخ ابو حفص عمر الهنتاتي واسماعيل بن مخلوف وابراهيم بن اسماعيل الهرغي واسماعيل بن موسى وابو يحيى بن مكيث ومحمد ابن سليمان وابو محمد عبد الله بن ملوتات وابو محمد عبد الله بن عبد الواحد المكنى بالبشير * ثم بايعه من هنتاته يوسف بن وانودين وابن يغمور وابن ياسين ومن ينتمي الى عمر بن تافراجين وجميع قبيلة هرغة ثم دخل معهم واكرموه وكنفوه ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبل الامام . وانتقل بعد بيعته بثلث سنين الى جبل تينمل فاوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وحوالى منبع وادي نفيس وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا . ثم عزم على غزو لمتونة فجمع سائر اهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم والتقى بهم فهزمهم واتبعهم الموحدون الى اغمات فلقيتهم هنالك جيوش لمتونة مع بكو بن علي بن يوسف وابراهيم بن تاعباست فهزمهم الموحدون واتبعوهم الى مراكش فنزلوا البحيرة في زهاء اربعين الفا كلهم رجالة ما بهم إلّا اربعون فارسا وقيل اربعمائة وذلك في سنة اربع وعشرين فاقاموا عليها نحو اربعين يوما محاصرين لها اشد الحصار فجمع علي بن يوسف الناس وبرز اليهم من باب ايلان فهزمهم واثخن فيهم قتلا وسبيا وفقد البشير من اصحاب المهدي وابلى في ذلك اليوم عبد المومن بن علي ابلاءً حسنا * ثم رحل المهدي عن مراكش وتوفي لاربعة اشهر بعدها في ليلة الاربعاء لثلث عشرة خلون من شهر رمضان المعظم سنة اربع وعشرين المذكورة هكذا حكاه ابن نخيل في تاريخه فكانت مدته من حين بويع تسع سنين * وحكى ابن خلدون ان المهدي توفي سنة ثنتين

وعشرين وخمسمائة والله اعلم * قال وكان حصورا لا ياتي النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة الّا ما كان من وفاقه للامامية من الشيعة في القول بالامام المعصوم ودفن بمسجده الملاصق لداره من تينمل * وكتم اصحابه موته و بايعوا منهم بعده الشيخ ابا علي عمر الصنهاجي عرف الصناكي ثم قال لهم بعد ايام — هذا هو الذي عهد اليه الامام — يعني عبد المومن بن علي فبويع وملك كثيرا من بلاد المغرب وقام بامر الموحدين وانفذ الغزاة واجمع على غزو بلاد المغرب فغزا غزوته الطويلة من سنة اربع وثلثين الى سنة احدى واربعين خرج اليها من تينمل وخرج تاشفين ابن علي بن يوسف ابن تاشفين صاحب مراكش والناس يفرون منه الى عبد المومن واشتعلت نار الفتنة وامتنع الرعايا من الغرم * وتوفي في خلال ذلك علي ابن يوسف صاحب مراكش في ثالث رجب سنة سبع وثلثين وهو الذي احدث مراكش في سنة عشرين وخمسمائة وادار سورها وبنى سقايتها وجامعها وقصر امارتها وجعل دورها سبعة اميال وكانت قبل ذلك شعراء يسكنها البربر فاشتراها ابوه يوسف بن تاشفين منهم بسبعين درهما وبنى فيها مسجدا بالطوب وامر البربر بسكناها فعملوا فيها خوصا وسكنوها الى زمن بنائها * وزحف عبد المومن بمن معه من تلمسان الى وهران ففجا لمتونة بعسكره فقهرهم ونجا تاشفين الى رابطة هناك واختفى فيها حتى جن الليل ثم خرج منها وما زال فارا حتى تردى عن فرسه من بعض حافات الجبل فهلك لسبع وعشرين خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلثين * وبعث عبد المومن براسه الى تينمل ولجا فل العسكر الى وهران فانحصروا مع اهلها حتى جهدهم العطش فنزلوا جميعا على حكم عبد المومن يوم الفطر من تلك السنة فامر بتخريب بلدهم وهدمها * ثم بعث لفتح تلمسان وزحف على فاس فاتته بها بيعة اهل سبتة فولى عليهم يوسف ابن مخلوف الهنتاتي ومر بسلا ففتحها * ثم وصل الى مراكش فحصرها تسعة اشهر واميرها اسحاق بن علي بن يوسف بويع صبيا صغيرا عند بلوغ خبر اخيه * وبعد طول الحصار جهدهم الجوع فبرزوا الى مدافعة

الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون ففتحوا عليهم المدينة اواخر شوال سنة احدى واربعين ونجا اسحاق بين يدي عبد المومن فقتله الموحدون في ثامن عشر شوال واستولى عبد المومن على جميع بلاد المغرب وانقضت منها دولة لمتونة * وقدم على عبد المومن وفد اشبيلية بمراكش يقدمهم القاضي ابو بكر بن العربي بعد قتل ولده عبد الله في فتح اشبيلية فقبل طاعتهم وانصرفوا بالجوائز والاقطاعات لجميع الوفد سنة ثنتين واربعين وخمسمائة * وتوفي القاضي ابو بكر في طريقه في جمادى الاخرة سنة ثنتين واربعين عند وصوله الى مدينة فاس فدفن بروضة الجياش بفاس وهو ابن خمس وسبعين سنة * وقيل توفي في سابع ربيع الاول وقيل في ربيع الاخر سنة ثلث واربعين قاله ابن حبش يقال انه سم ما بين فاس وسبتة * قال ابن الدباغ بقي يفتي اربعين سنة * وفي سنة ثنتين واربعين المذكورة توفي القاضي الامام ابو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية مفسر القرءان العظيم * وقال الغبريني في عنوانه توفي سنة احدى واربعين - سمعت شيخنا القاضي المفتي احمد بن محمد القلجاني يحكي ان بعض الادباء دخل محلة عبد المومن فوجد اهل المرية يشكون قاضيهم الامام ابا محمد عبد الحق بن غالب وينسبونه الى الزندقة قال فانشد بقوله -

قالوا تزندق عبد الحق قلت لهم والله ما كان عبد الحق زنديقا

اهل المرية قوم لا خلاق لهم يفسقون قضاة العدل تفسيقا

وفي ليلة الجمعة سابع جمادى الاخرة من سنة اربع واربعين وخمسمائة توفي بمراكش القاضي ابو الفضل عياض * وقيل في شهر رمضان * وقال ابن سعيد سنة ثنتين واربعين * وبالاول قال ابن عات والتجاني ومولده بسبتة في منتصف شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة قاله ابن بشكوال وحفيده * وقال ابن سعيد سنة خمس * وولي القضاء بسبتة سنة خمس وعشرين ثم انتقل الى قضاء غرناطة في صفر سنة احدى وثلثين وصرف عنها في شهر رمضان سنة ثلث وثلثين واعيد لقضاء سبتة سنة تسع وثلثين *

وذكر ابن المعلم انه تولى قضاء قرطبة ولم يطل مقامه بها ثم اعاد مقامه بها ثم اعيد الى بلده * ولما اجتمع بالخليفة عبد المومن وجده قد تغير عليه فاستعطفه بالمنظوم والمنثور حتى رق له وعفا عنه فلازم مجلسه الى ان رده بحضرة مراكش فلما وصلها بقي ثمانية ايام وتوفي بها * ومن نظمه في صيفية باردة —

كان كانون اهدى من ملابسه　لشهر تموز انواعا من الحلل
ام الغزالة من طول المدا خرفت　فما تفرق بين الجدي والحمل

ومن نظمه يصف خامة الزرع امالتها جيوش —

انظر الى الزرع وخاماته　تحكي وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة　شقائق النعمان فيها جراح

ولما نهض عبد المومن للجهاد واحتل بسلا قدم عليه هنالك وفد الاندلس سنة ثلث وخمسين وفيهم حفصة الاديبة المعروفة بابنة الحاج الركوني وكان سمع عنها وعما توصف به من الجمال الباهر والادب الظاهر فامر باحضارها فاحضرت فقال لها — انت حفصة الشاعرة — فقالت — نعم خادمتك وصلت لتتبرك بغرتك السعيدة — ودنت فقبلت يده ثم انشدته تستدعي منه ظهير الموضع فسالت عنه فقالت —

يا سيد الناس يا من　يامل الناس رفده
امنن علي بصك　يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه　الحمد لله وحده

فاعجب عبد المومن بها ووقع لها بالقرية المعروفة بركونة واليها تنسب فعاشت عيش الملوك * ونزل عبد المومن المهدية في ثاني عشر رجب من سنة اربع وخمسين وخمسمائة ومعه الحسن بن علي الصنهاجي صاحبها فلما عاين ابراجها الشامخة من جهة البر ركب في سفينة وطاف بها من جهة البحر وقال للحسن — نزلت عن هذا المعقل العظيم — فقال — قلة من يوثق به من الرجال وعدم القدرة وحكم القدر * وكان النصارى قد اخلوا مدينة

زويلة فامر عبد المومن بادخال اسواق المحلة اليها وان يدخل من اهل المحلة من يعمرها فصارت من حينها مدينة عامرة فكان عبد المومن يقعد في فسطاطه نهاره بالمحلة ويبيت الليل بدار داخل زويلة * وحاصر المهدية برا وبحرا ولما دخل بمن معه حصن المهدية واقام بالمدينة شعار الاسلام امر باصلاح ما ثلم من سورها بعد حصار ستة اشهر * وكان دخوله اليها في المحرم من سنة خمس وخمسين وخمسمائة * وقدم عبد المومن على المهدية محمد بن فرج الكومي وترك معه الحسن بن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها * ووفد على عبد المومن شيخ صفاقس عمر بن ابي الحسن الفرياني بعد ان غدر بالنصارى الذين كانوا بصفاقس وملكها . ووفد عليه ايضا ابن مطروح شيخ طرابلس بعد ان قام على النصارى الذين بها فاحسن اليهما عبد المومن واكرم مثواهما * ووفد عليه ايضا يحيى بن تميم ابن المعتز بن الرند صاحب قفصة وكان بطلا مشهورا وولده كذلك وهما من مغراوة من سكان نفزاوة فاكرمه عبد المومن ووصله وامره بالانتقال الى بجاية بحاشيته واهله فانتقل ومعه جده المعتز وهو هرم اعمى فاقاموا ببجاية برهة من الدهر وتوفي المعتز الاعمى ثم عاد ملكهم بعد ذلك الى قفصة * ودخل في طاعة عبد المومن جميع ثوار افريقية منهم صاحب بنزرت عيسى بن مقرب ابن طراد بن الورد اللخمي * ودخل في طاعته منيع بن بزوكش الصنهاجي صاحب زرعة وطبربة * ولابيه خبر عجيب خلاصته انه كان من فرسان صنهاجة وكانت اخته عند العزيز بن المنصور صاحب بجاية وكان العزيز يسامره فجعل العزيز ليلة يفخر بما له ولابائه من الملك فجعل بزوكش يصف ما جرى له من المواقف والقبائل ثم يتمثل بهذا البيت —

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيولا

فاحتملها له العزيز واضمر الايقاع به ففهمت ذلك اخته وارسلت اليه — احقدت ملكا وتقيم في بلده انظر لنفسك — فهرب ولحق بباجة فاكرمه شيخها وبعثه علي زرعة * وكذلك ورد عليه محمد بن عمر التيفاشي وانشد .

ما هز عطفيه بين البيض والاسل   مثل الخليفة عبد المومن بن علي
وكانت السنة التي فتح فيها عبد المومن بن علي المهدية تسمى سنة
الاخماس لانها سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وانصرف عبد المومن الى
المغرب وولى على افريقية ولده ابا اسحاق ابراهيم وعلى تونس الشيخ
ابا محمد عبد الله بن ابي يرفيان الهرغي * وولى على اعمالها المخزنية ابا
حفص عمر بن فاخر العبدري * واحضر امراء العرب واحلفهم في مصحف
عثمان بن عفان على السمع والطاعة والسير معه الى الاندلس لقتال العدو فلما
ساروا نكثوا ايمانهم * وانشد قاضي تونس ابو الحسن علي بن احمد الابي
بعد وقعة وقعت في الاعراب وهزيمة في خبر يطول

ولى الشباب امام الشيب منهزما   فذا يصول وذا يشتد في الهرب

ولما كانت سنة ثمان وخمسين استدعى عبد المومن ولده ابا يعقوب يوسف
من الاندلس لمراكش لولاية العهد عوضا من اخيه محمد فلحق بمراكش
وخرج مع ابيه للجهاد فادركت عبد المومن منيته بسلا فتوفي في ليلة
الخميس العاشر لجمادى الاخرة من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن
بتينمل بازاء قبر المهدي وكانت خلافته ثلثة وثلثين عاما وثمانية اشهر
ونصفا وخلف ستة عشر ذكرا وبنتين * فولي بعده ولده وولي عهده ابو
يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي * وفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة
توفي السيد الوزير ابو حفص عمر بن عبد المومن . ثم بلغ الخليفة يوسف
المذكور ان علي بن المعز ويعرف بالطويل من اعقاب بني الرمز ملوك
قفصة قد ثار بها سنة خمس وسبعين فرحل الخليفة اليها من مراكش فوصل
الى بجاية وسعى عنده بعلي بن المنتصر فقبض عليه واخذ ما بيديه * ورحل
الى قفصة فنازلها ووفدت عليه مشيخة العرب من رياح بالطاعة فقبلهم ولم
يزل محاصرا لقفصة الى ان نزل علي بن المعز على حكمه وانكفا راجعا الى
تونس فعقد على افريقية والزاب للسيد ابي علي اخيه وعلى بجاية للسيد
ابي موسى * وقفل الى مراكش ونهض سنة سبع وسبعين الى سلا واتاه بها

ابو محمد بن اسحاق بن جامع من افريقية بحشود العرب * وفي السنة المذكورة عقد الخليفة للقاضي ابي الوليد بن رشد الحفيد على القضاء بقرطبة * ثم جاز الخليفة البحر من سبتة في صفر من سنة ثمانين وخمسمائة فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية ورحل غازيا الى شنتين فحاصرها اياما ثم اقلع عنها واسحر الناس يوم اقلاعه فخرج النصارى من الحصن فوجدوا الخليفة في غير اهبة فابلى بالجهاد هو ومن حضره وانصرفوا بعد جولة شديدة وهلك الخليفة في ذلك اليوم من سهم اصابه في ساعة القتال * وفيه يقول ابن الخطيب رحمه الله تعالى

فرزق الشهادة المعلومة كانت بها اعماله مختومة

وقيل من مرض طرقه وذلك في يوم السبت الثامن عشر من ربيع الاخر سنة ثمانين وخمسمائة ودفن برباط الفتح فكانت خلافته احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام وخلف من البنين ثمانية عشر ولدا ذكرا . فتولى بعده ولده ابو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي مولده في العشر الاواخر من ذي الحجة سنة اربع وخمسين بويع بالمحلة بعد وفاة والده ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص واستنفر الناس للغزو مع اخيه السيد ابي يحيى فاخذ بعض الحصون واوغل في بلاد الكفار * ثم جاز يعقوب المنصور في البحر الى مراكش ولما دخلها قطع المناكير واقام العدل وباشر الاحكام وكان من اهل العلم والتوقيع في الجواب باحسن توقيع طلب يوما من قاضيه ان يختار له معلما او معلمين لتعليم ولد عنده وضبط اوامره فجاءه برجلين وكتب له رقعة يصفهما له ـ احدهما هو بر في دينه والاخر هو بحر في علمه ـ فاختبرهما السلطان بنفسه فاكذبهما في اختباره ووجدهما ليس كما قال القاضي فكتب على رقعة القاضي ـ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر والبحر ـ وهذا من التوقيع الغريب في الاجادة . وفي صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة قدم علي بن اسحاق

ابن محمد ابن غانية الميورقي من ميورقة في البحر الى بجاية ومعه اخوته في اثنتين وثلثين قطعة فنزلوا بجاية على حين غفلة من واليها حينئذ السيد ابي عبد الله محمد بن عبد المومن وكان خارجها في بعض مذاهبه فاستولى عليها * وفي سنة احدى وثمانين توفي الفقيه القاضي الامام الشهير ابو محمد عبد الحق الاشبيلي ببجاية وقيل في سنة اثنتين وثمانين وهو صاحب الاحكام والعاقبة وغيرهما * ولما اتصل بالخليفة يعقوب المنصور ما نزل بافريقية نهض من مراكش سنة ثلث وثمانين لحسم هذا الداء فوصل الى تونس واستراح بها ثم سرح في مقدمته السيد ابا يوسف يعقوب بن ابي حفص بن عبد المومن فلقيهم ابن غانية فانهزم الموحدون واخذت اسلابهم . ورحل المنصور الى ابن غانية وقراقوش فاوقع بهما في ظاهر الحامة في شعبان وافلت ابن غانية وقراقوش وبادر اهل قابس وتسلموا من كان عندهم من الموحدين وحملوا الى مراكش . وقصد المنصور توزر فبادر اهلها بالطاعة ثم رحل الى قفصة فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فقتل من كان بها من الحشود وامن اهل البلد في انفسهم وجعل املاكهم بيدهم على حكم المساقاة * ثم غزا العرب وقتل كثيرا منهم وقفل الى المغرب سنة اربع وثمانين وخمسمائة وعقد على افريقية للسيد ابي زيد بن ابي حفص بن عبد المومن * وفي حدود عام تسعين وخمسمائة توفي الشيخ الصالح الولي القطب ابو مدين شعيب بن الحسن الاندلسي ببلد تلمسان بالموضع المعروف بالعباد ودفن هنالك وكان قاصدا من بجاية لمراكش لاستدعاء الخليفة له لما اشتهر من امره ببجاية * وفي سنة خمس وتسعين امر المنصور اليهود بعمل الشكلة وجعل قمصهم طول ذراع في عرض ذراع وجعل لهم برانس وقلانس زرقا * واختلف في موته رحمه الله فقيل في اوائل سنة خمس وتسعين وخمسمائة طرقه المرض الذي كان فيه حمامه فاوصى وصيته المشهورة ثم توفي في ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بمجلس سكناه من مراكش ثم نقل الى رابطة تينمل * وقيل انه خرج من

الخلافة فرابط ببلاد الاندلس * وقيل انه مشى حاجا قاله ابو سعيد اخبرني الحاج ابن مزينة قال اخبرني بعض المشارقة ان قبر يعقوب المنصور ملك المغرب ببلد الشام يتبرك به والله اعلم * فكانت خلافته اربع عشرة سنة واحد عشر شهرا واربعة ايام وخلف من الولد ثمانية ذكور * فتولى بعده ولده ابو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي بويع يوم وفاة والده وتلقب بالناصر لدين الله . واستوزر ابا زيد بن ابي حيان وهو ابن اخي الشيخ ابي حفص ثم استوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص . واتصل الخبر بالناصر بمراكش بحلول ابن غانية بافريقية فادهم افريقية خائفا من الفتنة فرحل اليها سنة احدى وستمائة وبلغ ابن غانية خبر بجيشه فوجه ذخائره الى المهدية وكان الوالي عليها ابن عمه علي ابن الغازي وخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب واعطوه الرهين على الظاهرة ونازل طرة من حصون نفزاوة فاستباحها وانتقل الى حامة مطماطة . ونزل الناصر تونس ثم قفصة ثم قابس وتحصن منه ابن غانية في جبل دمر فرجع الى المهدية عنه وعسكر بها واخذ في حصارها . وسرح الشيخ ابا محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص لقتال ابن غانية في اربعة الاف من الموحدين سنة ثنتين وستمائة فلقيه بجبل تاجر من نواحي قابس فهزمه الشيخ ابو محمد وقتل اخاه جبارة بن اسحاق واخذ جميع محلته واستنقذ من يده جماعة من الموحدين من معتقلهم منهم السيد ابو زيد الذي كان واليا بتونس ودخل عليه ابن غانية بها . ولم يزل الناصر محاصرا المهدية حتى فتحها يوم السبت السابع والعشرين لجمادى الاولى سنة ثنتين وستمائة بتسليم صاحبها علي ابن الغازي ابن عم ابن غانية فقبل الناصر علي بن الغازي واكرمه ولم يزل معه الى ان استشهد * وولى الناصر المهدية لمحمد بن نعمون من الموحدين ورحل الى تونس فاقام بها حولا الى منتصف سنة ثلث وستمائة وسرح اثناء ذلك اخاه السيد ابا اسحاق ليتتبع المفسدين فسار الى ان دوخ ما وراء طرابلس وشارف ارض

سرت وبرقة وانتهى الى سويقة ابن مذكور . وفر ابن غانية الى صحراء برقة وانقطع خبره وانكفا السيد ابو اسحاق راجعا الى تونس . وعزم الناصر على الرحيل الى المغرب فنظر في من يوليه افريقية فوقع اختياره على وزيره الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص فعقد له على ذلك سنة ثلث وستمائة بعد امتناع من الشيخ ابي محمد وبعد ان ارسل الناصر اليه ولده يوسف وقال له - اما ان تتوجه انت الى المغرب واجلس انا بافريقية واما ان تجلس انت وانصرف انا . فاجاب الشيخ ابو محمد الى ذلك على شريطة اللحاق بالمغرب بعد قضاء مهمات افريقية في ثلث سنين وعلى ان يختار من رجال الموحدين من يجلس معه ويكون عونا له في جميع ضرورياته وان لا يتعقب عليه في اموره في تولية ولا عزل . فقبل الناصر شرطه ورحل من تونس في شهر رمضان سنة ثلث فدخل مراكش في ربيع سنة اربع وستمائة واستكتب ابو محمد عبد الواحد الفقيه ابا عبد الله محمد بن احمد بن نخيل المشهود له بالجود وحسن الوساطة وحسن التدبير واصلح الاحوال ورتب الاجناد واخترع زمام التضييف للوفود . وكان يجلس كل يوم سبت لمسائل الناس وكان عالما فاضلا شجاعا محسنا ذكيا فطنا . ثم ان ابن غانية جمع العرب من الدواودة وغيرهم فجاء بهم لقتال الموحدين بتونس فخرج اليه الشيخ ابو محمد عبد الواحد مع بني عوف من سليم فالتقوا بنواحي تبسة سنة اربع وستمائة فانهزم ابن غانية ولجا الى جهة طرابلس . وكان يحيى بن غانية اذا راى احوال افريقية وما آلت اليه من امر العجاج وسكون الهياج يتمثل بقول القائل في الحجاج

وقد كان العراق له اضطراب ... فثقف امره باخي ثقيف

ثم ان الناصر صرف وجهه الى الجهاد بالاندلس في عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ولما احتل رباط الفتح من سلا اخترمته منيته فانحل القوم وتفرقت الجموع . وكانت وفاته يوم الثلثاء العاشر لشعبان من سنة عشر وستمائة وكان سبب وفاته من كلب عضه في رجله فكانت خلافته خمس عشرة

سنة واربعة اشهر وتسعة عشر يوما وخلف والدين يوسف ويحيى .
فتولى بعده الخلافة ولده يوسف ابن ابي عبد الله محمد الناصر بن يعقوب
ابن يوسف بن عبد المومن بويع يوم وفاة ابيه وسنه عشرة اعوام ولقب
بالمنتصر بالله وغلب عليه ابن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بامره وتاخرت
بيعة ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص لصغر سنه . ثم وقعت المكاتبات
من الوزير ابن جامع وصاحب الاشغال عبد العزيز بن ابي زيد حتى
وصلت بيعة الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص . وفي عام عشرة
وستمائة كان ابتداء بني مرين بعد مولد ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق
بسنة واحدة وكانوا نحو اربعمائة فارس . وفي يوم الخميس اول المحرم فاتح
عام ثمانية عشر وستمائة توفي الشيخ ابو محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي
حفص بتونس ودفن بقصبتها بعد صلاة الصبح ولم يوجد بتركته الّا خرائط
يسيرة مكتوب على كل واحدة « قبرة » اشارة الى ان ذلك المال مما خلف
من سهامه السلطانية بقبرة وهي قرية من قطر قرطبة وكان كلما وصله
شيء من ذلك جمعه ووجه به الى الحرمين الشريفين . وتولى بعده السيد
ابو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المومن . ولما توفي الشيخ ابو محمد قام
ابن غانية واشتهر نفاقه وكثر فخرج اليه السيد ابو زيد وتزاحفوا بظاهر تونس
في اوائل سنة احدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه وامتلأت ايدي
الموحدين بالغنائم وكان لهوارة واميرهم يومئذ شاب اسمه حناش في هذه
الزحفة اثر مذكور . وكان بلغ السيد ابا زيد المشمر وهو اذ ذاك بالقيروان
مهلك ابيه بتونس فانكفا راجعا الى تونس . وكان مهلك ابيه بتونس في
شهر شعبان من سنة عشرين وستمائة . وتوفي المنتصر في يوم السبت من
ذي الحجة من ذلك العام مسموما سمه الوزير ابو سعيد ابن جامع مع الفتى
مسرور كذا ذكره في ترجمان العبر . وذكر ابن الخطيب الاندلسي انه كان
مولعا بالحيوان ونتاج الحيوان فتوسط يوما قطيعا من البقر فانكرته احدى طغاتهن
فطعنته فاتت عليه . فكانت خلافته عشر سنين واربعة اشهر ويومين . فتولى

بعده عم ابيه ابو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المومن وهو اخو المنصور وهو المعروف بالمخلوع وذلك انه لما توفي المنتصر اجتمع ابن جامع والموحدون بمراكش فبايعوا له فقام بالامر وكتب لاخيه ابي العلاء بتجديد الولاية على افريقية . وخلع الموحدون بمراكش الخليفة ابا محمد عبد الواحد يوم السبت الموفى عشرين من شعبان سنة احدى وعشرين وستمائة فكانت ولايته ثمانية اشهر وتسعة ايام . وبعث الموحدون ببيعتهم الى العادل صاحب مرسية وهو ابو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي . ولما بلغت البيعة للعادل وبلغه كتاب الوزير ابي زكرياء يحيى الشهيد ابن الشيخ ابي حفص رحمه الله تعالى بنقض بيعة المخلوع وفراق جماعته وجعل ذلك لغيره للبياشي وانتقاض البياشي عليه ودعوته لنفسه وشغل شانه بعث اليه اخاه ابا العلاء لحصاره . وجاز العادل الى العدوة وفوض امر الاندلس الى اخيه ابي العلاء . ولما كان بقصر المجاز لقيه ابو محمد عبد الله المعروف بعبو ابن الشيخ ابي حفص فساله عن الحال فانشد متمثلا

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليه منها تائبا

فاستحسنه لموافقته للحال اذ العادل هو ابن منصور فولاه افريقية . وكتب للسيد ابي زيد المشمر ابن عمه ابي العلاء ادريس بالقدوم عليه بمراكش فارتحل ووصل ابو محمد عبد الله عبو المذكور لتونس وبين يديه اخوه المولى الامير ابو زكرياء يحيى في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة من عام ثلثة وعشرين وستمائة . فلما استقر بتونس عهد لاخيه المولى ابي زكرياء يحيى المذكور على مدينة قابس واضاف اليها الحامة وسائر تلك البلاد وعقد لاخيه ابي ابراهيم على توزر ونفطة وسائر بلاد قسطيلية . فلم يزل المولى ابو زكرياء واليا على قابس واعمالها الى ان وقعت بينه وبين اخيه ابي محمد عبو وحشة فعزله بسببها من قابس واعمالها وامر اخاه ابا ابراهيم صاحب قسطيلية بالسير الى قابس والقبض عليه فسار اليه . فبلغه في اثناء طريقه ان المولى

ابا زكرياء يحيى كتب بيعته للمامون فنكب عنه الى المهدية وخاطب اخاه ابا محمد عبو بذلك . وخرج ابو زكرياء يحيى بن ابي يحيى الشهيد ويوسف بن ابي الحسن علي الى قبائلها فاتفقا على خلع العادل والبيعة ليحيى ابن الناصر وقصدوا مراكش فاقتحموا عليه القصر وانتهبوه . وقتل العادل خنقا في الثاني والعشرين لشوال سنة اربع وعشرين وستمائة فكانت خلافته من حين بويع بمرسية ثلث سنين وثمانية اشهر وعشرة ايام . وبويع بعده بمراكش ابو زكرياء يحيى المعتصم بن ابي عبد الله الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن . وكان السيد ابو العلاء ادريس المامون ابن المنصور لما بلغه انتقاض الموحدين والعرب على اخيه العادل وتلاشي امره دعا لنفسه باشبيلية فبويع بها في يوم الخميس ثاني شهر شوال سنة اربع وعشرين وستمائة وبايعه اكثر اهل الاندلس وبايع له السيد ابو زيد صاحب بلنسية وشرق الاندلس . ثم لما قدم الموحدون على العادل وقتلوه بالقصر وبايعوا يحيى ابن اخيه الناصر كاتب ابن برجان سرا وعمل على فساد الدولة فداخل هسكورة والعرب في الغارة على مراكش فغاروا عليها وهزموا عساكر الموحدين . وفطن ابو زكرياء يحيى بن ابي يحيى الشهيد لتدمير ابي زيد بن برجان فقتله في داره . وخرج يحيى ابن الناصر الى معتصمه فخلعه الموحدون بمراكش وبعثوا بيعتهم الى المامون صاحب اشبيلية وهو ابو العلا ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي . وكان الذي تولى كبر خلع يحيى ابن الناصر . وكتب البيعة للمامون الحسن القريقري وابو حفص ابن ابي حفص ابن عبد المومن . فبلغ خبرهما الى يحيى بن الناصر وابن الشهيد ومن معهما فنزلوا الى مراكش سنة ست وعشرين وستمائة وقتلوهما . وبايع للمامون اهل فاس وصاحب تلمسان محمد بن ابي زيد بن برجان وصاحب سبتة ابو موسى بن المنصور وصاحب بجاية ابن اخته ابن الاطلس . فبعث المامون الى صاحب افريقية ابي محمد عبد الله ابن الشيخ ابي محمد عبد

الواحد لياخذ له البيعة فتوقف وظن انها مكيدة عليه وقال للرسول نحن مقيمون على بيعة العادل فاذا تحققنا موته بايعنا اخاه فرجع الرسول بغير كتاب ولا جواب * وكتب للامير ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص وكان اذ ذاك واليا على قابس بالولاية على افريقية وبعزل اخيه ابي محمد عبد الله عبو لاجل امتناعه من بيعته فبادر المولى ابو زكرياء يحيى بالبيعة للمامون فاتصل ذلك باخيه ابي محمد عبد الله المذكور فخرج من تونس متوجها اليه فلما وصل الى القيروان جمع من معه من اشياخ الموحدين وعرفهم بما عزم عليه من قتال اخيه فاظهروا الكراهة لذلك لمحبتهم في المولى ابي زكرياء واعتذروا له فلم يقبل منهم وانتهرهم فقاموا قيام رجل واحد واغلظوا عليه ورجموه بالحجارة فقام اولاده دونه يقونه بانفسهم الى ان دخل فسطاطه . فوجه الناس اشياخا منهم الى المولى ابي زكرياء يعرفونه بذلك ويطلبون منه المبادرة بالوصول فبادر المولى ابو زكرياء صحبة اولئك الاشياخ وتسلم العسكر من اخيه وسار الى تونس وحمل اخاه محتاطا عليه فادخله ليلا الى القصر المعروف بقصر ابن فاخر فاعتقله فيه * وكان دخول المولى ابي زكرياء يحيى الى تونس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ولم يكن اهم لديه من القبض على ابي عمر كاتب اخيه فاخذه وبسط عليه العذاب الى ان مات ورميت جثته وكان يغري اخاه به * ثم ان الامير ابا زكرياء وجه باخيه ابي محمد عبد الله عبو الى المغرب في البحر * ثم ان المامون بعث عمالا لتونس فانف من ذلك المولى ابو زكرياء وصرفهم من حيث اقبلوا وخطب بتونس لابي زكرياء يحيى المعتصم بن الناصر وهو حينئذ المنازع للمامون في الخلافة وكتب المولى ابو زكرياء الى جميع بلاد افريقية بخلع ابي العلاء المامون * ثم اسقط المولى ابو زكرياء اسم ابي زكرياء يحيى المعتصم بن الناصر من الخطبة في بلاد افريقية واقتصر على الدعاء للمهدي والخلفاء الراشدين وكان ذلك اول درجة في الاستبداد

وذلك في اول سنة سبع وعشرين وستمائة وسمى نفسه بالامير وكتبه في صدور كتبه ولم يتعرض لذلك في الخطبة سياسة منه واختبارا لاحوال افريقية * فلما لم ير منهم انكارا استبد الاستبداد التام وعقد لنفسه البيعة العامة وذلك في سنة اربع وثلثين حسبما ياتي ذلك ان شاء الله تعالى * وفي الموفي ثلثين لشهر رمضان من سنة خمس وعشرين وستمائة عزل ابو زكرياء يحيى قاضي الجماعة بتونس طلب من السلطان ذلك وقدم عوضه ابا عبد الله بن زيادة الله القابسي * ثم ان يحيى بن الناصر زحف الى المامون فخرج اليه فهزمه وقتل من كان معه ونصب رؤوسهم بمراكش ولحق يحيى بن الناصر ببلاد هرغة وسجلماسة * وفي سنة سبع وعشرين وستمائة بويع بتونس السلطان المولى الامير ابو يحيى زكرياء ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص عمر والشيخ ابو حفص هو عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي بن احمد بن ولال بن ادريس ابن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن ياسين بن محمد بن نجبة بن كعب بن سالم بن عبد الله ابن امير المومنين عمر بن الخطاب * كذا نسبه ابن نجيل وغيره من المورخين حكاه ابن خلدون في ترجمان العبر في اخبار العرب والبربر — بويع في السنة المذكورة بتونس وبلادها * وكتب علامته بيده — الحمد لله والشكر لله — وبقي اسم المهدي في الخطبة وغيرها ولم يذكر هو اسمه في الخطبة * وكان فقيها عارفا ظريفا له شعر كثير مدون مع الجزالة في الامور وصلحت به البلاد ورخصت الاسعار وامنت الطرق وجمع من الاموال والسلاح ما لم يجمعه احد * وفي السنة المذكورة بنى المولى ابو زكرياء المصلى خارج باب المنارة بتونس وجعل له ابراجا وشرائف كانه بلد صغير ومساحته قدر مساحة بنزرت ليس بينهما طائل * ولما استقل المولى ابو زكرياء بتونس وخلع بيعة بني عبد المومن نهض الى قسنطينة في سنة ثمان وعشرين وستمائة فنزل بساحتها وحاصرها اياما ثم داخله ابن علناس في شانها ومكنه من غرتها فدخلها وقبض على واليها

وولى عليها ابن النعمان ورحل الى بجاية ففتحها وقبض على واليها وصيرهما الى المهدية معتقلين في البحر وبعث باهلهما وولدهما الى الاندلس فنزلوا باشبيلية وبعث معهما صاحبها معتقلا الى المهدية محمد بن جامع وابن اخيه جابر بن ميمون بن جامع من شيوخ مرداس بن عوف وابن ابي الشيخ ابن عساكر من شيوخ الدواودة فاعتقلوا جميعا بمطبق المهدية * وكان ابو عبد الله اللحياني ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص صاحب اشغال بجاية * فلما افتتحها اخوه المولى ابو زكرياء صار في جملته فولاه بعض الولاية الجليلة وكان يستخلفه بتونس في مغيبه * ثم ان المولى ابا زكرياء قبض على وزيره ميمون بن موسى واخذ امواله وبعث به الى قابس واعتقل فيها مدة طويلة ثم صرفه الى الاسكندرية واستوزر مكانه ابا يحيى بن ابي العلاء بن جامع الى ان هلك فاستوزر بعده ادريس ابن اخيه علي الى ان هلك فاستوزر بعده ابا زيد ابن اخيه محمد الاخير الى ان هلك * وفي ليلة الاثنين السادسة عشرة لشعبان من سنة ثمان وعشرين وستمائة توفي بتونس الشيخ الصالح ابو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي ودفن بجبانته المعروفة به بجبل المرسى بمقربة من المنارة * وفي سنة تسع وعشرين وستمائة ابتدا السلطان ابو زكرياء يحيى بنيان جامع القصبة بتونس وجدد رسوم القصبة * ولما كملت الصومعة في شهر رمضان من سنة اثنين وستمائة صعد اليها بليل واذن فيها بنفسه * وفي السنة المذكورة انتقض على المامون صاحب مراكش اخوه ابو موسى بسبتة ودعا لنفسه وتسمى بالمويد * ثم ان المامون توفي في طريقه بوادي ام ربيع في يوم السبت منسلخ ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة فكانت خلافته من حين بويع باشبيلية خمس سنين وثلثة اشهر وخلف من الاولاد الذكور اثنين عبد الواحد والسعيد * فبويع بعده ولده ابو محمد عبد الواحد بن ابي العلاء ادريس المامون بن ابي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي يوم وفاة ابيه ولقب بالرشيد وكتموا موت

ابيه واغذوا السير الى مراكش ولقيهم يحيى بن الناصر في طريقهم بعد ان استخلف بمراكش ابا سعيد بن وانودين فهزموه وقتل اكثر من معه واخذ الموحدون جيشه وسلبوا اموالهم واصبح الرشيد بمراكش فامتنعوا عليه ساعة ثم خرجوا اليه وبايعوه * وفي يوم الجمعة السابع لشهر صفر الخير من سنة ثلث وثلثين المذكورة فرغ من بناء جامع القصبة بمدينة تونس * وفي سنة اربع وثلثين وستمائة ذكر المولى ابو زكرياء نفسه في الخطبة بعد ذكر الامام مقتصرا على ذكر الامير وبويع البيعة الثانية التامة التى لم يتخلف فيها احد من الناس ولم يتسم بامير المومنين وعرض له بعض الشعراء في ذلك بقوله

الا صلني امير المومنينا   فانت بها احق العالمينا

فلما بلغه هذا انكره وقال — ما للشعراء والدخول في هذا الفضول — وبايع اهل بلنسية المولى ابا زكرياء صاحب تونس في رابع المحرم عام ستة وثلثين وستمائة بعد ان كانت وقعة كبيرة قتل فيها الحافظ ابو الربيع بن سالم وغيره وكانت الوقعة في الموفي عشرين لذي الحجة من عام اربعة وثلثين ودنى العدو منها وضيق عليها فاضطر صاحبها زيان بن مردنيش الى الاستغاثة بالمولى ابي زكرياء فوجه اليه بيعته مع رجال من اهل دولته فيهم كاتبه الفقيه الشهير ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن الابار القضاعي فوصلوا الى تونس وانشد ابن الابار بين يدي المولى ابي زكرياء في يوم الثلثاء منسلخ شهر رجب من عام ستة وثلثين المذكور قصيدته المشهورة التي اولها

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا   ان السبيل الى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست   فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

الى آخرها وهي ستة وستون بيتا فعاجلهم المولى ابو زكرياء في الوقت بما امكنه المبادرة من طعام وانعام وكانت قيمة ذلك مائة الف دينار فاعجل تغلب العدو عليهم عن تمام نصرته لهم واغتبط ابن الابار افريقية وعاد الى

الاندلس فاحتمل اهله واقبل الى حضرة تونس فاقبل عليه المولى ابو زكرياء
واستكتبه ثم ترقى بعد موت ابي عبد الله بن الجلاء الى كتب العلامة
حسبما يذكر بعد * وفي السنة المذكورة نهض المولى ابو زكرياء من تونس
يوم بلاد زناتة بالمغرب الاوسط فسار الى بجاية ثم ارتحل الى الجزائر
فافتتحها وولى عليها من قبله ثم نهض منها الى بلاد مغراوة فاطاعه بنو
منديل وتجاهر بنو توجين بالخلاف فاوقع بهم وقبض على رئيسهم عبد القوي
ابن الفاسي واعتقله وبعث به الى تونس واقبل راجعا الى حضرته وعقد
في رجوعه على بجاية لابنه الامير ابي يحيى وانزله بها * وفي يوم الخميس
الثاني لشهر رجب من سنة ثمان وثلثين وستمائة كتب المولى ابو
زكرياء صاحب تونس عهده لولده الامير ابي يحيى زكرياء صاحب بجاية
وخطب له على جميع منابر افريقية * وفي هذه السنة توفي ابو عبد الله
محمد بن محمد بن الجلاء البجاءي صاحب خط الانشاء والعلامة بتونس
للمولى ابي زكرياء فقدم بعده لذلك الفقيه ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن
الابار فبقي مدة يسيرة ثم اخر عنها لسوء خلقه واقدامه على التعليم في كتب
لم يومر بالتعليم فيها فقدم بعده للانشاء والعلامة احمد بن ابراهيم الغساني
واستمر على ذلك الى ان توفي المولى ابو زكرياء * وكان الغساني يكتب
العلامة بالخط المشرقي بما نصه — من الامير ابي زكرياء بن ابي محمد ابن
الشيخ ابي حفص — * وفي شهر شوال من سنة تسع وثلثين المذكورة تحرك
الامير ابو زكرياء صاحب تونس الى تلمسان في جيش جلته اربعة وستون الفا
من الفرسان فحاصرها حتى اخذها عنوة في شهر ربيع الاول من سنة اربعين
من باب كشوط على صاحبها يغمراسن بن زيان العبد الوادي فلما راى
يغمراسن ما احاط بالبلد قصد باب القصبة لابسا سلاحه في خاصته فاعترضته
عساكر الموحدين فقصد نحوهم وجدل بعض ابطالهم فافرجوا له ولحق
بالصحراء وافتتحت جيوش الموحدين تلمسان من كل حزب وعاثوا فيها *
ثم لما انجلى غشاء تلك الهيعة اعمل المولى ابو زكرياء نظره في من يقلده امر

تلمسان والمغرب الاوسط وكان يغمراسن صاحبها خلال ذلك وقد ارسل الى
المولى ابي زكرياء راغبا في القيام بدعوته بتلمسان فخاطبه المولى ابو زكرياء
بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش ووفدت ام يغمراسن واسمها
سوط النساء بالاشتراط والقبول فاكرم موصلها واسنى جايزتها واحسن وفادتها *
ثم ارتحل المولى ابو زكرياء الى تونس ورد يغمراسن الى بلدة تلمسان
فكانت غيبته تسعة اشهر * وفي السنة المذكورة اخذ محمد بن محمد الجواهري
صاحب الاشغال بتونس وكان اول من تولى النظر في دار الاشغال من
غير الموحدين وذلك انه كان تمكن من المولى ابي زكرياء لانه كان اظهر
فجابة في جباية مال العمود الذي كان ماكلة للعمال فقربه بسبب
ذلك وقدمه للاشغال فاقتنى الاموال وصنع الرجال وعزم على انه مهمى ظهر
له تغير لجا الى من اعتده من الفرسان * وكان يعادي رئيس الدولة
ابا علي بن النعمان وابا عبد الله بن الحسين فالقيا في سمع الامير ابي
زكرياء ما ذكر انه عزم عليه وكان ايضا من اشد من يشنع عليه الوزير
ابو يحيى بن ابي الحسن بن جامع * فلما توفي الوزير المذكور لم يصدق
الجواهري بموته وانشد

وان حياة المرء بعد عدوه ولو ساعة من عمرة لكثير

فكان القدر جرى على لسانه فلم يعش بعده الا مدة يسيرة حتى امر به
فاخذ وحمل الى موضع من القصبة وهو الان معروف باسمه فثقف
فيه ثم امر بتعذيبه ليستخرج منه الاموال فجلد ولم يظهر من الاموال
شيئا ثم اصبح يوما في الموضع الذي حبس فيه ميتا قد خنق نفسه
بعمامته فجر الى خارج الحضرة وعلينه فيه من كان له فيه شماتة *
وفي سنة اربعين اخر المولى ابو زكرياء ابا القاسم الريش عن قضاء تونس
وقدم عوضه عبد الرحمن بن عمر بن نفيس * وفي يوم الجمعة عاشر جمادى
الاخرة من سنة اربعين وستمائة كانت وفاة الرشيد صاحب مراكش
غريقا زعموا في بعض جوابي القصر ويقال انه اخرج من الماء وصح لوقته فكان

فيها حتفه فكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وعشرة ايام * فتولى بعده اخوه ابو الحسن علي السعيد بن ابي العلاء ادريس المامون بن ابي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بويع يوم وفاة اخيه ولقب بالمعتضد * واستوزر السعيد السيد ابا اسحاق بن ابراهيم اخي المنصور * وفي سنة ست واربعين توفي ببجاية الامير ابو زكرياء يحيى صاحب تونس فكتب عهده لولده المستنصر * وفي يوم الاربعاء ثاني صفر من السنة المذكورة اخر الامير ابو زكرياء عبد الرحمن بن عوف بن نفيس من قضاء تونس وقدم عوضه عبد الرحمن بن علي التوزري عرف بابن الصايغ * وقتل السعيد وولده في معركة يطول ذكرها وانتهب بجملته بنو عبد الواحد واختص يغمراسن بفسطاط السلطان وما فيه من الذخائر مثل مصحف عثمان ابن عفان يزعمون انه احد المصاحف التي انتسخت في حياته وخلافته وانه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمان الداخل ثم صار في خزائن لمتونة ثم الى خزائن الموحدين وهو الان في خزائن بني مرين بفاس اخذوه من خزائن بني عبد الواحد حين استولوا على تلمسان حسبما نذكره ان شاء الله تعالى * ثم نظر يغمراسن في شان مواراة السعيد فجهزه وامر برفعه على الاعواد الى مدفنه بالعباد بمقبرة الشيخ ابي مدين وكان مقتله يوم الثلثاء منسلخ صفر سنة ست واربعين وستمائة فكانت خلافته خمسة اعوام وثمانية اشهر وعشرين يوما * ولما قتل السعيد فرت عساكره الى مراكش واجتمع جمهور عساكره على ولده عبد الله فبايعوه ووصل الخبر الى الامير يحيى ابن عبد الحق امير بني مرين وهو بجهات بني يزناسن * وقد خلص اليه ابن عمه ابو عياد والبعث الذي معه من بني مرين فانتهز الفرصة وارصد لعساكر الموحدين وفلهم بكرة سبت فاوقع بهم وامتلات ايدي بني مرين من اسلابهم وانتزعوا الالات من ايديهم وصار اليه كتيبة الروم والناشبة من الغزو واتخذ المركب الملوكي وهلك الامير عبد الله بن السعيد في جانب تلك الملحمة . فلما بلغ الخبر الى مراكش قام بامر الموحدين بها ابو حفص

عمر بن ابي اسحاق بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي وذلك انه لما هلك السعيد وولده عبد الله و بلغ الخبر الى مراكش بذلك اجتمع الموحدون وكتبوا ببيعتهم الى ابي حفص عمر المذكور واستقدموا لها مرسلا فلقيه وفدهم بتامسنا من طريقه ومعه اشياخ العرب فبايعوه وتلقب بالمرتضى ودخل مراكش في جمادي الاخرة من عام ستة واربعين وستمائة * وفي سنة سبع واربعين نزل الفرنسيس ملك النصارى على القاهرة وحاصرها حصارا شديدا الى ان اسر بها فبعث الى السلطان به وهو الملك المعظم ابن الملك الصالح ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن نجم الدين ايوب الكردي وهو اخو ملك بني ايوب فطلبه ان يعطيه مالا كثيرا يعظم وصفه على ان يطلقه فشاور الملك المعظم الاتراك على ذلك فابوا الّا قتله فخالفهم ومال الى الصلح معه سرا ففطنوا بذلك وارادوا قتله فتحصن منهم في برجه فاحرقوا عليه البرج فالقى نفسه منه في النيل فدخلوا عليه وقتلوه في الماء فمات قتيلا حريقا غريقا وبه انقرضت دولة بني ايوب بعد مكثهم في الملك ثمانين سنة واربعة اشهر واياما قلائل وانتقل الملك الى الاتراك البحرية * وفي ليلة الجمعة الثانية والعشرين من جمادى الاخرة سنة سبع واربعين وستمائة توفي المولى ابو زكرياء يحيى صاحب تونس في محلته بظاهر بونة ودفن في الغد بجامع بونة الى جانب الشيخ الصالح ابي مروان ثم نقل بعد ذلك الى قسنطينة ودفن بها وكانت ولايته بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان عمره تسعا واربعين سنة وكانت خلافته بتونس عشرين سنة ونصف سنة * وتولى بعده البلاد الافريقية ولده وولي عهده السلطان ابو عبد الله محمد ابن المولى الامير ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص بويع اولا ببونة وكان الذي اخذ له البيعة على الخاصة وسائر اهل العسكر عمه محمد اللحياني وكان طويل اللحية ثم بويع بعد وصوله من بونة الى حضرة تونس وذلك في يوم الثلاثاء الثالث لرجب من سنة سبع واربعين وستمائة وهو ابن اثنتين

وعشرين سنة امه رومية اسمها عطف وتسمى بالامير ولم يتسم باميرالمومنين
الّا في يوم الاثنين الرابع والعشرين لذي الحجة من سنة خمسين وستمائة
وذلك لما قدمت عليه البيعة من مكة بانشاء عبد الحق ابن سبعين وقدمت
عليه بيعة الشام والاندلس وتلقب بالمستنصر بالله وكان كاتب علامته وانشائه
ابو العباس احمد بن ابراهيم الغساني كاتب علامة ابيه * واستوزر محمد
ابن ابي مهدي الهنتاني وفي الثامن والعشرين من شهر بيعته قبض على
القائد كافور وسجنه بالمهدية * وفي سنة ثمان واربعين ثار عليه بتونس
ابن عمه ابو عبد الله محمد اللحياني بمداخلة الوزير ابن ابي مهدي فبعث
المستنصر جيشا مع قائده ظافر فالتقى معه بالمصلى الذي خارج باب المنارة
فقتله القائد ظافر وقتل معه ابن ابي مهدي ومن قام معه وسار القائد
ظافر الى دار اللحياني عم السلطان فقتله وقتل في طريقه اخاه ابا ابراهيم
ابن الشيخ ابي محمد ابن الشيخ ابي حفص وجاء برؤوسهم الى المستنصر . ثم
بعد خمود هذه الثائرة سعوا للمستنصر بمولاه القائد ظافر وقبحوا عنده ما فعل
من الافتيات في قتل عمه اللحياني من غير جرم ونذر ظافر بذلك فخشي
البادرة ولحق بالذواودة وكان المتولي لكبر هذه السعاية هلال مولى السلطان
فعقد له السلطان مكانه * وفي هذه السنة بنيت السقاية شرقي جامع
الزيتونة وفيها ابتدي البناء في رياض ابي فهر وفيها جعلت الشكلة لليهود
بتونس * وفي شهر جمادى الاخرة منها نصبت المقصورة بجامع الموحدين .
وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين لذي الحجة من سنة خمسين وستمائة
راى المولى المستنصر الاقتصار على لفظ الامير قصورا فتسمى باميرالمومنين
وامر ان يذكر ذلك في الخطبة ويطبع في الذهب . وفي ذلك اليوم تلقب
بالمستنصر بالله كما مر واختار للعلامة — الحمد لله والشكر لله — فبايعه الناس
بذلك البيعة العامة واتبع ذلك برد المظالم . واتفق ان كان المطر قد احتبس
ففي ثالث يوم من هذه البيعة نزل المطر فهناه الشعراء بذلك * ثم راى شيخ
الدولة ابو سعيد عثمان المعروف بالعود الرطب حين تقرر من امر العلامة

ما تقرر ان الاوامر السلطانية قد تنفذ بامور صغيرة لا ينبغي الكتب بمثلها عن الخليفة فقسم الكتب الى علامة صغيرة وكبيرة فالاوامر الكبيرة الصادرة عن الخليفة تكتب بالعلامة التي وقع الاختيار عليها والكتب الصغيرة التى يكبر قدر الخليفة عنها تكتب عمن يعينه الخليفة لذلك وتنفذ بعلامة اخرى تشعر بان ذلك عن امر الخليفة فانقسمت العلامة الى كبرى وصغرى فالكبرى موضعها في اول الكتاب بعد البسملة والصغرى معلمة في ءاخره لصدوره عن الخليفة * وفي يوم الخميس الخامس لربيع الاول من السنة المذكورة توفي بتونس الشيخ الصالح الحاج ابو هلال عياد بن مخلوف التميمي الزيات ودفن بجبانته المعروفة به جوفي جبانة الشيخ الصالح ابي زيد عبد الرحمان المناطقي * وفي سنة احدى وخمسين وستمائة بنى قبة الجلوس بتونس التي باساراك المشرفة على باب ينتجمي وبنى المشى من القصبة الى راس الطابية لكي تحتجب فيه حرمه واوصله الى رياض ابي فهر * وفي اوائل سنة ست وخمسين وستمائة تحرك خاقان ملك التاتار لاخذ بغداد من يد صاحبها السلطان المعتصم كان مولعا بالحمام حتى جمع منه عشرين الفا وكان سنيا واتخذ وزيرا رافضيا يعلن بسب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لا يستتر بذلك وكان الجيش مائة الف وثلثة عشر الفا فلما ظهر التاتار وغلبوا على خراسان واعمالها عمل هذا الوزير اللعين على فساد ملك بني العباس من العراق فاخذ خاقان المعتصم وقتله في ثلثة عشر الف فقيه غير من سواهم في حكاية طويلة وذلك في يوم الاثنين السابع عشر لصفر سنة ست وخمسين وستمائة * واقام القتل في بغداد والنهب نحوا من ثمانية ايام وانقرضت دولة بني العباس وفني ملكهم . وجملة ملوك بني العباس من السفاح الى المعتصم اربعون ملكا ومدتهم خمسمائة سنة واربع وعشرون سنة غير اربعة وثلثين يوما فسبحان مدبر الامور ومقلب الليل والنهار لا اله الا هو * وفي سنة سبع وخمسين عزل السلطان القاضي عبد الرحمان عن قضاء تونس وقدم الفقيه ابا القاسم بن علي بن البرا المهدوي * ثم اخره عن القضاء وقدم ابا

موسى عمران بن معمر الطرابلسي وكان فقيها صالحا حسن الاخلاق وطي الجانب حافظا للمذهب عارفا بالمسائل بصيرا بالاحكام ولي قضاء بلده طرابلس والخطبة والصلاة بجامعها ثم نقل منها الى حضرة تونس قدم سنة ثمان وخمسين فلم يزل قاضيا الى ان توفي * وفي صبيحة يوم الثلثاء الحادي والعشرين للمحرم عام ثمانية وخمسين المذكور امر السلطان المستنصر بقتل الفقيه الاديب العالم الناظم الناثر الحجة ابي عبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي عرف بابن الابار فقتل بعد ان ضرب بالسياط كثيرا بمقصورة المحتسب من تونس خارج باب ينتجمي ثم ندم السلطان بعد ذلك على قتله * وكان سبب قتله ان جرى يوما في المجلس ذكر مولد الواثق ابن الخليفة فلما كان من الغد جلب بطاقة يعرف بها ساعة المولد والطالع فلما وقف المستنصر عليها قال — هذا فضول ودخول منه في ما لا يعنيه من امورنا — وامر بتثقيفه بسقيف القصبة وبعث الى داره الغساني وبينهما من العداوة ما يكون بين صاحب خطة اخذها احدهما من يد الاخر فوجد في تقاييده ابياتا منها

طغى بتونس خلف   سموه ظلما خليفة

فلما قراها السلطان امر بضربه ضربا شديدا ثم قتل موشوقا بالرماح واخذت كتبه وتقاييده فاحرقت في موضع قتله وكانت نحو خمسة واربعين تاليفا * وحكى المرادي ان البيت الذي وجد له يقتضي هجاء الخليفة هو قوله — عق اباه وجفا امه : ولم يقل من عثرة عمه — فالله اعلم . وفي اول يوم من المحرم فاتح سنة تسع وخمسين وستمائة امر السلطان بالقبض على ابي العباس احمد اللياني وكان اصله من الليانة من صياع المهدية وتعلقت همته بقراءة الادب والفقه حتى اشير اليه في ذلك ووضع تقييدا على المدونة ثم انه تهالك على الخطط المخزنية وساعده السعد فيهما فاخذ ديوان البحر وغيره وسعى به ابن ابي الحسين وغيره زعموا انه اختزن لنفسه مالا جليلا وانه عزم على ان يحدث ثورة في المهدية وامتلا سمع السلطان من هذا فلم يشعر وهو في منزله حتى وصل قائدان من العلوج وهجما داره واخذا صندوقه

فوجدوا فيه ذخائر من يواقيت وزمرد ولولو فقيل له — ما هذا وانت تزعم الامانة — فقال — انما ادخرتها لمولانا السلطان — فقيل له — حسن قد وصل اليه — ثم قبض عليه بعد ذلك وطولب بمال كبير فاحضره وسرح بعد ايام فاستشعر بزوال النعم وعزم على الفرار في مركبه الى جزيرة صقلية فبلغ الخبر الى السلطان واستخفى الى ان صلح حاله وخرج فلما كان اول يوم من المحرم سنة تسع وخمسين حضر الغساني بين يدي السلطان في القبة الكبيرة فنزل المطر فقال السلطان — اليوم يوم المطر — فقال الغساني — ويوم رفع الضرر — فقال السلطان — ايه فما بعدها . فقال الغساني — والعام عام تسعة . كمثل عام الجوهري * فاحضر السلطان اشياخ الراي وقال — اسمعوا ما قال الغساني — وجعل يردد البيت ثم قال — ينبغي ان لا يرجع من هذا اقبضوا على اللياني لنرضي به الله والخاصة والعامة — فقبض عليه ومن الغد قبض على ابن العطار وكان ابن العطار يلي اشراف تونس ثم اشراف بجاية ثم جعل على مختص الحضرة فجعلا بمكان واحد بالقصبة ووكل بضربهما وطلب المال منهما ابو زيد بن نعمون الهنتاتي قالوا كانا يحملان في قيودهما يحجلان فيها ثم يركبان حمارين ويخرجان من الباب الكبير فيحمل اللياني الى دار الاشراف فينفذ الاثقال منها وهو على حاله ويحمل العطار الى دار المختص لمثل ذلك وما زال امرهما كذلك الى رجب والميل على اللياني والاموال توخذ منه كل يوم الى ان فرغ ما عنده وتحصل منه ما شاء نحو ثلثمائة الف دينار فحمل الى دار السكة وعذب الى ان مات ثم اخرجت جثته الى الصبيان يجرونها ورموها في البحيرة وسرح ابن العطار ورد الى دار المختص فنسي مصابه بما آل اليه امر اللياني * وفي سنة تسع وخمسين توفي الشيخ الصالح المعروف بابينا عبد الله ودفن بجبانة الشيوخ بالمرسى * وفيها وصلت بيعة مكة شرفها الله على يد الشيخ ابي محمد عبد الحق بن سبعين وكان الواصل بها المحدث الرواية ابو محمد بن برطلة وانشد بعض الشعراء

اهنا امير المومنين ببيعة — وافتك بالاقبال والاسعاد

فلقد حباك بملكه رب الورى　　فاتى يبشر بافتتاح بلاد
واذا اتت ام القرى منقادة　　فمن المبرة طاعة الاولاد

وفي السنة المذكورة توفي الفقيه المحدث ابو بكر بن سيد الناس وفيها توفي المطرف بن عميرة والقاضي التوزري وابو محمد يوسف بن ياسين * وفي سنة ستين وستمائة في شهر ربيع منها صنع الحدوس وهي فلوس النحاس بتونس ليتصرف الناس بها وقطعت في شوال من السنة المذكورة * وفي عاشر ربيع الاخر من سنة ستين توفي قاضي الجماعة بتونس ابو موسى عمران بن معمر الطرابلسي وتولى بعده ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم المهدوي المعروف بابن الخباز . وفيها توفي الشيخ الصالح المعروف بالصقلي المتقدم الذكر * وفي ثالث شهر رمضان من سنة اثنتين وستين عزل ابن الخباز عن القضاء وقدم الفقيه ابو العباس احمد بن الغماز * وفي الرابع لربيع الاول من السنة المذكورة توفي بتونس الفقيه الامام المصنف عبد العزيز بن ابراهيم القرشي شهر بابن نويرة شارح الارشاد * وفي سنة ست وستين وستمائة كمل السلطان اصلاح الحناية وصرفها الى ابي فهر * وفي رابع شهر ربيع الاخر من السنة المذكورة قدم لقضاء الانكحة بتونس الفقيه محمد ابن الرايس الربعي * وفي رابع شوال من سنة سبع وستين اخر القاضي الغماز وقدم الفقيه الصالح ابو العباس احمد بن ابراهيم المفسر . ثم في التاسع عشر لذي القعدة من العام المذكور اعيد للقضاء الفقيه ابن الخباز المقدم ذكره وفي سنة ثمان وستين وستمائة قرئت بيعة صاحب المغرب الاقصى الامير ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق على المولى المستنصر * وفي السنة المذكورة توفي الكاتب للانشاء والعلامة الفقيه احمد الغساني فقدم للعلامة ابو عبد الله محمد بن الحسين وللانشاء ابن الرايس الربعي واخر ابن الرايس الربعي عن قضاء الانكحة في منسلخ شوال من السنة المذكورة * وفي ليلة الاحد الخامس والعشرين لذي القعدة من سنة تسع وستين توفي الاستاذ النحوي ابو الحسن علي بن موسى الحضرمي عرف بابن عصفور بتونس ولد باشبيلية

سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكان سبب موته فيما نقل عن الشيخ احمد القلجاني وغيره انه دخل على السلطان يوما وهو جالس برياض ابي فهر في القبة التي على الجابية الكبيرة فقال السلطان على جهة الفخر بدولته ـ قد اصبح ملكنا الغداة عظيما ـ فاجابه ابن عصفور بان قال ـ بنا وبامثالنا ـ فوجدها السلطان في نفسه فلما قام الاستاذ ليخرج امر السلطان بعض رجاله ان يلقيه بثيابه في الجابية المذكورة وكان ذلك اليوم شديد البرد ثم قال لمن حضره ـ لا تتركوه يصعد ـ مظهرا اللعب معه فكلما اراد الصعود ردوه وبعد صعوده اصابه برد وحمة بقي ثلثة ايام وقضى نحبه فدفن بمقبرة ابن مهنا قرب جبانة الشيخ ابن نفيس شرقي باب ينتجمي احد ابواب القصبة . وفي يوم الاربعاء حادي عشر شوال من سنة تسع وستين توفي ابو عبد الله محمد بن ابي الحسين فعين بعده لكتابة العلامة ابو الحسن علي بن ابراهيم بن ابي عمر فكتبها الى ان توفي في الثالث والعشرين من ربيع الثاني من عام اربعة وسبعين فعين لها بعده ابو عبد الله محمد بن الرايس فكتبها الى ان توفي المستنصر وقدم بعد ابن ابي الحسين للتنفيذ الفقيه الشهير ابو القاسم احمد بن يحيى ابن اسد ابن الشيخ الانصاري * وفي يوم الاحد رابع عشر جمادى الاخرة سنة خمس وسبعين وستمائة ابتدا السلطان المستنصر المرض الذي مات منه وكان مسافرا فاصابه ذلك بعين اغلان فسيق الى تونس في محفة على اعناق الرجال في خسوف القمر وادخل الى قصبته وكثر ارجاف الناس بموته فجعل يوم عيد الاضحى في محفة من خشب واصعد الى قبته وراءه الناس وتجلد لاظهار حركة علم منها ان فيه بقية رمق ثم عاد الى منزله وتوفي من ليلته بعد صلاة العشاء الاخيرة ليلة الاحد الحادي عشر لذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة وكانت خلافته ثمانية وعشرين عاما وخمسة اشهر واثنى عشر يوما * ويقال ان اصل مرضه انه كان في صيادة فقام بين يديه وحش فطردته الجوارح فدخل مغارة ودخل وراءه الرجال فالفوا بها رجلا قائما يصلي فسلم من صلاته وقال لهم ـ هذا دخيل الفقراء اتركوه ـ

فذهبوا الى السلطان فعرفوه فقال لهم - ائتوا بالصيد - فرجعوا الى المرابط فمنعهم منه فرجعوا الى السلطان فقال لهم - ان منعكم اعطوه الرماح - فرجعوا الى المرابط وعرفوه فقال لهم - وانا قد امرت للسلطان بالرماح - ثم طلبوه فلم يجدوه وسقط السلطان من حينه مغشيا عليه ثم افاق بعد زمان ولم يزل ذلك المرض يتعاهده الى ان توفي * وفي السنة المذكورة توفي الملك الظاهر صاحب مصر * وفيها تولى المولى الامير ابو زكرياء يحيى ابن السلطان المستنصر ابن المولى الامير ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص امه ام ولد رومية اسمها ضرب ولد سنة سبع واربعين وستمائة بويع ليلة مات ابوه ليلا فاصبح خليفة وبايعه من بقي في صبيحة تلك الليلة وتلقب بالواثق وكانت ولايته على يد ابي عثمان سعيد بن ابي يوسف بن ابي الحسين صاحب الاشغال بتونس وهو ابن عم ابي عبد الله محمد ابن ابي الحسين منفذ ابيه * ولما تمهد للواثق الامر اتخذ لنفسه كاتبا الفقيه يحيى بن عبد الملك الغافقي المكنى بابي الحسن ويعرف بابن الحببر فاستبد بامور مملكته وكان يعادي ابا عثمان سعيد بن ابي الحسين فما زال يغري به الواثق حتى اخذه يوم السبت الثاني لجمادى الاخرة من سنة ست وسبعين وستمائة وثقفه في الدار المعروفة بدار الجوهري داخل القصبة وضربه حتى استاصل ماله وسلط عليه من العذاب ما اتلفه وتوفي يوم الخميس الثاني عشر لذي الحجة من العام المذكور واخرجت جثته الى دار صاحب الشرطة ووجه الى خادميه ابن صياد الرجالة وابن ياسين وقيل لهما - هذا صاحبكما قد مات فاخبرا بموضع ذخائره - فانكرا وثقفا فالتزم ابن ياسين مالا واداه واطلق وقتل ابن صياد الرجالة تحت العذاب * وفي يوم اخذ ابي عثمان ابتدا العمل بالاصلاح والتهذيب والكسوة في جامع الزيتونة وتم العمل يوم الخميس الخامس عشر من شعبان من العام المذكور * ومن غريب الاتفاق ان ابن ابي الحسين لما قتل اصاب حائط الدويرة شيء من دمه ثم بعد ذلك بيسير ثقف ابن الحببر بالدويرة المذكورة فكان اول ما سال عنه حين

ادخل اليها الدم المذكور فاخبر انه دم ابن ابي الحسين فاشتد جزعه وعظم خوفه ولم يمض الا يسير حتى اجتمع دمه بدم منكوبه في ذلك الحائط وضرب من السياط قدر ما ضرب ابن ابي الحسين واظهر من المال قدر ما ظهر لابن ابي الحسين وسلط عليه العذاب حتى مات كما مات ابن ابي الحسين وكان اشد الناس على ابن الحبير عبد الوهاب ابن قائد الكلاعي وبمثل موتته ايضا مات حسبما يذكر بعد ان شاء الله تعالى * وكان الواثق في اول امره قد سرح المسجونين وامر برفع المظالم واحراق ازمة الخطايا والمكوس والنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد واحسن الى الجند غير انه لم يمسك بعنان الملك حق الامساك حتى استبد عليه ابن الحبير كما تقدم * وكان ابن الحبير هذا كثير الاعجاب بنفسه مفرطا في التعسف والكبر مشتغلا بالبناء والملاهي واقتناء الاثاث ولا يحسن شيئا من تدبير الملك وسياسة الرعية فافضى استبداده الى فساد الحال وتغير القلوب عليه * وكان قد قلد اخاه ابا العلاء ادريس ولاية الاشغال ببجاية فصدر منه بها من الاستبداد والتعسف ما صدر من ابن الحبير بتونس الى ان توامر عليه محمد بن ابي هلال صاحب الاشغال ببجاية مدة المستنصر وقتله * ووافق ذلك حلول الامير ابي اسحاق ابن ابي زكرياء عم الواثق بتلمسان لانه كان عند بلوغ الخبر اليه بوفاة اخيه المستنصر وفساد الحال بتونس قد اجمع امره على الاجازة لطلب حقه بالملك بعد ما تردد مدة وقام لمورده بتلمسان ابن زيان يغمراسن المتقدم ذكره واحتفل في مبرته فانتهز ابن ابي هلال ومن وافقه على قتل ادريس الفرصة خيفة من بوادر ابن الحبير واوفدوا وفدهم للامير ابي اسحاق يستحثونه على القدوم فاجابهم ودخل الى بجاية وبايعه اهلها * ثم زحف منها الى قسنطينة وبها اذ ذاك عبد العزيز بن عيسى بن داود احد اقرباء ابن الحبير فامتنعت عليه فاقلع عنها زاحفا الى جهة الحضرة * وكان الواثق في اثناء ذلك جهز العساكر بتدبير ابن الحبير لمصادمة عمه الامير ابي اسحاق وعقد عليها لعمه الامير ابي حفص واستوزر

له ابا زيد بن جامع ولكن عند حلول المحلة بباجة اضطرب راي ابن الحبير في خروج ابي حفص واراد انفصاص عسكره فحمل الواثق على ان يكتب لعمه ابي حفص ووزيره ابن جامع يغري كل واحد منهما بصاحبه فتفاوضا واتفقا على الدعاء للامير ابي اسحاق وبعثا اليه بذلك * ولما بلغ الخبر الى الواثق وهو بتونس متبذا من الحامية والبطانة ايقن بذهاب ملكه فخلع نفسه وبايع لعمه ابي اسحاق وذلك يوم الاحد الثالث لشهر ربيع الثاني عام ثمانية وسبعين وستمائة فكانت خلافته سنتين وثلثة اشهر واثنين وعشرين يوما * وحكى الغرناطي انه خلع نفسه لعمه يوم الجمعة من ربيع الاول سنة تسع وسبعين * وفي سنة سبع وسبعين وستمائة توفي الفقيه القاضي المفتي ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البرا التنوخي * ولما خلع الواثق نفسه تولى بعده عمه المولى الامير ابو اسحاق ابراهيم ابن المولى ابي زكرياء ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص امه ام ولد اسمها رويدا ولد سنة احدى وثلثين وستمائة ووصل من تلمسان الى بجاية يوم عيد الاضحى سنة سبع وسبعين وستمائة وصلى بالمصلى هناك صلاة العيد ودخل بجاية من يومه ودخل تونس يوم الثلثاء الخامس لربيع الاخر سنة ثمان وسبعين وستمائة وقال الغرناطي سنة تسع وسبعين وجددت له البيعة يوم الاربعاء . وانتقل الواثق المخلوع من القصبة الى دار الغوري بالكتبيين وسكن بها اياما ثم ان السلطان سمع عنه انه بعث الى قائد النصارى وتحدث معه ان يثور على عمه بليل فرفع للقصبة هو وبنوه وكانوا ثلثة الفضل والطاهر والطيب فثقفوا بها وذبحوا جميعا في صفر سنة تسع وسبعين وستمائة * وفي ثالث يوم من دخول السلطان ابي اسحاق لتونس اخذ ابن الحبير رئيس دولة الواثق وقتله تحت العذاب كما تقدم * وكان السلطان ابو اسحاق فيه غلظة وشجاعة وكان لا ينظر في عواقب الامور فكان ولده الامير ابو زكرياء يرد عليه اكثر اوامره بالتلطف واستولت العرب في ايامه على القرى وهو اول من كتب البلاد الغربية بالظهارة للعرب * وفي اول

فرجع الى تونس ورحل الدعي من قفصة الى القيروان فدخلها وبايعه اهلها وجاءته فيها بيعة المهدية وصفاقس وسوسة ثم خرج السلطان ابو اسحاق من تونس لمقاتلته في جيش عظيم ونزل المحمدية في العشر الاواسط من شوال من السنة نفسها واخرج من العدد حمل تسعين بغلا فنهب ذلك كله من منزل المحمدية وفر اكثر الناس منه الى الدعي ثم فر الى الدعي الشيخ ابو عمران موسى بن ياسين في جماعة عظيمة من الموحدين فالتقى به على مقربة من شاذلة وبايعه ورجع السلطان ابو اسحاق الى سبخة تونس حتى اخرج نسآءه واولاده من المدينة وارتحل مغربا فلقي شدائد واهوالا من الامطار والثلوج والجوع والخوف فكان يبذل الاموال للقبائل مصانعة على نفسه واولاده واهله حتى وصل الى قسنطينة فاغلقا صاحبها ابو محمد عبد الله بن توفيان الهرغي في وجهه فطلب منه ما ياكل فانزل له من اعلى السور الخبز والتمر فاكلوا ورحل من يومه الى بجاية فمنعه ولده ابو فارس عبد العزيز الدخول اليها فاقام بروض الرفيع على شاطي وادي بجاية وسكن بقصر الكوكب ٠ وكان فراره من تونس ليلة الثلثاء الخامس والعشرين من شوال سنة احدى وثمانين وستمائة فكانت خلافته بتونس من حين خلع الواثق نفسه الى حين فراره ثلثة اعوام ونصف عام واثنين وعشرين يوما * وبعد فرار ابي اسحاق بيومين اي يوم الخميس السابع والعشرين من شوال المذكور دخل الدعي الى تونس وبويع بها على انه الفضل بن ابي زكرياء يحيى الواثق وانما هو احمد بن مرزوق بن ابي عمارة المسيلي امه فرحة من فران من بلاد الزاب مولده بمسيلة سنة ثنتين واربعين وستمائة وتربيته ببجاية وكان خامل الثناء كثير التطور مرت له مغالطة عظيمة على الناس كلهم وخطب له بهذا الافتراء على منابر افريقية ولقد احسن ابن الخطيب الاندلسي حيث قال يشير الى قضيته

غريبة من لعب الليالي ما خطرت لعاقل ببال

وكان الدعي قتالا سفاكا للدماء ظالما يظهر قطع المنكر ويأتيه ويوم دخوله

تونس هذا العرب في الناس فاخذ منهم ثلاثة وضرب اعناقهم وصلبهم ثم اخرج جيشا وامر عليه شيخ الموحدين الشيخ ابا محمد عبد الحق بن تافراجين وامرة بقتل من ظفر به من العرب ورفع من الناس الانزال وكانوا يلقون منه امرا عظيما ومات يوم دخوله لتونس في زحام باب المنارة ثلثة عشر رجلا منهم الفقيه القاضي ابو علي حسن بن معمر الهواري الطرابلسي * وفي ثاني يوم من دخوله لتونس الثامن والعشرين من شوال المذكور قدم لعلامته صاحب الدولة ابا القاسم احمد بن يحيى بن الشيخ فكتبها له الى ان انقرضت دولته وقدم لوزارته ابا عمران موسى بن ياسين وقبض على صاحب الاشغال ابي بكر بن الحسين بن خلدون واخذ ماله وقتله خنقا وصرف خط الحجابة الى عبد الملك بن مكي * وفي الخامس والعشرين من يوم دخوله اخذ امراء العرب الملاقين له وكانوا نحوا من ثمانين وفي يوم السبت بعده اخذ الزناتيين واخرجوا من القصبة الى السجن عراة وكانوا نحوا من ثلثمائة وخمسين وفيه اخذ النصارى وكانوا نحوا من مائة وثمانين فارسا * وفي الثالث والعشرين من ذي الحجة اخذ قرابة السلطان ابي اسحاق كلهم وسجنهم واستاصل اموالهم وهم بقتلهم فمنعهم الله منه * وفي الثاني عشر من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة خرج الدعي من تونس يريد بجاية لما احس بخروج الامير ابي فارس صاحبها اليه وفي تاسع عشر صفر المذكور وصل الامر من المحلة لتونس بقطع الخمر وهدم الفندق الذي تباع فيه وبني موضعه جامع للخطبة وصومعة واقيمت فيه الصلاة في الموفي عشرين من شعبان من السنة المذكورة وكان الامير ابو فارس صاحب بجاية قد جيش الجيوش وجمع الجموع وخرج قاصدا لقاء الدعي وخرج معه الامير ابو حفص عمر خلفه بتاج على راسه تعظيما له لانه جرت عادة ملوك هذه الدولة الحفصية باستعماله وانما ترك من دولة اللحياني الى هلم جرا . فالتقى الجمعان بفحص الابيار قريبا من قلعة سنان يوم الاثنين الثالث لربيع الاول سنة اثنتين وثمانين المذكورة فكان يوما يا له من يوم عظيم خانت فيه ابا فارس الانصار واحتوشته

الادبار فقتل وقطع راسه ونهبت محلته واخذت مضاربه وخزائنه وسيق براسه الى الدعي ثم سيق اخوه عبد الواحد حيا فقتله الدعي بحربة كانت بيده ثم سيق اخواه لابيه عمر وخالد فامر بقتلهما فقتلا صبرا ثم سيق محمد ابن اخيه عبد الواحد فامر بقتله فقتل وفي مثلهم ينشد

اراادوا فرارا ولكنهم على فج الابيار ماتوا جميعا

وانشد ايضا

ونحن اناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين او القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسناء لم يغله المهر

فكانت ولاية ابي فارس ببجاية واحوازها ثلثة اشهر وثلثة عشر يوما وسيقت رؤوسهم الى تونس فطيف بها على اطراف الرماح في الاسواق في يوم الخميس السادس لربيع الاول من سنة ثنتين وثمانين المذكورة وعلقت على باب المنارة ولم ينج منهم الّا الامير ابو حفص ابن الامير ابي زكرياء فانه فر الى قلعة سنان وهو على رجليه ولاذ به في ذهابه الى القلعة ثلثة من صنائعهم ابو الحسن بن ابي بكر بن سيد الناس والوزير ابن الفزاري ومحمد ابن ابي بكر بن خلدون وربما كانوا يتناقلونه على ظهورهم اذا اصابه الكلل الى ان بلغ القلعة وتحصن بها * واما الامير ابو زكرياء ابن الامير ابي اسحاق فانه كان بقي نائبا ببجاية ومعه الشيخ ابو زيد الفزاري ولما بلغ خبر الوقعة الى بجاية اضطربت اضطرابا شديدا واجتمع الناس في الجامع الاعظم وفيهم القاضي ابو محمد عبد المنعم ابن عتيق الجزائري ومعه ابنه فتكلم بكلام اغضب به العامة فوثبوا على الولد فقتلوه في المحراب وحملوا القاضي من مجلس حكمه الى السجن ثم الى البحر وصرفوه الى بلده الجزائر وخاف الامير ابو اسحاق على نفسه فخرج هاربا من القصبة يريد تلمسان ومعه ابنه الامير ابو زكرياء وعامة اهل بجاية يتبعونه فخرج اهل بجاية في طلبه مع الشيخ ابي عبد الله محمد بن اسرفين فادركوه في جبل بني غبرين وقد سقط عن فرسه واندقت فخذه ونجا ابنه الامير ابو زكرياء الى تلمسان وكان له بها

اخت في عصمة والي تلمسان عثمان بن يغمراسن بن زيان فاكرمه ورحب به واخذ الامير ابو اسحاق ورد الى بجاية فدخلها راكبا على بغلة عليها برذعة والقي بدار بحومة ساباط الاموي ببجاية الى ان ارسل الدعي في قتله محمد بن عيسى بن داود الهنتاتي فقتله يوم الخميس السابع والعشرين من ربيع الاول المتقدم ذكره ثم رفع راسه الى تونس وطيف به على عصا في الاسواق والسفهاء يضحكون والنساء يولولن وفي ذلك اليوم عبرة للمعتبرين وذلك سادس عشر ربيع الثاني من السنة المذكورة وقيل في ذلك

فقل للشامتين بنا انيخوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

وفي السنة المذكورة توفي القاضي ابو زيد بن نفيس وفي يوم الثلثاء الخامس عشر من المحرم سنة ثلث وثمانين وستمائة قبض الدعي على شيخ دولته ابي عمران بن ياسين لانه سمع عنه انه كتب للامير ابي حفص عمر انه يريد الغرر به واخذ معه الشيخ ابا الحسن بن ياسين والشيخ ابن وانودين والحسين بن عبد الرحمان الزناتي سلط على جميعهم العذاب وضرب ابن ياسين بالسياط مرات ثم ضربت عنقه عشية الخميس ثاني صفر من السنة المذكورة وقتل ابن وانودين ايضا * وفي يوم قتله خرج مسافرا يريد قتال الامير ابي حفص لانه ظهر عند العرب وعظم سلطانه في البلاد واجتمع عليه خلق كثير لكون الدعي كان اساء في العرب وقتل منهم فسمعوا بالامير ابي حفص في قلعة سنان فرحلوا اليه واتوه ببيعتهم في ربيع الاول من السنة المذكورة وجمعوا له شيئا من الالات والاخبية وقام بامره ابو الليل بن احمد شيخهم وبلغ الخبر الدعي فخرج من تونس يريد القتال فارجف به اهل عسكره ومالت انفسهم الى الامير ابي حفص فلما تبين ذلك للدعي رجع الى تونس رجوع منهزم وذلك في يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الاول من سنة ثلث وثمانين وطوى الامير ابو حفص البلاد الى ان نزل قريبا من تونس بسبخة سيجوم فخرج اليه الموحدون والجند وقاتلوه اياما كثيرة ولم يظفروا منه بشيء ونهب العرب البلاد الى ان خرج الدعي يوم الاحد

الثاني والعشرين لربيع الاخر فاقام برهة بذيل السبخة فلما ايقن انه هالك فر بنفسه رغبة في الحياة واختفى في دار بمقربة من الصفارين بتونس عند رجل فران اندلسي يقال له ابو القاسم القرموني وذلك في ليلة الاثنين الثالث والعشرين لربيع الاخر المذكور . وكانت دولة الدعي بتونس سنة وخمسة اشهر وسبعة وعشرين يوما واقام الدعي في تلك الدار سبعة ايام الى ان دلت عليه امراة فاخذ واخرج منها بعد صلاة الظهر وهدمت تلك الدار لحينها وحمل الى الامير ابي حفص فقرره بحضرة القضاة والشهود فاقر انه احمد ابن مرزوق بن ابي عمارة المسيلي وشهد عليه الشهود بذلك وقاضي الجماعة حينئذ ابو العباس احمد بن الغماز وامر الامير ابو حفص بضربه فضرب مائتي سوط ثم ضربت عنقه وطيف بشلوه على حمار اشهب وجر الى السبخة بخارج باب البحر فرمي بها وطيف براسه على عصا وذلك يوم الثلثاء الثاني من جمادى الاولى وكان الذي تولى قتله الشيخ ابو محمد بن يغمور بسيف كان اعطاه له الدعي . وتولى تونس الامير ابو حفص عمر ابن المولى السلطان الامير ابي زكرياء ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص امه ام ولد عربية اسمها ظبية ولد بتونس بعد صلاة الجمعة الموفية ثلثين من ذي القعدة سنة ثنتين واربعين وستمائة * وبويع له فيها يوم الاربعاء الخامس والعشرين لربيع الاخر المذكور سنة ثلث وثمانين وستمائة وتلقب بالمستنصر بالله * وفي السابع والعشرين من جمادى الاخرى من السنة المذكورة توفي بالمهدية القاضي ابن الخباز المتقدم ذكره ولي قضاء تونس مرتين وكان الامير ابو زكرياء ابن السلطان ابي اسحاق ربا في حجر ابيه بمدينة تونس وكان سكناه اذ ذاك بدار الغوري وكان نزيه النفس محبا للعلم واهله وكان بازاء دار الغوري فندق يسكنه اهل السرف فبلغه ذلك فامر ان يبنى مدرسة للعلم فبني مدرسة المعرض وحبس عليها ربعا كثيرا اشتراه بماله مع كتب نفيسة في كل فن من فنون العلم * ولما كمل بناوها جلس فيها المدرس الشريف ابو العباس احمد الغرناطي صاحب كتاب المشرق في

علماء المغرب والمشرق ووجه للمدرس قرطاسين بذهب وفضة وقال له —
فرقها على كل من تجد في المدرسة — فسمع الناس ذلك فجاوها من كل
مدرسة حتى امتلات ولم يجد احد اين يجلس وكان يحضر مجلسه للوعظ
يوم الاثنين والجمعة فيطلق العنبر والعود ما دام المجلس واجرى على المدرس
رزقا كثيرا قدره عشرة دنانير في الشهر وجعل بين دار سكناه وبين المدرسة
طاقة يسمع منها ما يقرا في المدرسة واستمر مقامه بتونس حتى خرج صحبة
ابيه الى بجاية حين اتى الدعي كما تقدم * وفي السادس والعشرين من
ربيع الاول من سنة اربع وثمانين وستمائة توفي القاضي ابو محمد عبد الحميد
ابن ابي الدنيا ودفن بالجلاز وتلهج العامة ان عند راسه سارية طويلة
فيقولون — قال صاحب هذا القبر اجعلوا لحدي بقدر علمي — يريدون كبر
درجته في العلم وفي السنة المذكورة توفي ابو الحسن حازم الغرناطي
شاعر الحضرة * وفي السادس والعشرين لذي الحجة سنة ست وثمانين
توفي الشيخ الصالح الورع ابو علي حسن الزنديوي ودفن بقرب جبانة
السادة الاخيار الاشياخ في مرسى الرجل الصالح سيدي جراح ويعرف المرسي
المذكور في القديم بمرسى ابن عبدون واشتهر بعده بسيدي جراح المذكور
لملازمته الاحتراس به * وفي الجبانة المذكورة من الشيوخ سيدي عبد العزيز
ابن ابي بكر القرشي المهدوي وابونا عبد الله واسمه عبد الله بن علي الهواري
النابلي وكان اسمه مخلوفا وسيدي عبد العزيز المهدوي هو الذي سماه بالاب
فالناس يدعونه بذلك الى اليوم وابو عبد الله محمد المعروف بالتائب وابو
علي عمر شقيقه ابنا ابي بكر العجليين التونسيين وابو زيد عبد الرحمان
التميمي عرف بابن الوادي وابو عثمان سعيد الخادم مدفون عند قدم الشيخ
سيدي عبد العزيز وابو وكيل ميمون الكماد وابو عبد الله بن عتيق الباجي
امام الشيخ سيدي عبد العزيز والشقيقان ابو فارس عبد العزيز وابو عبد الله
محمد ولدا ابي الفتوح الصقلي وابو اسحاق ابراهيم الصياد والشيخ سيدي
جراح العربي المذكور وسيدي ابو علي حسين وابو عبد الله بن سليمان

القرشي الزبيدي واخو هذا سيدي حسن وتلامذتهم * وفي يوم الاثنين السابع عشر لشهر رمضان من سنة احدى وتسعين وستمائة توفي بتونس الشيخ القاضي ابو القاسم بن زيتون ودفن بجبل المرسى * وفي الخامس عشر من ذي الحجة سنة ثنتين وتسعين توفي الفقيه المفتي الشريف احمد الغرناطي صاحب كتاب المشرق المذكور * وفي يوم الخميس عاشر المحرم سنة ثلث وتسعين توفي الفقيه القاضي احمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الانصاري احد الفضلاء المشهورين بالدين كانت ولادته ببلنسية يوم عاشوراء من سنة تسع وستمائة وهي سنة العقاب وتوفي يوم عاشوراء فمن العجب موافقة يوم وفاته يوم ولادته ودفن بمقبرة الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمان المناطقي بتونس وكان فقيها مفتيا عارفا بالتوثيق اخذ عن جماعة من اهل الاندلس ثم ارتحل الى بجاية فسكن بها وتخطط بالعدالة ثم توجه الى تونس فتصرف في قضاء كثير من بلادها الى ان قدم الى قضاء الحضرة نفسها في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ستين ثم عزل ثم ولي وتكرر ذلك الى ان ولي الولاية الاخيرة في تاسع عشر شهر رمضان من سنة احدى وتسعين فمات وهو عليها كما مر * وفي ذي القعدة من سنة ثلث وتسعين توفي الشيخ ابو زيد عيسى الفزاري شيخ الدولة وشمسها ودفن برادس * وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة من سنة اربع وتسعين توفي صاحب تونس السلطان ابو حفص عمر بمرض اصابه فكانت خلافته احد عشر عاما وثمانية اشهر غير يومين وكان عهد لولده عبد الله فتحدث الموحدون في صغر سنه وانه لم يبلغ الحلم فبعث السلطان للشيخ الفقيه الصالح ابي محمد المرجاني وتحدث معه في ذلك وكان الواثق بن المستنصر لما قتل هو وبنوه بحبسهم كما تقدم فرت احدى جواريه حاملا منه الى زاوية الشيخ الولي ابي محمد المرجاني فوضعت الولد في بيته سماه الشيخ محمدا وعق عليه واطعم الفقراء يومئذ عصيدة الحنطة فلقب بابي عصيدة ثم صار بعد اختفاء الى قصورهم ونشا في ظل الخلفاء قومه حتى شب وبقيت له مع الشيخ المرجاني

ذمة فلما فاوضه السلطان في شان العهد وقص عليه نكير الموحدين لولده اشار عليه الشيخ بصرف العهد الى محمد بن الواثق فقبل اشارته ووقع الاتفاق على ذلك فاخرج محمد بن الواثق الى الشيخ المرجاني فبارك عليه ودعى له وبويع البيعة الخاصة في يوم الاربعاء الثاني والعشرين لذي الحجة المذكور ثم لما توفي السلطان ابو حفص في التاريخ بويع البيعة العامة وتلقب بالمستنصر بالله وهو المولى الامير ابو عبد الله محمد ابن المولى السلطان محمد الواثق ابن المولى السلطان المستنصر ابن المولى السلطان ابي زكرياء ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص عمر يعرف بابي عصيدة وافتتح امره بقتل عبد الله ابن السلطان ابي حفص لاجل ترشحه ❊ وفي شهر رجب من سنة ثمان وتسعين وستمائة نهض السلطان ابو عصيدة من حضرة تونس بمحلته فسار وتجاوز تخوم عمله الى اعمال قسنطينة وجفلت قدامه الرعايا والقبائل وانتهى الى ميلة ومنها كان تنقلبه الى حضرته في شهر رمضان ❊ وفي اوائل جمادى الاولى سنة تسع وتسعين توفي الشيخ الصالح المرجاني ودفن بجبل الجلاز وكان صديقا لقاضي الجماعة بتونس الفقيه ابي يحيى ابي بكر الغوري الصفاقسي وكان القاضي مريضا فكتم قرباوه موت صديقه ولم يخبروه به وجعلوا يوصون من يعوده بان لا يخبره بموت صديقه فاتى الفقيه ابو اسحاق بن عبد الرفيع لعيادة القاضي فاوصي ان لا يخبره بشيء فنسي واخبره فازداد القاضي مرضا على مرضه وتوفي يوم الاحد رابع عشر جمادى الاولى سنة تسع وتسعين فقدم بعده لقضاء الجماعة بتونس الفقيه العالم ابو اسحاق ابراهيم بن الحسن بن علي ابن عبد الرفيع الربعي وهي اول ولايته لهذه الخطة فحكم عاما واحد عشر شهرا ثم عزل وولي عوضه الفقيه ابو زيد عبد الرحمان ابن القطان البلوي من اهل سوسة في غرة ربيع الاخر من سنة احدى وسبعمائة وتوجه الى سوسة وابطا على الناس فضجوا من تاخر خصوماتهم فامر ابو اسحاق بن عبد الرفيع المذكور بتنفيذ الاحكام الى ان يقدم القاضي فتواصى حسدته من صنفه

بانه لا يعلم بوصوله حتى يكون بمحفل يقال له فيه لا تحكم فان القاضي قد وصل وجعلوا من يرصد الطريق ففهمها ابن عبد الرفيع واوصى من يثق به ان يخبره قبل دخول القاضي بوصوله ليكون هو الممسك عن الحكومة ويصرف العون عن بابه بنفسه فاتفق ان كان يوم سبت وقد جرت عادة قضاة تونس وفقهائها بوصولهم يوم السبت بمجلس الخليفة للسلام عليه ويجلس كل صنف منهم مع صنفه في بيوت اعدت لهم الى ان يخرج الخليفة فبينما الفقهاء والقضاة جالسون وابن الرفيع بينهم اذ اقبل كاشفه يعلمه قبل ان تصل رصدة حساده بقدوم القاضي فلما رءاه فهم فقام من محل جلوس القاضي منتقلا الى بيت اهل الشورى ففهم منه حسدته فحدقوا ابصارهم نحوه فانحلت عقدة سراويله وقد توسط حلقة المجلس فجعل يصلحها ونظر اليهم مستريقا فادار وجهه اليهم وقال — الحمد لله الذي لم يجعل فيكم من يصلح لها — فابكتهم ونكاهم من تشمتهم بقيامه * قال الشيخ ابو محمد عبد الواحد الغرياني اخبرني من اثق به ان عادة الموحدين قديما بتونس انهم لا يولون القضاء اكثر من عامين عملا بما اوصى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كتب عهده انه لا يولى عامل اكثر من عامين وايضا فانهم يرون ان القاضي اذا طالت مدة قضائه اتخذ الاصحاب والاخوان واذا كان بمظنة العزل لا يغتر وايضا فان الحال اذا كان هكـذا ظهرت مخائل المعرفة بين الاقران وكثر فيهم القضاة بتدربهم على الوقائع فيبقى الحال محفوظا بخلاف ما اذا استبد الواحد بعمل فانه لا يقع فيهم تناصف ولا يحصل لمن يلي بعده النفوذ بوظيفة ما قدم اليه الّا بعد حين وتنطمس قلوب الطلبة لاياسهم من الولاية الّا بعد مشقة * وفي ثاني صفر من سنة سبعمائة توفي الشيخ الفقيه النحوي ابو زكرياء اليفرني كان تلميذ ابن عصفور وخليفته في فنه * وفي الخامس عشر لشهر رمضان بعد صلاة الجمعة من سنة خمس وسبعمائة قتل العامة بتونس هداج بن عبيد الكعبي بجامع الزيتونة بسبب دخوله للجامع بخفيه فزجره بعض الناس عن ذلك فقال — دخلت والله بهما على السلطان —

فاستعظم ذلك العامة منه وقاموا عليه وقتلوه وجروه في طرق تونس وسببه انه
كان من روساء الكعوب وكان الكعوب قد اضروا بالسبل وعثوا في الارض فحقد
العامة عليهم وفعلوا به ذلك ولــــما بلغ خبره لقومه ازدادوا طغيانا واستقدم
احمد بن ابي الليل شيخ الكعوب حينئذ عثمان بن ابي دبوس من نواحي
طرابلس وبايعه واجلب به على الحضرة ونازلها وخرج اليهم الوزير ابو عبد
الله محمد بن يرزكين في العساكر فهزمهم وسار بالعسكر لتمهيد الجهات فوفد
عليه احمد بن ابي الليل ومعه سليمان بن جامع من رجال هوارة بعد ان
راجع الطاعة وصرف ابن ابي دبوس الى مكانه من نواحي طرابلس فقبض
عليهما وبعث بهما الى الحضرة فلم يزالا مثقفين الى ان هلك احمد بمحبسه
سنة ثمان وقام بامر الكعوب محمد بن ابي الليل ومعه حمزة ومولاهم ابنا اخيه
عمر رديفين له * وفي شهر جمادى من ســـنة ست وسبعمائة سافر شيخ
الموحدين ابو يحيى زكرياء بن احمد اللحياني بالعساكر الى جربة برسم
تخليصها من ايدي النصارى فقاتل القشتيل شهرين ثم رحل منها الى قابس
ثم الى بلاد الجريد وانتهى الى توزر ونزلها واعانه على الخدمة احمد بن
محمد بن يملول وخلص جبايي الجريد ورجع الى قابس وانزله عبد الملك بن
عثمان بن مكي بداره ولما استقر بقابس صرح بما كان في قصده من امر الحج
وصرف العساكر الى الحضرة فتولى بعده رياسة الموحدين بتونس ابو يعقوب
ابن يزدوتن وتحول هو عن قابس الى بعض جبالها خوفا من وخمها واقام ينتظر
الركب وكان مريضا الى ان بري وانتقل الى الطرابلس اقام بها حولا ونصفا
الى ان وصل في آخر سنة ثمان وفد الترك الذين كانوا قد بعثوا بهدية من
صاحب مصر ليوسف المريني راجعين من المغرب فخرج معهم حاجا وقضى
فرضه * وفي شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة هجر العامة باب القصبة
بتونس وهم يقولون - اخرجوا لنا ابن الدباغ الحاجب - من سبب ان العرب
اكثروا الغارات باطراف تونس فحينئذ ضج الناس من ذلك وصدر ذلك منهم
واتوا الى القصبة يريدون الثورة فسد الباب دونهم فرموه بالحجارة يشكون مـا

نزل بهم من الحاجب ابن الدباغ ويطلبون شفاء صدورهم بقتله ولما فعل العامة ذلك اراد رجال السلطان ان يركب لهم باصحابه ودخلته يطئونهم بحوافر الخيل فابى السلطان ذلك وامر ان يدافعوا بلين ومحولة وكان قد حصل بعضهم بداخل القصبة فاراد بعض اصحاب السلطان ان يغلق عليهم الباب ويقتلوا هنالك فابى السلطان وامر ان يدفعوا بركائز المزاريق لا بالاسنة حتى يخرجوا واغلظ الفقيه ابن عبد الرفيع على الناس بالقول في ذلك اليوم ولم يكن قاضيا وفي ذلك اليوم عزل حاكم المدينة لدخوله من باب القصبة راكبا حين كانت العامة عند باب ينتجمي دخل هو من باب الغدر راكبا فذنب بذلك ثم ان السلطان تتبع بالعقاب من تولى كبر ذلك من العامة وانحسم الداء * وفي سنة ثمان وسبعمائة المذكورة تزايد بتونس مولود بدرب عبو خارج باب السويقة ميتا على صفة غريبة غير معهودة وصفته ان على راسه تاجا من لحم له عينان كعيون البقر وانف وفم كفم القرد وليس في فمه لسان وفي قفاه شعر اكحل سبط منسدل قدر الشبر وتحته دفتان من لحم تنفتحان على خواء فارغ من عنقه متصل بدماغه وله ساعدان وكفان كبيران وبطن صغير وليس له عجز وله رجلان واصبعان بغير عظم فسبحان الخلاق العليم * وفي حادي عشر ذي الحجة وصلت الزرافة الى تونس في جفن التاجر ابي القاسم القنبي هدية من صاحب مصر * وفي صفر من سنة تسع وسبعمائة صنع المنجنيق بدار الصناعة بتونس ورمي به هناك ثلثة احجار * وفي الخامس لربيع الاخر من السنة المذكورة توفي الفقيه الاديب ابو القاسم بن عميرة وكان من فضلاء الكتاب الشعراء ممن حذا حذو ابيه وزيادة * وفي الثالث عشر لربيع الاخر سنة تسع المذكورة توفي صاحب تونس الامير ابو عبد الله محمد بن الواثق بمرض الاستسقاء ولم يخلف ابنا ذكرا فكانت خلافته اربعة عشر عاما وثلثة اشهر وسبعة عشر يوما وكان عقد مع الامير ابي البقاء خالد صاحب قسنطينة وبجاية على انهما ايهما توفي قبل الاخر اخذ الاخر بلاده * وكان السلطان

ابو البقاء خالد قد نزع اليه حمزة بن عمر بن ابي الليل عند اياسه من خروج اخيه من محبسه فرغبه في ملك الحضرة واستنهضه اليها فلما مرض السلطان ابو عبد الله محمد وتحقق ذلك السلطان ابو البقاء خالد وهو اذ ذاك ببجاية واعمالها جد في الحركة على تونس واظهر انها للجزائر ثم سار الى قسنطينة وترك نائبا بها الفقيه ابا الحسن علي بن عمر . فلما قرب من تونس ونزل قصر جابر توفي الامير ابو عبد الله صاحب تونس فاجتمع الاشياخ والكبار من الموحدين والحاجب اذ ذاك ابو عبد الله محمد بن الدباغ وتحدثوا هل يقع الوفاء بالعهد والشرط المتقدم او ينظرون من يبايعونه لانفسهم فاستقر رايهم على مبايعة الامير ابي بكر المعروف بالشهيد فبويع الامير ابو بكر المعروف بالشهيد ابن الامير ابي زيد عبد الرحمان ابن الامير ابي بكر ابن الامير السلطان ابي زكرياء يوم وفاة الامير ابي عبد الله وذلك يوم الثلثاء العاشر لربيع الاخر من سنة تسع وسبعمائة . ولما بويع اقر ابن الدباغ على حجابته وعلى كتب العلامة واقر الشيخ ابا عبد الله محمد بن يرزكين على الوزارة الا انه اظهر للحاجب ابي عبد الله محمد بن الدباغ ابعادا واقصاء وتهديدا وكان يحقد عليه امورا اوغرت صدره وعالبت على طوال السنين صبره وكان ينسب اليه التقصير في حقه والتقتير في رزقه وبلغه انه حض على قتله فلما علم ابن الدباغ ذلك سعى في فساد دولته . ثم ان السلطان ابا بكر رمى محلته بالسعترية وخرج في بروز عظيم وجيش وافر ومعه اولاد مهلهل وطائفة من الاعشاش وكان اولاد ابي الليل مع السلطان ابي البقاء خالد فلما تراءى الفريقان بقرب المدينة اراد السلطان ابو بكر المذكور الركوب للقائه بنفسه فلم يوافقه الاشياخ على ذلك وقالوا - يركب الشيخ ابو يعقوب مع الجيش للقاء - واستصعبوا امر السلطان خالد وجيشه فركب الشيخ ابو يعقوب والتقى الجيشان واقام السلطان ابو بكر بالسعترية بمحلته فوقع قتال شديد الى غروب الشمس وانهزم الشيخ ابو يعقوب واخذ الوزير ابو عبد الله بن يرزكين وقتل واحرقه العرب بالنار لحسائف كانت في نفوسهم عليه واستمرت الهزيمة

الى المدينة فركب الشهيد ودخل المدينة وانتهبت محلته واصبح ابو البقاء
خالد على المدينة فخرج السلطان الشهيد ووقف عند جامع الهوى ومعه فئة
قليلة من الجيش وبين يديه جمع من المشاة ووقع القتال بالسبخة وفر الناس
الى السلطان ابي البقاء خالد الى ان بقي الشهيد وحده فرمى تاجه من راسه
وفر هاربا والناس في طلبه وهو يرمي لهم ما كان عليه من سقط يشغلهم عنه
الى ان استقر بجنان علي بن صابر بخارج درب الخضراء فسار علي بن صابر
الى المحلة وعرف بالقضية فعين له خيل وجماعة من اصحاب الركاب
فجاءوا به الى المحلة فضرب له خباء وبات فيه فلما اصبح جلس السلطان
خالد في خباء للبيعة العامة وخرج الموحدون والقضاة وسائر اشياخ تونس
للبيعة فلما استوفوا البيعة بعد ان اعرض عنهم وذنبوا ببيعتهم لابي بكر امر
الاشياخ ان يعاينوه فعاينوه واعترفوا انه سلطانهم بالامس فاخرج من الخباء
وامر صاحب الركاب ان يضرب عنقه بعد ما عقد شعره بيك فلما اقبل عليه
ليقتله انتهره ولعنه وقال - انما يقتلني من هو كفو لي - فامر السلطان خالد ابا
زكرياء يحيى مزوار الغرابة القادم معه فضرب عنقه وذلك يوم الجمعة السابع
والعشرين من ربيع الاخر سنة تسع وسبعمائة فسمي الشهيد الى ءاخر الدهر
فكانت ولايته سبعة عشر يوما وتولى بعده المولى ابو البقاء خالد ابن المولى
ابي زكرياء يحيى ابن المولى ابي اسحاق ابراهيم ابن المولى الامير ابي زكرياء
ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد امه ام ولد اسمها عز العلاء بويع بتونس في
السابع والعشرين من ربيع الاخر المذكور ولقب بالناصر لدين الله كان شيخ
دولته الشيخ ابو محمد عبد الله ابن عبد الحق وحاجبه الرئيس ابو عبد الرحمان
ابن محمد بن الغازي القسنطيني وابقى ابا يعقوب بن يزدوتن في رياسته
على الموحدين مشاركا لابي زكرياء يحيى بن ابي الاعلام لكونه رئيسا
عنده من قبل وولى على الاشغال بالحضرة منصور بن فضل بن مزني وعقد
لاخيه المولى الامير ابي بكر على قسنطينة فانتقل اليها وهرب الحاجب ابو
عبد الله محمد بن الدباغ الى زاوية الزبيديين فاحتال عليه ابن عمر حتى خرج

اختيارا فثقف ودفع خمسين الفا من الدنانير وطلب في غير ذلك فاقام في السجن مريضا الى ان توفي في السابع والعشرين من رجب السنة المذكورة واخرجت جنازته وصلي عليها ولم يصحبها للدفن إلّا قليل من الناس نحو عشرة على خوف * وفي سنة عشر وسبعمائة توفي الفقيه المفتي ابو علي عمر ابن محمد بن عمر بن علوان الهذلي بتونس وفي الرابع والعشرين من السنة المذكورة توفي شيخ الشيوخ بتونس السيد المقري ابو العباس احمد بن موسى الانصاري البطرني وفي صفر سنة احدى عشرة قتل الشيخ ابو محمد عبد الله ابن عبد الحق بن سليمان شيخ دولة الامير خالد قتله هوارة . وفي يوم الخميس التاسع لجمادى الاولى من السنة المذكورة وصل الشيخ ابو عبد الله المزدوري صحبة العرب الى تونس نائبا عن الامير ابي يحيى زكرياء بن احمد بن محمد اللحياني وكان وصل من الحجاز الى افريقية فوجد الاحوال قد اضطربت بها ووجد العرب غلبت على افريقية فعزم على الولاية فبويع بطرابلس وكان صاحب قسنطينة المولى ابو بكر قد بايع لنفسه بقسنطينة لما سمع باختلال احوال افريقية كما يذكر بعد ولما سمع السلطان خالد بذلك جهز عسكرا وعقد عليه لظافر مولاه المعروف بالكبير وسرحه الى قسنطينة فانتهى الى باجة فاراح بها ثم لما سمع المولى ابو بكر صاحب قسنطينة بقدوم الامير ابي يحيى زكرياء بن اللحياني ومبايعته بطرابلس اوفد عليه هنالك حاجبه ابا عبد الرحمان بن عمر بهدية ووعد بانه ممده ومظاهره على شانه فاحكم ذلك عقدة الامير ابو يحيى بن اللحياني وشد في امره وتواثب اليه رجال الكعوب اولاد ابي الليل وغيرهم فبايعوه واستحثوه للحضرة فارتحل اليها وبعث في مقدمته اولاد ابي الليل ومعهم شيخ دولته الشيخ ابو عبد الله محمد المزدوري فوصلوا الى تونس فكانت بتونس معركة قتل فيها شيخ الدولة ابو زكرياء الحفصي وتسارع الناس للمزدوري ومكنوه من تونس بعد اشهاد صاحبها ابي البقاء خالد على نفسه بالخلع بعد حديثه في ذلك مع قاضيه قاضي الجماعة حينئذ بتونس ابن عبد الرفيع فقال له الخلع ينجيك ان لم تقدر على المقابلة

فخلع نفسه وكان به مرض لا يقدر معه على الركوب وكانت له محلة قائمة
بباجة قائدها ظافر الكبير كما تقدم فوجه اليه ليرجع فلما وصله الامر ارتحل
راجعا فتلقاه اولاد ابي الليل فاخذوه قبل وصوله واخذوا المحلة واستولوا على
ظافر صاحبها وعلى امثاله وثقفوه ومن هو مثله عندهم الى ان سرحوه بعد ذلك
فلحق بالمولى السلطان ابي بكر بقسطينة فآثره واستخلفه كما كان لاخيه
وولاه على قسطينة فاقام بها واليا الى ان استقدمه الى بجاية فكانت دولة
السلطان خالد بتونس عامين وثلثة عشر يوما وتوفي بتونس قتيلا في سنة احدى
عشرة المذكورة كذا ذكر ابن الخطيب في الفارسية وفي مشهده في القبة التي
تحت جامع الجلاز بالجبل شرقي الجامع انه توفي في جمادى الاخرى عام ثلثة
عشر * وفي يوم الجمعة ثاني يوم وصول المزدوري لتونس خطبوا خطبة لم
يذكروا فيها اماما معينا وانما قال الخطيب - اللهم وارض عمن يقوم بامر عبادك
ويصلح ما ظهر من الخلل في بلادك - في دعوات من هذا النمط * وفي يوم
الاحد الثاني من رجب من سنة احدى عشرة بويع البيعة العامة بمنزل
المحمدية الامير ابو يحيى زكرياء ابن الشيخ المعظم ابي العباس احمد ابن
الشيخ المعظم ابي عبد الله محمد اللحياني ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد
امه ام ولد اصلها رومية اسمها محرم ولد سنة احدى وخمسين وستمائة
وسلم له الامر بتونس وكان مشاركا في العلم والادب ولذلك كان يالف اهل
العلم وكان في اول امره كثير التمنع من الامر وكان احب الامور اليه ان
يكون نائبا عن خليفة يكون قابلا لكلامه موثرا له عن من سواه عاملا بمقتضى
السياسة فلذلك رد افعال من كان قبله واسترجع البلاد التي سوغت وقال
ما يمضي عطاء من لا يعرف قدر ما اعطى ثم عرض عليه الجيش واسقط منه
من لم يكن له اصل ثابت في القبائل وسار في الناس سيرة حسنة ومكن
ولده للحكم عند القاضي ابي اسحاق بن عبد الرفيع في دم ادعي عليه به
وهذا كان سببا في محنة القاضي المذكور وذلك انه ثبت رسم التدمية
على ابن الخليفة وحكم عليه بالقتل فعفا عنه من له الحق فبعد مدة كبيرة

تولى المحكوم عليه الخلافة فامر بالقاضي المذكور فسجن بالمهدية في ماجل بها بقي فيه عامين وبعض الثالث فكان يقول - انما اصابني ما اصابني بتثقيفي الشيخ الصالح ابا علي القروي يوما بسنة - وذلك انه انكر عليه جمعه بجامع الزيتونة وكان بعض سقفه قد سقط فراى انه قد نقض شرط السقف فامر القاضي بثقافه . ولاول ولاية الامير ابي يحيى زكرياء بتونس امر بخطة الانشاء والعلامة الكبرى للفقيه ابي عبد الله محمد بن ابراهيم التجاني وابقى ابن الخباز على ما كان عليه من كتب العلامة الصغرى الى ان توفي بعد فاضيفت علامته الى التجاني وذلك اول يوم من المحرم فاتح عام سبعة عشر وسبعمائة واعاد الحاجب ابا عبد الرحمان بن عمر الى مرسله المولى ابي بكر صاحب قسنطينة بعد ان عقد معه على المهادنة وضمن ابن عمر من ذلك ما رضيه فقدم ابن عمر على المولى ابي بكر ببجاية وعاد الى حجابته كما كان * وفي سنة ثنتي عشرة وسبعمائة توفي الفقيه ابو يحيى ابو بكر بن ابي القاسم بن جماعة الهواري * وفي عام ستة عشر وسبعمائة امر السلطان ابو يحيى زكرياء بعمل ابواب من خشب وعوارض منه لبيت جامع الزيتونة فعملت على ما هي عليه اليوم في شهر رمضان من العام المذكور وكتب تاريخ ذلك في قنبجة باب البهور وفي العام المذكور ولد الشيخ الامام العالم ابو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي * ثم ان السلطان ابا يحيى زكرياء راى اضطراب الاحوال وافتتان العربان وظهر له خروج الامر من يده وتوقع مجيء السلطان ابي بكر الى الحضرة بما ظهر من دلائل النجابة عليه فجمع الاموال وباع جميع الذخائر التي كانت في القصبة حتى الكتب التي كان الامير ابو زكرياء الاكبر جمعها واستجاد اصولها ودواوينها اخرجت للكتبيين فبيعت بدكاكينهم زعموا انه جمع قناطير من الذهب تجاوز العشرين وجولقين من حصا الدر والياقوت واستعمل حركة لقابس وخرج اليها في اوائل عام سبعة عشر وسبعمائة بعد ان رتب بتونس اجنادا يذبون عنها منهم مع قائد المدينة الف فارس وبعضهم بانف الجبل بقبلة تونس وبعضهم بالمعاوين وبعضهم

على طريق باجة وخرج من تونس في قدر الف فارس واستخلف بها ابا الحسن بن وانودين فرحل الى قابس فسكنها وبقي فيها ويقال انه خرج باربعة وعشرين قنطارا من الذهب وخرج باهله وولده الّا ولده محمد فانه تركه معتقلا * ولما خرج هو من تونس تحرك السلطان ابو بكر وارتحل من قسنطينة في جمادى الاخرى من سنة سبع عشرة قاصدا الحضرة ولقيه وفد العرب وانتهى الى باجة وانصرفت حاميته الى تونس وكان نواب ابي يحيى زكرياء كتبوا له بحركة ابي بكر على تونس فكتب لهم ـ المال عندكم والاجناد وما فعلتم فقد امضيته ـ فوجدوا عندهم من المال المجتمع من حين سافر مائة الف دينار وخمسين الفا ووجدوا من الاجناد سبعمائة فارس فاخرجوا ولده محمدا من الثقاف واستنابوا الشيخ ابا الحسن بن وانودين على تونس وخرجوا الى القيروان ومعهم الامير محمد المعروف بابي ضربة ابن السلطان ابي يحيى زكرياء راكبا بغلة دون سلاح وخرج جميع الاشياخ وخالفهم الى المولى السلطان ابي بكر مولاهم ابن عمر بن ابي الليل لما كان في نفسه من السلطان ابي يحيى زكرياء لكونه كان يوثر عليه اخاه حمزة فلقي السلطان دوين باجة واستحثه لتونس فوصلها ونزل في رياض السناجرة في شعبان من سنة سبع عشرة * وكان الامير محمد ابو ضربة ومن معه لما خرجوا من تونس لقيهم حمزة ابن عمر بن ابي الليل فقال لهم ـ الى اين ـ فقالوا ـ الى القيروان ومن ثم نكاتب السلطان بقابس ونعرفه ان صاحب قسنطينة قد ملك تونس ـ فقال لهم ـ هذا هو السلطان ـ يعني به محمدا ابا ضربة ونزل فبايعه وجميع الناس واجتمعت عليه كلمة الموحدين والعرب وذلك في اواسط شعبان من عام سبعة عشر ورجعوا بجميعهم الى تونس فكتب حمزة بخطه لاخيه مولاهم ارجع بسلطانك فرجع ورحل به من رياض السناجرة بعد ان اقام بها سبعة ايام وضربت المفرحات هنالك وسار الى قسنطينة ورجع عنه مولاهم من تخوم وطنه وبقي حمزة وابن اللحياني بخارج تونس والخطبة مشتركة بينه وبين ابيه يقول الخطيب بعد ذكر السلطان ـ اللهم وارض عن نجلهم الناشي

عن مقامات شرفهم المستنصر بالله امير المومنين ابي عبد الله محمد * وفي
اواسط شعبان من العام المذكور بويع بتونس الامير ابو عبد الله محمد ابن
الامير ابي يحيى زكرياء ابن الشيخ ابي العباس احمد ابن الشيخ ابي عبد
الله محمد اللحياني ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص
وتلقب بالمستنصر . ولما ورد على والده الامير ابي يحيى زكرياء الخبر بقابس
بما وقع بتونس وان السلطان ابا بكر هزم ولده وراى الامور تفاقمت خرج
من قابس الى طرابلس ببقية الجيش الذين كانوا معه وخمسين فارسا من
رماة الاندلس فاقام بطرابلس وبنى بها موضعا لجلوسه يقال له الطارمة بناه
بالجليز والرخام واحيا اعمال طرابلس ثم سرح ذلك الجيش لنصرة ولده صحبة
حاجبه ابي زكرياء بن يعقوب ووزيره ابن ياسين بالاموال ففرقها في العرب
وزحفوا بهم الى القيروان مع الامير محمد ابي ضربة المذكور فخرج السلطان
ابو بكر فهزمهم ونجا ابو ضربة الى المهدية فامتنع بها ولحق الحاجب المذكور
وبعض الفل بالسلطان ابي يحيى زكرياء بطرابلس فارسل الى النصارى
وطلب منهم عمارة ستة اجفان فوردت عليه وطلع فيها باهله وولده وماله
وحاجبه ابي زكرياء بن يعقوب وترك صهره ابا عبد الله محمد بن ابي بكر
ابن ابي عمران من قرابته حافظا لطرابلس فلم يزل الى ان استدعاه الكعوب
ونصبوه للامر واجلبوا به على السلطان ابي بكر مرارا كما يذكر بعد وسافر
الامير ابو زكرياء في البحر الى الاسكندرية فنزل بها على السلطان محمد بن
قلاوون واستقدمه الى مصر فعظم مقدمه واهتز للقائه واسنى جرايته واقطاعه
الى ان هلك سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فكانت خلافة ابي يحيى زكرياء
بتونس ستة اعوام واربعة اشهر * ولما تولى تونس الامير ابو عبد الله محمد بن
ابي ضربة تحدث مع الناس في بناء سور على الارباض فاجابوه الى ذلك
وشرع فيه ثم ان حمزة بن عمر بن ابي الليل طلب منه كسوة الف فارس
كل فارس بثلثين دينارا وغير ذلك من المطالب حتى ما ابقى له شيئا من
المال . ثم ان المولى ابا بكر حشد الحشود في صفر من سنة ثمان وعشرين

وسبعمائة قاصدا تونس واستعمل على حجابته ابا عبد الله محمد ابن القالون
ويرادفه ابو الحسن بن عمر وسار الى ان وصل الى الاربس فوافاه وفد
هوارة وكبيرهم سليمان بن جامع واخبره ان الامير ابا ضربة ارتحل عن باجة
عازما على اللقاء فارتحل السلطان ابو بكر مجدا ولقيهم مولاهم ابن عمر بن
ابي الليل فراجع الطاعة وارتحل في اتباع ابي ضربة وجموعه فخرج اليه
العمال والمشيخة وبايعوه وارتحل راجعا عن اتباع عدوه الى حضرة تونس
وكان ترك بها نائبا محمد بن الفلاق ليمنعها فاخرج الرماة الى ساحته
وقاتل ساعة من نهار ثم اقتحموها عليه واستبيح عامة ارباضها ودخل السلطان
الى الحضرة في شهر ربيع من سنته وكان ملكها يوم الخميس السابع لربيع
الاخر من سنة ثمانية عشر ودخلها من الغد يوم الجمعة وجددت له البيعة
بها فكانت مدة خلافته بتونس تسعة اشهر ونصف شهر وتولى تونس امير
المومنين المتوكل على الله ابو بكر ابن الامير ابي زكرياء يحيى ابن المولى
السلطان ابي اسحاق ابراهيم ابن الامير ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي
محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص امه ام ولد رومية اسمها املح الناس
كانت ولادته بقسنطينة في شهر شعبان من عام اثنين وتسعين وستمائة *
وفي يوم الاثنين ثامن عشر لربيع الاخر من سنة ثمان عشرة وسبعمائة المذكورة
قدم للقضاء بتونس الشيخ الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن الغماز عرضه
عليه السلطان فاجاب — وكم دعا قوما فلم يقبلوا * وفي شهر رمضان سنة
تسع وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الصالح العالم المفتي امام جامع الزيتونة
وخطيبه ابو موسى هارون الحميري وكان لما مرض استخلف في الخطبة
الشيخ ابن عبد السلام فبلغ ذلك قاضي الجماعة حينئذ ابن عبد الرفيع فقدم
الشيخ ابا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الستار واخر ابن عبد السلام فاتاه
وقال له ابجرحة هذا قال لا لكن اهل تونس ما يولون جامعهم الا لمن هو
من بلدهم * ولما مات ابو موسى استبد ابن عبد السلام بذلك وضرب الدهر
ضرباته فولى ابن عبد السلام القضاء بتونس ولم يزل ابن عبد الستار خطيبا

الى ان مات سنة تسع واربعين وكان ابن عبد الستار مدرسا بمدرسة المفرض
ويذكر ان ابن عبد السلام قرا عليه * ومن ورعه ومهانة نفسه انه كان
يخطب يوم الجمعة بثياب صلاته فاذا كان من الغد لبس جبة خشنة
وجعل على ظهر حمارة الرشا وساقه بيده خارجا لجنانه الذي منه يعيش
ويخدمه بيده * وسبب حرفته بالفلاحة انه راى في منامه زمن وجهته
للحج ان القيامة قد قامت ونودي بالناس هلموا الى باب الجنة قال فسرت
مع جماعة فادخلوا ورددت وقيل لي انك لست من هولاء فقلت ومن هم قالوا
الفلاحون قال فآليت على نفسي ان رجعت لبلدي ان نحترف بالفلاحة *
وفي شعبان من سنة سبع وعشرين توفي بتونس الحاجب محمد بن عبد
العزيز المعروف بالمزوار فاستقدم السلطان محمد بن الحسين بن سيد الناس
من بجاية فقدم في المحرم فاتح سنة ثمان وعشرين وولاه حجابته وكان
السلطان ابو بكر لما خلص الى بجاية بعد الكائنة التي وقعت عليه عزم على
الوفود على ملك المغرب ابي سعيد ليفزعه على ءال يغمراسن بن زيان فاشار
عليه محمد بن الحسين وزيره ببعث ولده الامير ابي زكرياء فبعثه في البحر مع
الشيخ ابن تافراجين فلما قدموا على ابي سعيد واستصرخوه بكتب السلطان
له بذلك اهتزهو وولده الامير ابو الحسن لذلك * ولما اجتمع السلطان
ابو سعيد بالامير ابي زكرياء يوم مقدمه قال له - والله لقد اكبر قومنا قصدك
وموصلك والله لابذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولاسيرن بعسكري
الى تلمسان فانزلها لكن بشرط ان يكون ابوك معي - فانصرفوا مسرورين وقبلوا
شرطه ونهض السلطان ابو سعيد الى تلمسان سنة ثلثين فجاءه اليقين بوادي
ملوية ان السلطان ابا بكر استولى على تونس واخرج زناتة وسلطانهم عنها
في رجب من عام ثلثين وجددت له البيعة بها وهي المرة السادسة في
اخبار تركت خشية الطول فاستدعى السلطان ابو سعيد الامير ابا زكرياء
ووزيره الشيخ ابن تافراجين وامرهم بالانصراف الى صاحبهم واسنى جوائزهم
وركبوا اساطيلهم من ساغاسة وارسل معهم للخطبة والصهر ابراهيم بن حاتم

المغربي والقاضي ابا عبد الله بن عبد الرزاق ورجع السلطان ابو سعيد الى حضرته ولـمـا انعقد الصهر للمولى ابي الحسن بالحرة فاطمة زفها اليهم في اساطيله مع مشيخة الموحدين فوصلوا بها من ساغاسة بين يدي مهلك السلطان ابي سعيد وبعد وفاته بويـع لولده ابي الحسن وزفت اليه فاعرس بها واجمع امره على الانتقام لابيها من عدوه فارتحل الى تلمسان سنة ثمان وثلثين فبلغه الخبر ان اخاه ابا علي صاحب سجلماسة نكث البيعة فرجع اليه فحاصره حتى اخذه ورجع الى حضرته * وفي خامس المحرم من سنة احدى وثلثين وسبعمائة توفي القاضي ابو علي عمر بن محمد بن ابراهيم بن عبد السيد الهاشمي كان قاضي الانكحة وكان بينه وبين قاضي الجماعة ابن عبد الرفيع منافسات جرتها الرياسة واوجبها التنازع في استحقاق منصب خطة القضاء بحيث آل الامر بينهما الى تباعد كل منهما عن صاحبه . شور القاضي ابو علي في عقدة نكاح بين ذميين بشهادة المسلمين فاباحه فسمع قاضي الجماعة فانكره فوجه قاضي الانكحة هذا لعدول تونس وامرهم بالشهادة فيه والف كتابا في اباحة الحكم بينهم والشهادة عليهم وفي انكحتهم وسماه « ادراك الصواب في انكحة اهل الكتاب » والف قاضي الجماعة كتابا على صحة قوله ذكر ذلك ابن عبد السلام عنهما قال ابن عرفة قلت لابن عبد السلام ما الصواب عندك قال المنع لانهم لا يتحفظون في انكحتهم قال ابن عرفة والصواب عندي الجواز لانا لا نطالبهم بما يجوز عندنا شرعا ولا تضرنا مخالفتهم في ذلك نقله السلاوي * وفي عام اثنين وثلثين وصل الامير عبد الواحد ابن السلطان ابي يحيى زكرياء بن اللحياني اخو ابي ضربة لتونس فملكها عند قدومه بعد موت ابيه من المشرق مع دباب وابن مكي وتسامع به الناس وافريقية خالية من حاميتها لنهوضهم الى بجاية فاغتنم حمزة بن عمر الفرصة فاستقدمه وبايعه ورحل به الى تونس ودخلها الامير عبد الواحد وحاجبه ابن مكي وقام بها الى ان بلغ الخبر السلطان بمقربة من مسيلة بعد هدمه حصن بني عبد الواحد المحدث على

بجاية . فقفل الى الحضرة و بعث في مقدمته محمد البطرني من بطانته في عسكر اختارهم لذلك . فاجفل ابن اللحياني وجموعه عن تونس لخمس عشرة ليلة من نزولهم ودخل البطرني اليها وجاء السلطان على اثره ايام عيد الفطر من سنة اثنتين وثلثين وسبعمائة وجددت له بتونس البيعة وهي المرة السابعة له كما قيل —

القت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

وفي يوم الخميس ثالث عشر ربيع الاول من سنة ثلث وثلثين وسبعمائة اخذ محمد بن ابي الحسن بن سيد الناس بتونس ثم قتل وصلب واحرق بالنار ولم يظهر من ماله شي . وذكروا ان سبب ذلك فلتات من لسانه مع ما كانت الظنون تترجم عن ذلك بالمداهنة وكان الذي تولى القبض عليه محمد بن الحكيم . قال ابن الخطيب فلم تعد النار على يده اليمنى بشي وردت للنار مرارا فلم تعد عليها وهذا خبر لا شك فيه صحيح . وأُوّلت بالصدقة او بكتب ما فيه قربة . وقلدت الحجابة بعده للكاتب ابي القاسم بن عبد العزيز الغساني . وفي شهر رمضان المعظم من سنة ثلث وثلثين توفي الشيخ الفقيه العالم ابو اسحاق بن عبد الرفيع قاضي الجماعة بتونس من بيوتات التونسيين ودفن بدار اعدها لدفنه قرب جامع القصر الاعلى وجعل بازائها مكتبا لتعليم الولدان كان مولده في ربيع الاول من عام سبعة وثلثين وستمائة بلغ عمره خمسا وتسعين سنة منها ثلثون يتردد فيها ولاية القضاء بين تبرسق وقابس ثم ترقى الى قضاء تونس فداولها في خمس دول اولها في شهر جمادى الاولى من عام تسعة وتسعين وستمائة وكانت له معرفة بالوثائق والاحكام منفذا لاحكامه غير متهيب للامراء مقبوض اليد سالم العرض وله تصانيف منها مفيد الحكام ومنها الرد على المتنصر ومنها اختصار اجوبة ابن رشد ومنها الاجوبة عن اسئلة اوردها القاضي ابو بكر الطرطوشي ثم ولي بعده قضاء الجماعة نائبه الفقيه ابو علي عمر بن قداح الهواري وكان فقيها حافظا لمذهب مالك مفتيا له مشاركة في علم الاصول ولي قضاء

للانكحة بتونس في كرتين ودرس بالشماعية ولم تطل ايامه في القضاء وتوفي
رحمه الله في عام اربعة وثلثين وسبعمائة . قال الشيخ ابن عرفة حدثني
من اثق به لما مات القاضي ابن قداح بتونس تكلم اهل مجلس السلطان ابي
يحيى في ولاية قاض فذكر بعض اهل المجلس الشيخ ابن عبد السلام فقال
بعض اهل المجلس الكبار انه شديد الامر ولا تطيقونه فقال بعضهم نستخبر
امره فدسوا عليه رجلا من الموحدين كان جارا له يعرف بابن ابراهيم فقال
له هولاء امتنعوا من توليتك لانك شديد في الحكم فقال له انا اعرف العوائد
وامشيها فحينئذ ولوه من عام اربعة وثلثين وسبعمائة الى ان توفي عام تسعة
واربعين حسبما يذكر بعد . قال الشيخ البرزلي في تاليفه بعد ان ذكر هذه
الحكاية لعله انما ذكر ذلك لانه خاف ان يتولى من لا يصلح بوجه فكان
كلامه مانعا منه * وكان الشيخ ابن عبد السلام عالما ساد بالعلم وراس .
واقتبس من الحضرة ما اقتبس . له التاليف المشهور الذي شرح فيه ابن
الحاجب . وكان غيره من شروحات ابن الحاجب بالنسبة اليه كالعين
من الحاجب . جمع بين القضاء والخطابة والتدريس والفتوى وكان يدرس
بالمدرسة الشماعية ولما بنت اخت السلطان ابي يحيى مدرسة عنق
الجمل طلبت من اخيها السلطان ابي يحيى ان يكون قاضي الجماعة ابن
عبد السلام مدرسا بمدرستها فاسعفها فكان يقسم الجمعة بين المدرستين ثم
ان الحرة عزلته من مدرستها ونسبته للتفريط وقدمت مدرسا الشيخ الفقيه
ابا عبد الله محمد بن سلامة * وفي عام خمسة وثلثين كمل بناء البرج الجديد
براس الطابية و بلغت النفقة فيه خمسين الف دينار وكان ينفق فيه من
مال العموم * وفي العام المذكور تحرك السلطان ابو يحيى ابو بكر الى مدينة
قفصة وكان استبد بشوارها يحيى بن محمد بن علي بن عبد الجليل بن
العابد الشريدي من بيوتاتها فنازلها السلطان اياما ونصب عليها المجانيق
فامتنعوا ثم جمع الايدي على قطع نخلهم واقتلاع شجرهم فنادوا بالامن فامنهم .
وخرج اليه ابن عبد الجليل في ربيع الاخر من السنة المذكورة فاشخصه

الى الحضرة وانزله بها مع رجال من قومه بني العابد وفر سائرهم الى قابس.
فنزلوا في جوار ابن مكي ودخل اهل البلد في حكمه فاحسن التجاوز عنهم
ثم ءاثرهم بان قدم عليهم ولده الامير ابا العباس احمد واوصاه بهم وعقد له
على قسنطينة وما اليها وجعل معه على حجابته ابا القاسم بن عبو من مشيخة
الموحدين وقفل الى حضرته فدخلها في شهر رمضان المعظم من سنته * ثم
عقد على سوسة والبلاد الساحلية لولديه الاميرين ابي فارس عزوز وابي البقاء
خالد وانزلهما بسوسة وانزل معهما محمد بن طاهر حاجبا لهما ثم هلك محمد
ابن طاهر فاستقدم السلطان محمد بن فرحون من بجاية ثقة باستبداد ابنه
وان يولي من شاء على حجابته وانزل ابن فرحون مع هذين الاميرين
لصغرهما وذلك في سنة خمس وثلثين المذكورة ثم استدعاه الامير ابو زكرياء
الى بجاية فرجع اليه واقام هذان الاميران بسوسة الى ان نكب السلطان
قائده محمد بن عبد الحكيم واستنزل قريبه محمد بن الدكداك من المهدية
وكان انزله بها ابن عبد الحكيم لما افتتحها من يد المتغلب عليها ابن عبد
الغفار حسبما يذكر واتخذها حصنا لنفسه وانزل بها قريبه هذا وملاها
بالعدد والاقوات فلم تغن عنه شيئا وبعد مهلكه استنزل ابن الدكداك وعقد
عليها لابنه الامير ابي البقاء خالد وافرد الامير ابا فارس بسوسة الى ان
كان من امرهما ما يذكر بعد ان شاء الله * وفي اواسط سنة خمس وثلثين
خرج السلطان ابو الحسن المريني من فاس الى تلمسان لاخذ ثار صهره
السلطان ابي يحيى ابي بكر من صاحبها ابن تاشفين ففتحها عنوة وغلبها
لسبع وعشرين من شهر رمضان المعظم سنة سبع وثلثين وسبعمائة ووقف
صاحبها في ساحة قصره فقاتل هنالك مع خاصته حتى قتل ابناه عثمان
ومسعود ووزيره موسى بن علي وجملة من كبار اصحابه واثخنته الجراح
ووهن لها فقبض عليه ورفع الى السلطان فلقيه الامير عبد الرحمان ابن السلطان
ابي الحسن فامر به فقتل واحتز راسه وشهد ذلك اليوم الشيخ ابن تافراجين
كان وافاه رسولا عن السلطان ابي يحيى ومجددا للعهد فامره السلطان ابو

الحسن بالرحيل الى سلطانه السلطان ابي يحيى ابي بكر بالبشارة فدخل تونس لسبع عشرة ليلة من يوم الفتح فعظم ذلك السرور عند السلطان ابي يحيى ابي بكر بمهلك عدوه وللانتقام منه بثاره فيقال ان عدد القتلى الذين قتلوا ايام حصار تلمسان هذا من الفريقين ثمانون الفا * وفي الليلة الموفية عشرين من جمادي الثانية سنة ست وثلثين وسبعمائة توفي الشيخ الفقيه الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي بمدينة تونس شارح ابن الحاجب اصله من قفصة ونشا بها وقرا ثم انتقل الى تونس واخذ عن ابن الغماز ثم انتقل الى المشرق فلقي اعلاما كناصر الدين بن المنير للابياري . وشهاب الدين القرافي . وتقي الدين ابن دقيق العيد . وشمس الدين للاصفهاني وغيرهم واتقن القراءة في المعقولات وحج وزار . ولما عاد من المشرق قدم لقضاء بلده قفصة فحسد وسلق بالسنة حداد وجرت عليه خصائص وقدم لقضاء الجزيرة القبلية ثم عزل واخمل ذكره وناواه القاضي ابو اسحاق بن عبد الرفيع فلم يتركه يخرج راسه طرفة عين حتى لقد منعه الجلوس للوعظ بجامع القصر الاعلى وقال له ان دخلته اكسر رجليك . فكان ابن راشد يقول اتمنى ان اجلس انا وهو للمناظرة حتى يظهر الحق ويتبين ذو المقدم في العلم . وله تصانيف منها تلخيص المحصول . ونخبة الراحل في شرح الحاصل . والفائق في الاحكام والوثائق في ثمانية اسفار . والشهاب الثاقب في شرح ابن الحاجب في ثمانية اسفار . والمذهب في ضبط مسائل المذهب في ستة اسفار . وتحفة اللبيب في اختصار ابن الخطيب في اربعة اسفار . والمذاهب السنية في علم العربية . والمرتبة العليا في تفسير الرويا وغير ذلك * قال الشيخ ابن عرفة حضرت جنازته فقدر ان جلس الفقيه ابن الحباب بالجبانة مستندا الى حائط جبانة اخرى وكان بالاخرى مستندا الى ذلك الحائط الشيخان القاضي ابن عبد السلام والمفتي ابن هارون فاخذ ابن الحباب في الثناء على ابن راشد وذكر من فضائله وعلمه ما دعاه الحال الى ان قال ويكفي من فضله انه اول من شرح جامع الامهات

لابن الحاجب ثم جاء هولاء السراق واشار الى الجالسين خلفه فعمد كل واحد منهم الى وضع شرح عليه واخذ من كلامه ما لولاه ما علم اين يمر ولا يجيء * وفي التاسع والعشرين من جمادى الاخرى من سنة سبع وثلثين وسبعمائة توفي بتونس الفقيه المورخ ابو محمد عبد الله بن محمد بن ابي القاسم بن علي بن عبد البر التنوخي كان اماما بجامع الزيتونة وخطيبا بجامع القصبة عدلا ذا سمت حسن له عناية بالتاريخ والرواية اختصر ذيل السمعاني واقتضب تاريخ الغرناطي والف تاريخا على طريقة الطبري مرتبا على السنين من سنة البعثة المحمدية الى زمنه اجاد فيه وتجزيته من ستة اسفار . وكان يجلس لرواية مقامات الحريري بدويرة جامع الزيتونة . وبه استدل الشيخ ابن عرفة على فعل مثل ذلك ذكره في مختصره الفقهي وجعله حجة في العمل مع ما في المقامات من المثالب . قال الشيخ ابو محمد عبد الواحد الغرياني لما ولي شيخنا القاضي عيسى الغبريني امامة جامع الزيتونة بعد شيخنا ابن عرفة سالني هل عندك علم في مسند النقارة التي تهز بدويرة الجامع اعلاما باقامة الصلاة فاخبرته ان ابي حدثني عن شيخه عبد الله بن البر هذا انه كان اذا اتى للجامع اكثر ما يجلس على اصطبل بازاء باب الجنائز فاذا رءاه الموذن هنالك اقام الصلاة وقليل جلوسه في الدويرة الا لعذر او لرواية كتاب عليه فربما لا يعرف الموذن هل هو هنالك ام لا فتجد خدمة الجامع يهزون تلك النقارة اعلاما بحضوره على وجه الندرة لا على وجه الكثرة فاستحسن اخباري له بهذا والتزم طرح نقرها وقال اني لم ادرك وجها للخلاص في فعلها وبقي كذلك الى ان مات ولما ولي بعده الشيخ ابو القاسم البرزلي امامة الجامع اعاد النقارة اقتداء بشيخه ابن عرفة الى ان مات ومن بعده من ايمة زماننا بعضهم يتركها كالشيخ ابي الحسن بن محمد اللحياني وبعضهم لا يتركها . وفي عام ثمانية وثلثين وسبعمائة فتح القائد مخلوف بن الكماد قشتيل جربة واستخلصه من ايدي النصارى بعد ان حاصره اعظم محاصرة * وفي عام تسعة وثلثين

فتح القائد محمد بن عبد الحكيم المهدية واستخلصها من يد عبد الغفار بعد ان سكنها اعواما * وفي يوم الاربعاء الخامس عشر لذي الحجة من العام المذكور توفي صاحب قسنطينة الامير ابو عبد الله محمد ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر بقسنطينة بمرض اصابه فقد شهوة الطعام وسنه يقرب من الثلثين سنة وترك من الاولاد الذكور سبعة فتوجه منهم ولده الامير ابو العباس احمد الى جده الخليفة السلطان ابي يحيى يطلب منه الانعام له ولاخوته بقسنطينة وسنه يوميذ احدى عشرة سنة فرحب به ودعا له واسعفه بمطلوبه وعقد لكبير الاولاد الامير ابي زيد عبد الرحمان على عمل ابيه لنظر القائد نبيل مولاهم لمكان صغره وبقي الخليفة يتفقد احوالهم ويسال عن حالهم * انشد الشيخ الفقيه القاضي ابو العباس احمد بن محمد بيتين للمولى الامير الامجد الاسعد ابي عبد الله محمد ابن المولى الخليفة ابي يحيى في ذم الخمر —

ما الخمر الا شبهة للفتى ... وللعالم اصبحت نافيه

تزري بعقل المرء من حينها ... لا احسن الله لها عاقبة

وفي الليلة السادسة والعشرين لشهر رمضان المعظم من عام اربعين وسبعمائة توفي الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابي علي حسن القرشي الزبيدي * وفي سنة احدى واربعين وسبعمائة كانت الواقعة الشنعاء على المسلمين من النصارى اخذت فيها محلة السلطان ابي الحسن المريني بما فيها حتى دافع النساء النصارى عن انفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه ابي يحيى بن يعقوب وفاطمة بنت السلطان ابي يحيى ابي بكر وغيرهما فقتلوهن واستلبوهن * وفي ليلة الخميس الخامس لجمادى الاولى من عام اثنين واربعين توفي الشيخ الصالح الامام ابو الحسن علي بن منتصر الصدفي ودفن بجبل الجلاز كان من اهل العلم والصلاح لا يبالي بذي سلطان لسلطانه ولا تاخذه في الله لومة لائم كتب للقاضي ابن عبد السلام — يا محمد ليت امك لم تلدك ، وليت اذ

ولدتك لم تتكلم . وليت اذ تكلمت لم تتعلم - * ورأى يوما مكاسا فاخذ قرطاسا وكتب فيه - من اكل طعاما من مكس ينظر عاقبة امره - وطوى الكتاب ووجهه للخليفة فلما نظر فيه قال ما هذا فاخبر فامر بقطعه . وكذلك اخبر بامرأة رومية وقعت في الجناب العلي ورام بعض الامراء عصمتها فكتب للخليفة - اخبروني ان كان اردتم عز الاسلام فاعزوه والا ارتحلنا من تحتكم فان مثل هذا الواقع وحماية من فعله ردة - . قال الشيخ البطرني فوجه الخليفة في الحين للقاضي ابن عبد السلام وقال له - ما قمت ولا قعدت لو انك انفذت الحكم الشرعي ما سمعت انا مثل هذا - ثم امر بالمرأة فرفعت للقاضي وتم الحكم عليها . وكان حجه رحمه الله عام تسعة وتسعين وستمائة وصحبه في الطريق الشيخ ابن جماعة * وحكى عن نفسه انه رأى في النوم انه نودي عليه في جمع من الناس هذا فلان الولي الصالح التقي قال فانتبهت وقلت هذه شهادة فقدمه ابن عبد الرفيع للشهادة عدلا بتونس وكان لا ياخذ اجرا على شهادته ويأخذ الصدقة والزكاة * وحكى الشيخ ابن عرفة عنه انه قال - يجلس كل يوم الخضر عليه السلام بالمقصورة الشرقية من جامع الزيتونة من اول اذان الظهر الى ان يكثر الناس فيخرج - يشير الى انه رأى الخضر مرارا * وفي عام اثنين واربعين فرغ من بناء مدرسة عنق الجمل . وفي فاتح سنة اربع واربعين وسبعمائة توفي الحاجب الشيخ ابو القاسم بن عبد العزيز الغساني فقدم السلطان على حجابته شيخ الحضرة ابا محمد عبد الله بن تافراجين * وفي عام خمسة واربعين وسبعمائة تحرك السلطان ابو يحيى ابو بكر الى توزر ودخلها وعفا عن شيخها ابي بكر بن يملول ثم عقد عليها لابنه الامير ابي العباس احمد صاحب قفصة وانزله بها ومكنه من ازمتها ورجع السلطان الى الحضرة ظافرا عزيزا * وفي شهر صفر من السنة المذكورة توفي بالقاهرة الشيخ الامام الحافظ النحوي المفسر اثير الدين ابو يحيى محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي كان اماما عارفا بالتفسير والعربية انتقل من الاندلس لمصر واستوطنها واخذ

الناس عنه فافاد واستفاد وتمذهب بمذهب الامام الشافعي وصنف تصانيف في علوم جمة اربت على خمسين تصنيفا منها البحر المحيط في تفسير القرءان الذي اختصر الصفاقسي اعرابه وكان جيد الشعر والنثر . فمن شعره —

عداتي لهم فضل علي ومنة ... فلا اذهب الرحمان عني الاعاديا

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ومن شعره ايضا —

لا ترتج الخير يا ذا المرء من احد ... فالشر طبع وفيه الخير بالعرض

ولا تظن امرءا اسدى اليك جدا ... من اجل ذاتك بل اسداه للغرض

وفي يوم منى من سنة ست واربعين وفد على السلطان ابي يحيى ابي بكر كاتب السلطان ابي الحسن المريني ابو الفضل بن عبد الله بن ابي مدين وفقيه الفتيا بمجلسه ابو عبد الله محمد بن سليمان السطي ومولاه عنبر الخصي برسم خطبة بنت السلطان ابي يحيى للامير ابي الحسن المريني عوضا عن اختها فاطمة المتوفاة في غزوة طريف كما تقدم * وفي فاتح عام سبعة واربعين خرج الوزير ابو العباس بن تافراجين في العساكر لجباية هوارة فوفد عليه سحيم من اولاد القوس وقومه وضايقوه في الطلب ثم انتهزوا فرصته بعض ايام فاجلبوا عليه فانفض عسكره وكبا به فرسه فقتل وحمل الى تونس فدفن بها . وفي يوم الاحد الحادي عشر من ربيع الاول من العام المذكور توفي الامير ابو زكرياء نجل السلطان ابي يحيى ببجاية وهو اذ ذاك صاحبها وترك ابنه الامير ابا عبد الله محمدا في حجر مولاه فارح المعلوجي بن سيد الناس فاقام مع ابن مولاه ينتظر امر الخليفة وبادر حاجبه الاول ابو القاسم ابن علناس الى الحضرة وانهى الخبر الى الخليفة فعقد على بجاية لابنه الامير ابي حفص كان معه بالحضرة وهو من اصاغر ولده وانفذه اليها مع رجاله واولي اختصاصه وخرج معه ابو القاسم بن علناس فوصل الى بجاية ودخلها على حين غفلة وحمله الاوغاد من البطانة على ارهاف الحد واظهار السطو فخشي الناس البوادر واتمروا ثم كانت في بعض الايام هيعة تمالى فيها

الكافة على التوثب بالامير القادم فطافوا بالقصبة في سلاحهم ونادوا بامارة ابن مولاهم ثم تسوروا جدرانها واقتحموا داره (اي دار ابي حفص) وملكوا امره واخرجوه برمته بعد ان انتهبوا جميع موجوده وتسايلوا الى دار الامير ابي عبد الله محمد ابن اميرهم ومولاهم بعد ان كان معتزما على التقويض عنهم واللحاق بالخليفة جده واذن له بذلك عمه القادم فبايعوه بداره من البلد ثم نقلوه من الغد الى قصر بالقصبة وملكوه امرهم وقام بامره مولاه فارح ولقبه باسم الحجابة واستمر حالهم على ذلك ولحق الامير ابو حفص بالحضرة آخر جمادى الاولى لشهر من يوم ولايته . وبعث السلطان الى بجاية ابا عبد الله بن سليمان من مشيخة الموحدين وكبار الصالحين يسكنهم ويونسهم وبعث معه كتاب العقد عليها لحفيده الامير محمد المذكور فسكنت نفوسهم . وفي شهر ربيع الاول من سنة سبع واربعين وسبعمائة كتب صداق الحرة عزونة بنت السلطان ابي يحيى ابي بكر على سلطان المغرب ابي الحسن المريني بصداق جملته خمسة عشر الف دينار ذهبا ومائتا خادم وتوجهت الى المغرب في البر في شهر جمادى الثانية من السنة صحبة اخيها شقيقها الامير الفضل صاحب بونة . وفي ليلة الاربعاء الثانية من رجب من السنة المذكورة توفي السلطان الخليفة ابو يحيى ابو بكر بتونس ودفن في روضة جده الشيخ ابي محمد عبد الواحد بالقصبة فبلغ عمره خمسا وخمسين سنة الا شهرا . وحكاية موته مشهورة حكاها ابن الخطيب في كتابه ان السلطان كان في نزهة في رياضه الكبير فادخل عليه رسم روية هلال رجب على عادة قضاء الحضرة فقال لا اله الا الله دخل رجب وكرر ذلك ثم قام وتطهر واخلص التوبة ثم ركب واخترق الاسواق وكشف عن وجهه وكان قليل الظهور وتصدق بمال كثير ثم حك كتفه واستدعى احدى اخواته لتنظر ما بكتفه فوجدت حبة حيرة ثم زادت حمرتها واخذته الحمى بسببها وهو يامر بمهمات دفنه وشان تجهيزه الى ان مات رحمه الله . وقال في ترجمان العبر كانت وفاته فجاة في الليلة المذكورة فهب الناس من مضاجعهم متسايلين الى القصر يستمعون نباءات

النعي واطافوا به سائر ليلتهم تراهم سكارى وما هم بسكارى الى ان ظهر لهم موته من الغد ودفنوه فكانت مدة خلافته بتونس من حين وليها في المرة الاولى تسعا وعشرين سنة وعشرة اشهر وخمسة وعشرين يوما وعمره خمسة وخمسون عاما غير شهر . وولي بعده ولده الامير ابو حفص عمر ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر ابن المولى الامير ابي زكرياء ابن المولى السلطان ابي اسحاق ابراهيم ابن المولى الامير ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص امه ام ولد اسمها حباب كانت ولادته يوم السبت الخامس عشر من جمادى الاولى من سنة ثلث وعشرين وسبعمائة بـويع له بالخلافة يوم الاربعاء الثاني لرجب الفرد من عام سبعة واربعين وسبعمائة وذلك انه لما مات السلطان بادر بملك القصر وضبط ابوابه وبعث للقاضي ابن عبد السلام وقاضي الانكحة الاجمي فقال لهما - تبايعاني - فقالا - نحن شهدنا في بيعة اخيك احمد صاحب قفصة فاعطنا شهادتنا نقطعها فحينئذ نشهد في بيعتك . قال الشيخ ابن عرفة فخاض الناس بعضهم في بعض وهم جلوس في القبة الكبرى فامر الشيخ ابن تافراجين ان لا يخرج احد من القبة وفسخ المجلس بقوله للقاضيين — نحن نمشي نشتغل بمؤنة دفن السلطان وحينئذ نجتمع — واستدعى وجوه الموحدين وبعض وجوه البلد واخرج لهم الامير عمر فبايعوه وما شعر القاضيان ومن معهما حتى سمعوا جلبة الطبول والبوقات والسلام فقالوا ما هذا فقيل - قد بايع الناس الامير عمر - واستدعى بالقاضيين ومن معهما فراوا تمام القضية ووقوع البيعة وانعقادها من الجم الغفير فكتبت وثيقة بعقد البيعة للامير عمر لاختيار العامة والخاصة اياه عن ولي العهد وهذا من حسن سياسة ابن تافراجين . وكان السلطان خالد نجل السلطان برياض راس الطابية وكان قدم من بلده المهدية زائرا فبلغه الخبر ليلا فخرج فارا بنفسه في نفر قليل من خدامه فتبعه من العرب اولاد منديل والكعوب مظهرين انهم في خدمته فلما اصبح قبضوا عليه وجاءوا به الى اخيه الامير ابي حفص فاعتقله واستقام له الملك وتلقب بالناصر . ولما

بلغ الخبر للامير ابي العباس احمد صاحب قفصة بموت والده وتولية اخيه بادر بمن التف عليه من العرب الى تونس ولقيه اخوه ابو فارس عبد العزيز صاحب عمل سوسة بالقيروان فاتاه طاعته وصار في جملته . وجمع السلطان ابو حفص عمر جموعه وخرج في غرة شعبان بمحلته من تونس وصاحبه الشيخ ابو محمد بن تافراجين منذر منه بالهلكة وعمل في اسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس في بعض الشغل وركب ناجيا الى المغرب من عمل قسنطينة وبلغ السلطان ابا حفص عمر خبر مفر الحاجب فاختلت مصافه وتحيز الى باجة وتخلف عنه اهل العسكر ولحقوا باخيه الامير ابي العباس وسار الامير ابو العباس بجيوشه فملك تونس وبويع بها يوم السبت التاسع لشهر رمضان المعظم من السنة ونزل برياض راس الطابية وكانت امه ام ولد اصلها رومية واسمها سعد السعود وتلقب بالمعتمد على الله واطلق اخاه خالدا من معتقله ودخل الى قصره لسبع ليال من ملكه . ثم ان الامير ابا حفص عمر رحل من باجة واصبح على تونس يوم السبت سادس عشر شهر رمضان المعظم وفرق خيله ورجله على ابواب المدينة وكسرت الاقفال وفتحت الابواب وقامت معه العامة فلم يجي وقت الضحى الا وقد استولى على المدينة وقتل اخاه الامير احمد ونصب راسه على قناة وقطع ايدي اخويه خالد وعبد العزيز فمات عبد العزيز في الحين وكمل على خالد وقتل في ذلك اليوم في المدينة وفي الربض نيف وثمانون رجلا من العرب الواصلين صحبة الامير ابي العباس احمد بتونس منهم ابو الهول بن حمزة بن عمر بن ابي الليل فكانت دولة الامير ابي العباس احمد بتونس سبعة ايام واستوثق للامير ابي حفص عمر ملك الحضرة . ثم بلغ الامير ابا الحسن علي المريني ان الامير عمر قتل اخاه ابا العباس احمد صاحب قفصة وولي العهد وكان يستظهر على عهده بكتاب ابيه وما اودعه السلطان ابو الحسن المريني بطرته من الوفاق على ذلك بخطه اقتضاه منه حاجبه ابو القاسم بن عبو في سفارته اليه فتنغص السلطان من ذلك وراى ان الامير

عمر ارتكب مذاهب العقوق في اخوته وخرق السياج الذي فرضه بخطه عليهم فاجمع ابو الحسن الحركة على افريقية وقوى عزمه على ذلك قدوم الوزير ابن تافراجين . ولما قضى عيد الاضحى من سنة سبع واربعين وسبعمائة عقد لابنه ابي عنان على المغرب الاوسط تلمسان واحوازها وتحرك هو الى افريقية رحل من ظاهر تلمسان في صفر عام ثمانية واربعين يجر الدنيا بما حملت . واوفد عليه ابناء حمزة بن عمر بن ابي الليل امراء البدو ورجالات الكعوب اخاهم خالدا يستصرخه بثار اخيهم ابي الهول ونزع اليه اهل القاصية من افريقية بطاعتهم فجاءوا في وفد واحد وابن مكي صاحب قابس وابن يملول صاحب توزر وابن العابد صاحب قفصة ومولاهم ابن ابي عنان صاحب الحامة وابن الخلوف صاحب نفطة فلقوه بوهران واتوه ببيعتهم رغبة ورهبة وادوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس ولم يتخلف عنهم الا لبعد داره ثم جاء على اثرهم صاحب الزاب يوسف بن منصور ابن مزني ومعه مشيخة الزواودة وكبيرهم يعقوب ابن علي فلقيهم ببني الحسن من اعمال بجاية واوسع اليهم النيل تكرمة وعقد لكل منهم على بلده وعمله وبعث مع اهل الجريد عسكرا للحماية والجباية لنظر مسعود ابن ابراهيم اليرساوي من وزرائه . ولما اطل على بجاية خرج له اميرها الامير ابو عبد الله محمد ابن الامير ابي زكرياء فاتاه طاعته فصرفه الى المغرب مع اخوانه وانزله بلد ندرومة ثم سار لقسنطينة فخرج اليه بنو الامير ابي عبد الله محمد يقدمهم كبيرهم الامير ابو زيد فاتوه طاعتهم فقبل منهم وصرفهم الى المغرب وانزلهم بوجدة واقطعهم جبايتها وانزل قسنطينة خلفاءه وعماله واطلق المعتقلين بها من القرابة . وورد عليه هنالك بنو حمزة بن عمر ومشايخ قومهم الكعوب واخبروه باجفال الامير ابي حفص عمر من تونس مع اولاد مهلهل واستحثوه لاعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر فوجه السلطان ابو الحسن في طلبه وزيره حمو العسري في ملحاء كبيرة وبعث معه اولاد ابي الليل . وسرح عسكرا الى تونس لنظر يحيى بن سليمان من بني عسكر ومعه احمد بن مكي فسار

حمو ومن معه حتى ادركوا السلطان ابا حفص ومن معه بارض الحامة من جهات قابس بموضع يسمى المباركة بقرب جبل السباع فصبحوهم فدافعوا عن انفسهم بعض الشيء ثم انفضوا فتقبض على الامير عمر وعلى مولاه ظافر وسيقا الى الامير حمو فاعتقلهما الى الليل فذبحهما وبعث براسيهما الى السلطان ابي الحسن المريني فادركه بباجة وخلص الملا الى قابس فتقبض عبد الملك بن مكي على رجال من كبار الدولة منهم ابو القاسم بن عتو وصخر بن موسى وعلي بن منصور وغيرهم فبعث بهم ابن مكي الى السلطان ابي الحسن فقطعهم من خلاف فكان مقتل الامير عمر يوم الاربعاء سابع عشر جمادى الاولى من عام ثمانية واربعين فكانت مدة خلافته بتونس عشرة اشهر وخمسة وعشرين يوما منها سبعة ايام لاخيه ابي العباس احمد كما تقدم وملك تونس وبلادها السلطان ابو الحسن ابن السلطان ابي سعيد عثمان ابن ابي يوسف يعقوب ابن عبد الحق المريني دخل تونس في الثامن لجمادى الاخرة من سنة ثمان واربعين وسبعمائة ودخل معه الشيخ ابو محمد عبد الله بن تافراجين واعطاه فرسه بسرجه ولجامه ودخل معه الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منه الى الرياض المتصلة به المدعوة براس الطابية فطاف على بساتينه وخرج منه الى معسكره وانزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها ثم صرف للبلاد المغربية ولاتها ورحل بعد مدة الى القيروان فزار من بها من الصالحين والعلماء ثم الى سوسة والمهدية ووقف على ءاثار ملوك الشيعة وصنهاجة ومر بقصر الجم ورياض المنستير وانكفا راجعا الى تونس فحل بها غرة شهر رمضان المعظم من العام المذكور . ولما استوثق له ملك افريقية منع العرب من الامصار التي ملكوها بالاقطاعات فوجسوا لذلك وتربصوا الدوائر واغاروا بعض الايام في ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذي كان للسلطان في مراعيها وتوقعوا باسه ووفد عليه ايام الفطر خالد بن حمزة واخوه احمد من اولاد ابي الليل وخليفة بن عبد الله بن مسكين وخليفة بن ابي زيد بن حكيم وساءت ظنونهم فداخلوا عبد الواحد بن اللحياني في الخروج على السطان

فرفع الخبر الى السلطان فتقبض على اربعتهم واحضرهم مع عبد الواحد فانكروا وبهتوا ثم وبخهم واعتقلهم وعسكر بساحة الحضرة لغزوهم وتلوم لبث الاعطيات وازاح العلل فبلغ الخبر الى احيائهم فانطلقوا يحزبون الاحزاب وينظرون لمن يقيم الملك وكان اولاد مهلهل اقيالهم وعديلة حلهم قد اياسهم السلطان من القبول والرضا بما بالغوا في نصيحة السلطان ابي حفص عمر فلحقوا بالقفر ودخلوا الرمال فركب اليهم قتيبة بن حمزة وامه ومعهم ظعائن ابنائهما متذممين لاولاد مهلهل بالعصبية فاجابوهم واجمعوا بقسطيلة وتواهبوا الدماء وتوامروا في من ينصبونه للامر وكان بتوزر احمد بن عثمان بن ابي دبوس اخر خلفاء بني عبد المومن وكان خياطا فجاءوا به ونصبوه للامر وتبايعوا على الموت . وزحف اليهم السلطان ابو الحسن فالتقوا بالثنية دون القيروان فغلبهم واجفلوا امامه الى القيروان ثم رجعوا مستميتين ثاني المحرم من سنة تسع واربعين وتوافقوا فاختل مصاف السلطان ونهبت محلته بكل ما فيها وكان جيشها يزيد على ثلثين الف فارس ونجا السلطان بنفسه في شرذمة فتحصن بالقيروان واخذوا بمخنقه . وكان الشيخ ابن تافراجين لم يجره السلطان ابا الحسن على مالوفه كما كان مع السلطان ابي يحيى ابي بكر لكون هذا قائما على امره فكان في قلبه منه مرض وكان العرب يفاوضونه بذات صدورهم من الخلاف والاجلاب فلما احاطوا بالسلطان بعثوا في لقائه وان يحملوه حديث بيعتهم الى الطاعة فاذن له السلطان فخرج اليهم فقلدوه حجابة سلطانهم احمد بن ابي دبوس ثم دفعوه لمحاربة من بقصبة تونس فنازلها ونصب المجانيق عليها فلم تغن شيئا . فجعل يحاول نجاة نفسه لاضطراب الامور الى ان بلغه خلوص السلطان من القيروان الى سوسة وكان السلطان داخل اولاد مهلهل وحكيما في الصلح على اموال اشترطها لهم فاختلف راي العرب لذلك ودخل اليه قتيبة ابن حمزة بمكانه من القيروان زعما بالطاعة فقبله واطلق اخويه خالدا واحمد ولم يشق اليهم ثم دخل اليه محمد بن طالب من اولاد مهلهل وجماعة فاسرى معهم بعسكره الى سوسة فصبحها وركب منها في البحر الى تونس وسبق الخبر لابن تافراجين

فتسلل عن اصحابه وركب البحر الى الاسكندرية في ربيع الاخر فاصبحوا وقد
تفقدوه فاضطربوا واجفلوا عن تونس ولما دخل السلطان لتونس من البحر اصلح
اسوارها وادار الخندق بها ثم اجلب اولاد ابي الليل وسلطانهم احمد بن عثمان
ابن ابي دبوس بتونس ونازلوها والسلطان ابا الحسن فامتنعت عليهم وخلصت
ولاية اولاد مهلهل للسلطان فلما احس بهم اولاد ابي الليل رجعوا الى مهادنتهم
فعقد لهم السلم ودخل عمر كبيرهم اليه وافدا في شعبان من السنة فحبسه الى
ان قبضوا على سلطانهم ابي دبوس وقادوه الى السلطان ابي الحسن استبلاغا
في الطاعة فقبل ذلك منهم واودع سلطانهم المذكور السجن ولم يزل فيه
الى ان رحل الى المغرب ولحق هو بالاندلس . واقام السلطان ابو الحسن
بتونس ووفد عليه احمد بن مكي فعقد لعبد الواحد اللحياني على الثغور
الشرقية طرابلس وقابس وصفاقس وجربة وسرحه مع ابن مكي فهلك عبد
الواحد عند وصوله في الطاعون الجارف . وعقد لابن عبو على قسطيلة
وسرحه اليها . وعقد السلطان ابو الحسن لابنه ابي الفضل على ابنة عمر بن
حمزة وكان امر الله قدرا مقدورا . ولما وقع على السلطان ابي الحسن ما
وقع في القيروان هربت بنو مرين مشاة بالمرقعات الى المغرب فقدموا على
الامير ابي عنان وشاع الخبر ان السلطان ابا الحسن توفي على القيروان
وكتب بذلك رسم شهد فيه خلق كثير من الواصلين من بني مرين فدعا
الامير ابو عنان لنفسه فبويع في اول عام تسعة واربعين بتلمسان ثم خرج لفاس
بعد ان استعمل على تلمسان عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار من بني
عبد الواد فعند انفصال ابي عنان عن تلمسان دعا عثمان بتلمسان لنفسه وعاد
ملك بني عبد الواد الى تلمسان وكان مع السلطان ابي الحسن بتونس
طائفة من بني عبد الواد فلما اصاب ابا الحسن ما اصابه في وقعة
القيروان اجتمع بنو عبد الواد بتونس واتفقوا بعد الشورى على مبايعة عثمان
ابن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ورحلوا الى تلمسان فقام
اهلها على المستبد بها عثمان بن يحيى فاستاثر بها لنفسه من السلطان عثمان

ابن عبد الرحمان فامنه ودخل الى حضرته ءاخر جمادى الاخرة ثم قبض
على عثمان بن يحيى فاودعه الطبق الى ان مات . وكان السلطان ابو الحسن
لما قدم افريقية واخرج صاحب بجاية وصاحب قسنطينة وصرفهم للمغرب
كما تقدم ابقى الامير ابا العباس الفضل ببلده بونة لما غلب على ظنه
من عافيته وسابقية معرفته به بمصاهرته باخته . فلما وقعت الواقعة التي
وقعت على السلطان ابي الحسن كاتب الامير الفضل اهل قسنطينة ثم
قدمها وحاصرها فدخلها صبيحة يوم الجمعة غرة المحرم فاتح سنة تسع
واربعين وسبعمائة وقصد القصبة فاغلقت في وجهه وعمرت اسوارها فقصد
جامع البلد وصلى فيه الجمعة ولم يصل فيه خليفة حفصي قبله ثم بعث
بالامان ففتحوا له فدخلها عصر ذلك اليوم واحتوى الامير الفضل على اموال
كثيرة في القصبة وهي ما اتت به الوفود من الهدايا لابي الحسن وما كان
بالقصبة من المجابي واقام بها ثلثة اشهر . ثم تحرك الى بجاية فاخذها
بقيام اهلها على بني مرين وارتفع له بذلك صيت . وعزم على الرحيل الى
الحضرة والسلطان ابو الحسن مقيم بها . ولما تبين للامير ابي عنان حياة والده
خاف من عقوبته فبعث صاحب بجاية وصاحب قسنطينة كلا لبلده
ليعظم الامر على ابيه وليكونوا حائلين بينه وبين بلاده وربط معهم في ذلك
ربوطا . فقصد كل بلده ورجعت البلاد الى اربابها وتوجه الامير الفضل من
بجاية الى بونة في البحر بعد ان اخذ بيده وسيق للامير ابي عبد الله الداخل
عليه ببجاية فعفا عنه ووجهه الى بلده بونة في البحر وذلك في شوال من
سنة تسع واربعين فوجد بعض قرابته قد ثار ببونة ولم يتم لهم ذلك فدخل
الى قصره واستقلت الثغور الغربية بامرائها . وفي السنة المذكورة توفي
الحافظ عبد المهيمن الحضرمي السبتي الدار التونسي القرار كان اماما في
علم الحديث وحجة في حفظه ورجاله له اربعينيات في الحديث جلس
للتدريس بتونس ايام الدولة المرينية بمجلس السلطان ابي الحسن فقرا
القاري وهو الشيخ ابن عرفة في كتاب مسلم حديث مالك ابن مقول بكسر

للميم وفتح الواو من مقول فقال له عبد المهيمن او الفقيه ابن الصباغ مقول بفتح الميم وكسر الواو فاعادها القاري قاصدا خلافه كما قراها فضحك السلطان وادار وجهه الى عبد المهيمن وقال له اراه لم يسمع منك فاجابه بقوله لا تبديل لخلق الله وقد ضبط النووي اللفظ بالوجهين في كتاب الايمان الّا انه قال ما قاله غير القاري هو الفصيح فانكره . ومن نظم ابي حيان في عبد المهيمن ـ

ليس في الغرب عالم غير عبد المهيمن
نحن في العلم هكذا انا منه وهو مني

وفي السنة المذكورة توفي بتونس الشيخ ابو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر المعافري المعروف بابن الحباب كان ابن عرفة يثني عليه بتحصيل العلم وتحقيقه وهو احد اشياخه . قال ابن عرفة وكنت اسمع ان ابن عبد السلام قرا عليه فكنت استبعد ذلك الى ان حضرت تقييد كتب القاضي ابن عبد السلام بعد موته فعثرت على اختصار المعالم لابن الحباب والفيت بخط ابن عبد السلام على ظهره انه استدعاه ان يبيحه روايته وانه قرا عليه فكتب ابن الحباب بخطه تحت خطه ما قاله صاحبنا الفقيه محمد بن عبد السلام صحيح الى ءاخره . ويحكى انه دخل يوما على بعض اصحابه الادباء فالفاهم قد فرغوا من اكل جدي مشوي فقال له احدهم لقد فاتك الجدي يا ابن الحباب فقال ثانيهم وخبز سميد كثير اللباب فقال ثالثهم ولم يبق منه سوى عظمه ففطن هو لمرادهم فاجاب سريعا طعامكم فقال رابعهم دهنا من هذا انما هو لعمري طعام الكلاب . قال ابن عرفة ولما مات ابن الحباب حضرت جنازته وكنت سادس ستة وكان توفي في ذلك اليوم السكوني فضاق الفجاج بالازدحام على نعشه لان منزلة ابن الحباب عند العامة لا تكون بذلك . وفي السنة المذكورة توفي امام جامع الزيتونة الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد بن عبد الستار التميمي . وفي الثامن والعشرين من رجب السنة المذكورة توفي الشيخ العالم الشهير قاضي الجماعة محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري وقبله بثلاثة ايام مات ولده ودفنا بالجلاز .

وبعد وفاته ذكر لقضاء الجماعة الشيخ الفقيه المفتي ابو عبد الله محمد بن محمد ابن هارون الكناني فغصب منصبه فيه بولاية قاضي الانكحة ابي عبد الله محمد الاجي يقال ان ابن عبد الرفيع رمى بنفسه على ابن تلسكرت وكان مكينا في الدولة المرينية وقال له ان توسطت لي في خطة القضاء فانا اوليك عدلا بتونس فلم يزل الاخر يتمثل الى ان وقع الشرط ومشروطه وذلك ان الاجي كان قاضي الانكحة فنقل لقضاء الجماعة واحتال ابن تاسكرت في تولية ابن عبد الرفيع قاضي الانكحة ثم ان الاجي اقام مدة يسيرة وتوفي فقيل يقدم ابن هارون فقال ابن تاسكرت جرت العادة بان قاضي الانكحة هو الذي يتولى قضاء الجماعة ووطد ذلك بانه من بيوتات تونس فولاه السلطان بواسطته وحين لقب ابن هارون بالفتيا بقي مفتيا الى ان مات في عام خمسين وسبعمائة هو وزوجه في يوم واحد وحفر لهما قبران متدانيان وحضر لدفنهما السلطان ابو الحسن المريني فسال السطي ايهما يقدم فقال الامر في ذلك واسع . وفي السنة المذكورة انتقض العرب على السلطان ابي الحسن واستقدموا السلطان ابا العباس الفضل من بونة لطلب حقه واسترجاع ملك ءابائه فاجابهم ووصل اليهم ءاخر سنة تسع واربعين وسبعمائة فنازلوا تونس ثم افرجوا عنها وعادوا لمنازلتها اول سنة خمسين وافرجوا عنها آخر الصيف واستدعوا ابا القاسم بن عبو صاحب الجريد من مكان عمله توزر فدخل في طاعة السلطان الفضل وحمل اهل الجريد عليها واتبعه في ذلك بنو مكي وانتقضت افريقية من السلطان ابي الحسن من اطرافها فلما راى الاحوال تغيرت بافريقية خرج من تونس الى المغرب في البحر في اوائل شوال من سنة خمسين وسبعمائة وعقد لابنه الفضل على تونس خوفا من توارث الغوغاء ومعرة هيعتهم واقلع من مرسى تونس ولخمس دخل مرسى بجاية وقد احتاجوا الى الماء فمنعهم صاحب بجاية الورود وبعث الى سائر سواحله ان يمنعوهم فقاتلوا من منعهم واستقوا واقلعوا فطرق الاسطول هول البحر ففرقت شذر مذر وتكسر الجفن المختص بالسلطان

ببعض سواحل بجاية فبينما السلطان بين الغرق والسلامة وقد تعلق بحجر قريبا من البر وهو ينظر مصارع الفقهاء مثل الطبر وابن الصباغ ويشاهد اختطاف البحر اياهم تداركه الله بجفن رفعه وقد هفت البحر فادرك مدينة الجزائر واستقر بها وقد تمسكت بطاعته فاستنشق بها ريح الحياة وكان الشيخ ابو عبد الله الابلي من فقهاء المغرب لما عزم السلطان ابو الحسن على السفر من تونس في البحر اختفى هو تلكوأ عن السفر دون غيره من الفقهاء قال وذلك اني رايت في النوم كان قائلا يقول لي الفلك الفلك يكرر ذلك علي فانتبهت وما ادري ما هذا فاخبرت بالرويا صاحبنا ابن رضوان فاخبر بها السلطان ابا الحسن فقال لعله يريد السفر في البحر فاشتد عزمه في ذلك فجرى ما جرى قال الشيخ ابن القصار فقلت للابلي انما مراده ان الفلك جمع تكسير فلك . واتصل بالسلطان ابي العباس الفضل وهو بالجريد خبر السلطان ابي الحسن وخروجه في البحر فاغذ السير الى تونس ونزل عليها محاصرا لابن السلطان ابي الحسن ومن كان معه فغلبهم عليها واتصل اهل تونس به واحاطوا يوم منى بالقصبة واستنزلوا الامير ابا الفضل بن ابي الحسن المريني على الامان من القصبة وخرج الى بيت ابي الليل بن حمزة فانفذ معه من بلغه الى مامنه فلحق بالجزائر بابيه . فقدم السلطان ابو الحسن بالجزائر عاملا وخرج الى المغرب فبعث له ولده الامير ابو عنان جيشا فكسره هو ومن معه وقتلوا ولده الناصر فارتحل السلطان ابو الحسن الى سجلماسة فارتحل له ابنه الامير ابو عنان اليها فلما بلغ السلطان ابا الحسن الخبر بمجيء ابنه ابي عنان اليه بجيش لا طاقة له به رحل من سجلماسة ودخلها الامير ابو عنان ونهب اطرافها وقدم عليها عاملا من قبله وسار السلطان ابو الحسن الى مراكش في سنة احدى وخمسين فرحل الامير ابو عنان من فاس بعد ان جرد محلته الى مراكش فالتقى الجمعان في اواخر صفر من السنة المذكورة فانهزم عسكر السلطان ابو الحسن ولحق به ابطال بني مرين فرجعوا عنه هيبة وهيبة وكبا به فرسه فسقط الى الارض والفرس

وبعد وفاته ذكر لقضاء الجماعة الشيخ الفقيه المفتي ابو عبد الله محمد بن محمد ابن هارون الكناني فغصب منصبه فيه بولاية قاضي الانكحة ابي عبد الله محمد الاجي يقال ان ابن عبد الرفيع رمى بنفسه على ابن تلسكرت وكان مكينا في الدولة المرينية وقال له ان توسطت لي في خطة القضاء فانا اوليك عدلا بتونس فلم يزل الاخر يتمثل الى ان وقع الشرط ومشروطه وذلك ان الاجي كان قاضي الانكحة فنقل لقضاء الجماعة واحتال ابن تاسكرت في تولية ابن عبد الرفيع قاضي الانكحة ثم ان الاجي اقام مدة يسيرة وتوفي فقيل يقدم ابن هارون فقال ابن تاسكرت جرت العادة بان قاضي الانكحة هو الذي يتولى قضاء الجماعة ووطد ذلك بانه من بيوتات تونس فولاه السلطان بواسطته وحين لقب ابن هارون بالفتيا بقي مفتيا الى ان مات في عام خمسين وسبعمائة هو وزوجه في يوم واحد وحفر لهما قبران متدانيان وحضر لدفنهما السلطان ابو الحسن المريني فسال السطي ايهما يقدم فقال الامر في ذلك واسع . وفي السنة المذكورة انتقض العرب على السلطان ابي الحسن واستقدموا السلطان ابا العباس الفضل من بونة لطلب حقه واسترجاع ملك ءابائه فاجابهم ووصل اليهم ءاخر سنة تسع واربعين وسبعمائة فنازلوا تونس ثم افرجوا عنها وعادوا لمنازلتها اول سنة خمسين وافرجوا عنها آخر المصيف واستدعوا ابا القاسم بن عبو صاحب الجريد من مكان عمله توزر فدخل في طاعة السلطان الفضل وحمل اهل الجريد عليها واتبعه في ذلك بنو مكي وانقضت افريقية عن السلطان ابي الحسن من اطرافها فلما راى الاحوال تغيرت بافريقية خرج من تونس الى المغرب في البحر في اوائل شوال من سنة خمسين وسبعمائة وعقد لابنه الفضل على تونس خوفا من توارث الغوغاء ومعرة هيعتهم واقلع من مرسى تونس ولحمس دخل مرسى بجاية وقد احتاجوا الى الماء فمنعهم صاحب بجاية الورود وبعث الى سائر سواحله ان يمنعوهم فقاتلوا من منعهم واستقوا واقلعوا فطرق الاسطول هول البحر ففرقت شذر مذر وتكسر الجفن المختص بالسلطان

جبعض سواحل بجاية فبينما السلطان بين الغرق والسلامة وقد تعلق بحجر قريبا من البر وهو ينظر مصارع الفقهاء مثل الطبر وابن الصباغ ويشاهد اختطاف البحر اياهم تداركه الله بجفن رفعه وقد هفت البحر فادرك مدينة الجزائر واستقر بها وقد تمسكت بطاعته فاستنشق بها ريح الحياة وكان الشيخ ابو عبد الله الابلي من فقهاء المغرب لما عزم السلطان ابو الحسن على السفر من تونس في البحر اختفى هو تلكوا عن السفر دون غيره من الفقهاء قال وذلك اني رايت في النوم كان قائلا يقول لي الفلك الفلك يكرر ذلك علي فانتبهت وما ادري ما هذا فاخبرت بالرويا صاحبنا ابن رضوان فاخبر بها السلطان ابا الحسن فقال لعله يريد السفر في البحر فاشتد عزمه في ذلك فجرى ما جرى قال الشيخ ابن القصار فقلت للابلي انما مراده ان الفلك جمع تكسير فلك . واتصل بالسلطان ابي العباس الفضل وهو بالجريد خبر السلطان ابي الحسن وخروجه في البحر فاغذ السير الى تونس ونزل عليها محاصرا لابن السلطان ابي الحسن ومن كان معه فغلبهم عليها واتصل اهل تونس به واحاطوا يوم منى بالقصبة واستنزلوا الامير ابا الفضل بن ابي الحسن المريني على الامان من القصبة وخرج الى بيت ابي الليل بن حمزة فانفذ معه من بلغه الى مامنه فلحق بالجزائر بابيه . فقدم السلطان ابو الحسن بالجزائر عاملا وخرج الى المغرب فبعث له ولده الامير ابو عنان جيشا فكسره هو ومن معه وقتلوا ولده الناصر فارتحل السلطان ابو الحسن الى سجلماسة فارتحل له ابنه الامير ابو عنان اليها فلما بلغ السلطان ابا الحسن الخبر بمجيء ابنه ابي عنان اليه بجيش لا طاقة له به رحل من سجلماسة ودخلها الامير ابو عنان ونهب اطرافها وقدم عليها عاملا من قبله وسار السلطان ابو الحسن الى مراكش في سنة احدى وخمسين فرحل الامير ابو عنان من فاس بعد ان جرد محلته الى مراكش فالتقى الجمعان في اواخر صفر من السنة المذكورة فانهزم عسكر السلطان ابو الحسن ولحق به ابطال بني مرين فرجعوا عنه حياء وهيبة وكبا به فرسه فسقط الى الارض والفرس

تجوم حوله واعترض دونه ابو دينار شيخ الزواودة فدافع عنه حتى ركب وخلص الى جند هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي فنزل عليه واجاره واجتمع عليه الملأ من هنتاتة وبايعوه على الموت وجاء الامير ابو عنان على اثره ونزل بعساكره على جبل هنتاتة وطلب السلطان ابو الحسن من ابنه ابي عنان الابقاء وان يبعث له حاجبه محمد بن ابي عمر فبعثه فحضر عنده واعتذر عن الامير ابي عنان وطلب له الرضاء فرضي عنه وكتب له بولاية عهده واعتل السلطان ابو الحسن خلال ذلك فمرضه اولياؤه وخاصته وافتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء بعصده للطهارة فتورم وهلك رحمه الله لليال من قدومه لثلث وعشرين من ربيع الثاني من سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة وبعث اولياؤه بالخبر الى ابي عنان ابنه بساحة مراكش ورفعوه على اعواد اليه فتلقاه حافيا حاسرا وقبل اعواده وبكى واسترجع ورضي عمن كان معه واكرمهم ودفنه بمراكش الى ان نقله الى مقبرة سلفهم بشالة في طريقه الى فاس . ولنرجع الى ما كان من امر تونس وذلك انه لما خرج الفضل ابن السلطان ابي الحسن المريني من القصبة على الامان ملك تونس بعده الامير ابو العباس الفضل ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر ابن الامير ابي زكرياء يحيى ابن المولى السلطان ابي اسحاق ابراهيم ابن الامراء الراشدين امه ام ولد رومية اسمها عطف كان من اجمل الناس صورة واحسنهم خطا واركنهم الى صحبة سن يضحكه وكانت ولادته في شهر رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وسبعمائة . وبويع بتونس في التاسع والعشرين لذي القعدة من عام خمسين وسبعمائة وتلقب بالمتوكل عقد على حجابته لاحمد بن محمد بن عبو نائبا عن عمه ابي القاسم ريثما يفي من الجريد وعقد على جيشه وحربه لمحمد بن الشواش وكان وليه المطارد به ابو الليل فتيتة بن حمزة مستبدا عليه في سائر احواله فانف له بطانته من ذلك فحملوه على التنكر له وان يستبدله باخيه خالد بن حمزة وبعث لابي القاسم بن عبو وقد قلده حجابته وفوض اليه في امره فركب اليه البحر من سوسة واستالف له خالد بن حمزة

ظهيرا على اخيه بعد ان نبذ اليه عهده وفاوضهم ابو الليل فتيتة بن حمزة قبل استحكام امورهم فغلب على السلطان وحمله على عزل قائده محمد بن الشواش فدفعه الى بونة على عساكرها واضطربت الفتنة بين ابي الليل بن حمزة واخيه خالد وكاد شملهم ان يتصدع وبينما هم يجمعون الجموع والاحزاب للحرب اذ قدم كبيرهم عمر بن حمزة والشيخ ابو محمد عبدالله بن تافراجين من حجهما وكان ابن تافراجين لما احتل بالاسكندرية بعث السلطان ابو الحسن فيه الى ملوك مصر في التحكيم فيه فاجاره الامير المستبد على الدولة حينئذ وخرج من مصر لقضاء فرضه وخرج عامئذ عمر بن حمزة في قضاء فرضه ايضا فلجتمعا في مشاهد الحج آخر سنة خمسين وسبعمائة وتعاقدا للرجوع لافريقية والتظاهر على اميرها وقفلا فالفيا خالدا واخاه ابا الليل فتيتة على الصفين فاشار الحاج عمر برداته فاجتمعا وتوافقا وتواطاوا جيعا على المكر بالسلطان وبعث الى السلطان الفضل وليه فتيتة بالمراجعة فقبله واتفقوا على ان يقلد حجابته ابن تافراجين حاجب ابيه وكبير دولتهم ويزيل ابن عبو فابى ثم وافق ونزلت احياوهم ظاهر تونس وطلبوا السلطان الفضل للخروج اليهم ليكملوا عقد ذلك معه فخرج ووقف بظاهر تونس الى ان احاطوا به ثم اقتادوه الى بيوتهم واذنوا لابن تافراجين في دخول تونس فدخلها في الحادي عشر لجمادى الاولى سنة احدى وخمسين فكانت مدة السلطان ابي العباس الفضل بتونس خمسة اشهر واثنى عشر يوما وكان عمره تسعا وعشرين سنة وثمانية اشهر . ثم بويع بتونس بعده اخوه المولى الامير ابو اسحاق ابراهيم ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر ابن الامراء الراشدين امه ام ولد اسمها قرب الرضا كانت ولادته في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . وبويع في الحادي عشر لجمادى الاولى من سنة احدى وخمسين وسبعمائة وكان سبب بيعته ان الشيخ ابا محمد بن تافراجين لما دخل تونس بعد القبض على السلطان ابي العباس الفضل كما ذكر عمد الى دار المولى ابي اسحاق ابراهيم المذكور فاستخرجه بعد ان بذل

لامه من العهود والمواثيق ما رضيها وجاء به الى القصر واقعده على كرسي الخلافة وبايع له الناس خاصة وعامة وهو يومئذ غلام مناهز فانعقدت بيعته ودخل بنو كعب فآتوه طاعتهم وسيق اليه اخوه الفضل ليستوثقه فاعتقله ثم غط بجوف الليل بمحبسه حتى ترحت نفسه وهلك ولاذ حاجبه ابو القاسم بن عبو بالاختفاء فعثر عليه لليال فاعتقل وامتحن وهلك في امتحانه . وخوطب العمال في الجهات باخذ البيعة على سَنَن قبلهم فبعثوا بها . واستقام ابن يملول صاحب توزر على الطاعة وبعث الجباية والهدية واتبعه صاحب قفصة وصاحب نفطة وخالفهم ابن مكي وذهب الى الاجلاب على ابن تافراجين لما كان قد كفل السلطان وحجره على التصرف في اموره الى ان كان من امره ما يذكر بعد . ووقف الشيخ ابو محمد عبد الله بن تافراجين بين يدي المولى ابراهيم ومهد اموره واحكم دولته ولقب بالمستنصر بالله وكانت سيرة الشيخ ابن تافراجين في مدته سيرة حسنة مع جميع اهل تونس الّا انه لم يكن له في اعرابها وطرقها قوة ظهور واعظم جبايته من سفار البحر . وكانت له مواصلة بالهدية مع ملك المغرب السلطان ابي عنان لكنها فسدت باباءة ابنة المولى الخليفة ابي يحيى ابي بكر من قبول خطبته وقالت بلغني ان فيه قلقا يمنع عشرته . وفي سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة جهز صاحب قسنطينة المولى ابو زيد عبد الرحمان ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن السلطان ابي يحيى ابي بكر من قسنطينة الى تونس جيشا كبيرا انفق عليه مالا كثيرا وامر عليه عتيقهم القائد ميمون . فلما احس بذلك الشيخ ابن تافراجين سرح جيشا من الحضرة للقائهم مع فتيتة ابن حمزة فالتقى الجمعان ببلاد هوارة فكانت الدائرة على اولاد ابي الليل وقتل يومئذ فتيتة ورجع فلهم الى تونس وامتدت العساكر في البلاد والاوطان وجبوا الاموال وانتهوا الى المهدية ثم قفلوا الى قسنطينة وتولى على اولاد ابي الليل مكان فتيتة اخوه خالد بن حمزة وكان احمد بن مكي اثناء ذلك كاتب المولى ابا زيد من قابس يعده من نفسه الوفادة معه حتى اذا انصرم الشتاء وفد

عليه مع اولاد مهلهل فلقيه وفقد له على حجابته وجميع عساكره ووصل من قسنطينة سنة ثلث وخمسين في صفر وجهز الشيخ ابو محمد بن تافراجين المولى ابا اسحاق ابراهيم بما يحتاج اليه من العساكر والالة وجعل على حربه ابنه محمدا وعلى حجابته ابا عبد الله بن نزار من طبقة الفقهاء حتى تلاقى الجمعان بمرماجنة فاختل مصاف المولى ابي اسحاق وتفرقت جموعه واتبعتهم القوم عشية يومهم ولحق السلطان بحاجبه ابي محمد بن تافراجين بتونس وجاءوا على اثره ونازلوا تونس اياما فامتنعت عليهم وارتحلوا عنها ثم بلغهم الخبر ان ملك المغرب الاقصى السلطان ابا عنان بعد استيلائه على المغرب الاوسط زحف الى الثغور الشرقية وانتهى الى المدية . وكان الامير ابو عبد الله محمد صاحب بجاية خالفهم الى قسنطينة بمداخلة ابن تافراجين ونازل حاميتها فبلغهم انه رجع الى بجاية متكمشا من بني مرين فعزم المولى ابو زيد على مبادرة قسنطينة ورغب اليه ابن مكي واولاد مهلهل ان يخلف بينهم من اخوانه من يجتمعون اليه فولى عليهم اخاه المولى ابا العباس احمد فاقام عندهم هو وشقيقه المولى ابو يحيى زكرياء الى ان كان من شانه ما يذكر بعد وانصرف المولى ابو زيد الى قسنطينة متوقعا قدوم جيش بني مرين . وبعد استيلاء السلطان ابي عنان على المغرب الاوسط في خبر يطول ودخوله تلمسان سرح عسكرا لافتتاح الثغور ورد القاصية . فاخذ العسكر الجزائر ومليانة والمدية وفر ابو ثابت ومن معه الى جهة بجاية فقبض عليهم صاحبها ابو عبد الله محمد وادخلهم الى بجاية وكان ابو عنان بعث اليه لياخذ عليهم الطرق فلما اخذهم خرج للقاء السلطان ابي عنان واقتادهم في قبضة اسره فلقيه بظاهر المدية فشكر صنيعه وانكفا راجعا بهم الى تلمسان فدخلها في يوم مشهود وابو ثابت الزعيم ووزيره على جملين ثم امر بهما ثاني يوم دخوله فاخرجا الى صحراء البلد وقتلا معا بالرماح واعتقل ابا زيان محمد ابن السلطان ابي سعيد عثمان المذكور بالسجن وتركه وانقرض ملك بني عبد الواد مرة ثانية من تلمسان . ثم امر من دس للامير محمد صاحب بجاية

والاغراء بالنزول على بجاية رغبة فيما عند السلطان وان يعوضه منها بمكناسة المغرب فاجابه على ايلس وكره فاقطعت له مكناسة وانتزعت منه لايام قلائل وامره بالرحيل الى المغرب وعقد على بجاية لعمر بن علي بن الوزير بن ابي وطاس . وفي فاتح شهور عام خمسة وخمسين وسبعمائة عقد السلطان ابو عنان على بجاية واعمالها لوزيره عبد الله بن علي بن سعيد وسرحه اليها فدخلها وزحف الى قسنطينة فحاصرها فامتنعت عليه ورجع الى بجاية . وفي عاشر ربيع الاخر من العام المذكور اخذ النصارى مدينة طرابلس غدرا اظهروا انهم تجار فصدقهم صاحبها ابن ثابت فلما كان عند الصباح نصبوا السلالم وصعدوا الاسوار واستولوا عليها وفر صاحبها فحصل بايدي العرب فقتلوه واخاه لدم كان اصابهما منهم . واسر النصارى جميع البلاد ومكثوا فيها نحوا من اربعة اشهر وكان خروجهم منها ثاني عشر شعبان من العام المذكور بعد ان نقلوا جميع ما فيها لبلدهم جنوة وتركوها خالية خاوية والعرب في اثناء ذلك يردون من اراد قتالهم من المسلمين الى ان داخلهم ابن مكي صاحب قابس في فدائها فاشترطوا عليه خمسين الفا من الذهب العين فبعث فيها لملك المغرب السلطان ابي عنان يطرفه بمثوبتها ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من اهل قابس والحامة وبلاد الجريد فوهبوها له رغبة في الخير ومكنه النصارى من طرابلس فملكها . وبعث السلطان ابو عنان بالمال اليه صحبة الخطيب ابي عبد الله بن مرزوق وابي عبد الله محمد حفيد المولى ابي علي عمر ابن سيد الناس وان يرد على الناس ما اعطوه ويتفرد بمثوبتها فامتنعوا ووضع المال عند ابن مكي لذلك وعقد السلطان ابو عنان على طرابلس لاحمد بن مكي وعلى قابس وجربة لاخيه عبد الملك . وفي سنة خمس وخمسين ارتفع سعر الطعام بتونس الى ان بلغ سعر القفيز من القمح احد عشر دينارا ذهبا والشعير الى النصف من ذلك . وفي سنة خمس وخمسين توفي امام جامع الزيتونة الشيخ ابو اسحاق ابراهيم البسيلي وتولى بعده الامامة بالجامع المذكور شيخ الشيوخ بتونس ابو عبد الله محمد ابن عرفة الورغمي

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة زحف صاحب بجاية الوزير عبد الله بن علي بن سعيد بجيوشه الى قسنطينة فحاصرها فامتنعت عليه فبقي محاصرا لها . وكان المولى ابو زيد صاحبها قد دبر في النقلة الى الصحراء او غيرها لما غلب عليه من الحصار . وكان خالد بن حمزة قد فسد ما بينه وبين الشيخ ابي محمد بن تافراجين فعدل عنه الى اقتاله اولاد مهلهل واستدعاهم للظاهرة فاقبلوا اليه وتحيز خالد بن حمزة الى السلطان ابي العباس احمد وزحفو معا الى تونس فنازلوها في السنة المذكورة وامتنعت عليهم فافرجوا عنها . واستقدم المولى ابو زيد اثر ذلك اخاه المولى ابا العباس لينصره من عساكر بني مرين عندما ضاق به الحصار فاجاب وقدم عليه بخالد وقومه فخرج المولى ابو زيد مع خالد الى منازلة تونس ووقع بجلس في سن يبقي بقسنطينة فاشار المزوار القائد نبيل بجلوس اخيه المولى ابي العباس فدخلها واليا وارتحل المولى ابو زيد متوجها الى تونس ولم يتمكن من نزولها وافترقت عربه فرجع الى بونة وشوقت نفسه في الرجوع الى قسنطينة فتمسك اهل قسنطينة بواليهم المولى ابي العباس اخيه لديانته وعقله فوقف وباشر المحاصرين قبل مبايعته وكتب رسم شهد فيه جماعة من عدول البلد وكبرائها ان الامير ابا زيد لا قدرة له على مدافعة ما وقع بالبلد ولا على القيام بامرها لعجزه من ذلك وان اولى الامراء بالمبايعة للمدافعة اخوه المولى ابو العباس احمد فبويع في شعبان من سنة ست وخمسين فايس المولى ابو زيد من قسنطينة لاستبداد اخيه بامرها ولم يركن لمقامه ببونة فراسل الشيخ ابن تافراجين في السكنى بتونس والنزول عن بونة لعمه السلطان ابي اسحاق فاجيب وتحول الى الحضرة بمن بقي معه من خواصه فاوسعوا له المنازل واسنوا الجرايات واقام تحت نظرهم بعد ان كان طالبا لهم . ووقف المولى ابو العباس للامر بقسنطينة ونوب الزعماء وباشر المحاصرين بنفسه . ولما كان في ءاخر سنة سبع وخمسين شاع في محلة المحاصرين لقسنطينة ان الملك ابا عنان توفي وكان مريضا وذلك ان الوزير عبد الله بن علي رحل من

قسنطينة ونزل وادي القطن واذا بفارس اتاه بكتاب من السلطان ابي عنان يامره بالرجوع الى بجاية فاحرق المجانيق وغيرها من الالات الثقيلة ورحل فشاع من اجل ذلك خبر موته وبلغ السلطان ابا العباس فجهز جيشا بعد الكلام مع اليوسفيين وبعض اهل الوطن فضربوا على محلة المحاصرين لهم ليلا وذلك في ذي الحجة من سنة سبع وخمسين فنهبوها واجزموا الفرسان وقتلوا بعض اولاد موسى بن ابراهيم وفر الوزير بنفسه جريحا الى المغرب فوصل الخبر الى السلطان ابي عنان في ايام التشريق من السنة وكان قد افاق من مرضه فاشتد حنقه وحزن لهذا الامر وتحرك لقسنطينة . ولما وصل خبر حركته الى المولى السلطان ابي العباس بعث اخاه المولى ابا يحيى زكرياء الى تونس صريخا لعمه السلطان ابي اسحاق فاعجله الامر من ذلك وارتحل السلطان ابو عنان بعسكره وبعث في مقدمته وزيره فارس ابن ميمون فنزل محاصرا قسنطينة في العشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وجد في القتال وكان المولى ابو العباس لا يفارق السور الّا وقت الوضوء للصلاة فرصده احد رماتهم ورماه بسهم تخلل عرضا في لوية عمامته تحت حلقه ودهشت الناس وسلمه الله . ثم قدم السلطان ابو عنان يسوق الدنيا خلفه فنزل على قسنطينة في ثاني عشر شعبان من السنة وطاف بها قبل نزوله متنكرا فايس منها فبات ليله مهتما ثم ادرك اهل البلد الدهش مما راوا من كثرة الخلق فانفضوا وتسللوا اليه وتحيز المولى السلطان احد الى القصبة فامتنع بها ثم طلب للصلح فاجاب وتوثق لنفسه بالعهد وشرط امانا تاما لاهل البلد فكتبه السلطان ابو عنان بخط يده ملتزما فيه ما طلب باشد ايمانه وخرج السلطان احد في جلة ناس واجتمع به وحده بالليل ثم انصرف الى المضارب التي ضربت له في جواره . ثم بدا له لايلم قلائل فنقض عهده واركبه البحر الى المغرب وانزله بسبتة ورتب عليه الحرس واشخص كبار قسنطينة في البر الى المغرب . ولما ملك قسنطينة بعث رسله الى ابي محمد بن تافراجين في الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فودعهم

واخرج سلطانه المولى ابا اسحاق ابراهيم مع اولاد ابي الليل بعد ان جهز لهم عسكرا وما يصلح من الالة والجند واقام هو بتونس . واجمع السلطان ابو عنان النهوض اليه ووفد عليه اولاد مهلهل يستحثونه لذلك فارسل الى تونس اسطولا في البحر مقدمه القائد ابو عبد الله محمد الاحمر وجيشا في البر مع اولاد مهلهل مقدمه يحيى بن رحو . فسبق الاسطول الى تونس فملكها بعد ان قاتلها يوما او بعض يوم وخرج عنها ابن تافراجين ولحق بالمهدية واستولت عساكر بني مرين على تونس في شهر رمضان المعظم من سنة ثمان وخمسين ولحق ابن رحو بعسكره فدخل البلد وامضى فيها اوامر السلطان . ثم دعاه اولاد مهلهل الى الخروج لمباغتة اولاد ابي الليل وسلطانهم ابي اسحاق فخرج معهم لذلك واقام ابن الاحمر واهل الاسطول بتونس . ومكث السلطان ابو اسحاق ابراهيم صاحب تونس مع خالد بن حمزة بالجريد وعياله وثقلته بالمهدية مع الشيخ عبد الله بن تافراجين . وكان السلطان لما وجه جيشه في البر الى تونس بعث معه الفقيه المحدث الخطيب ابن مرزوق برسم خطبة بنت السلطان ابي يحيى ابي بكر فوقف الفقيه على والدتها فقالت له غدا ان شاء الله يكون الحديث بمحضر القاضي وغيره فرجع اليها من الغد فاختفت عنه وجد الطلب عليها فلم يجدها . وكان في خلال ذلك قد وصل الى السلطان ابي عنان بمعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيى بن يملول وبيعة علي بن الخلف صاحب نفطة ووفد ايضا ابن مكي مجددا طاعته والشيخ يعقوب ابن علي من مشيخة رياح واضافهم بالبلد ضيافة خرجت عن الامثال . ثم جاهر يعقوب بالخلاف لما تبين من مكر السلطان ابي عنان وارهاق حده بالعرب ومطالبتهم بالرهن وقبض ايديهم عن الاتاوات فلحق بالرمل واتبعه السلطان فاعجزه فعدا على قصوره ومنازله بالتل والصحراء فخربها وانتسفها ثم رجع الى قسنطينة وارتحل منها قاصدا تونس ونهض اثر ذلك المولى ابو اسحاق بمن معه من الجريد للقائه وانتهوا الى فحص تبسة . فتحدث رجال بني مرين في الرجوع عن سلطانهم حذرا من ان

يصيبهم بافريقية ما كان اصابهم من قبل فانفضوا متسللين الى المغرب ٠ ولما خف العسكر من اهله نادى من بقي فيه المغرب المغرب فقال ما هذا فاخبر فامر بالرجوع الى المغرب واتبع العرب آثاره وبلغ الخبر الى ابي محمد ابن تافراجين بمكان منجاته من المهدية فنهض الى تونس فادرك من بها من بني مرين خبر قدومه وقد ثار اهل البلد بهم فركبوا البحر وفروا الى المغرب ودخل الشيخ ابن تافراجين تونس وكانت مدة غيبته سبعين يوما ٠ وبلغ الخبر بذلك المولى السلطان ابا اسحاق فاقبل الى حضرته فدخلها في الرابع لذي الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة بعد ان بعث المولى ابا زيد في عسكر الجنود والعرب لاتباع اثر بني مرين ومنازلة قسنطينة فاتبعهم الى تخوم عملهم ورجع الى قسنطينة فقاتلها اياما فامتنعت عليه فانكفا راجعا الى الحضرة ولم يزل مقيما بها الى ان مات ٠ ولما وصل السلطان ابو عنان لفاس وحل بها غرة ذي الحجة من السنة المذكورة عاقب اكثر الناس لامتناعهم من المسير معه الى تونس وثقف في غداة يوم وروده اربعة وتسعين شيخا من شيوخ بني مرين وقتل وزيره فارس بن ميمون وجماعة من وجوه الجند وثقف الفقيه ابا عبد الله بن مرزوق فقال له - لم لم تضع اليد فيها حين ذهبت لتخطبها لي - فقال - بنت ملك يخطبها سلطان كيف نضع يدي فيها - فابقاه في الثقاف بسبب ذلك ستة اشهر ٠ وفي جمادى من سنة تسع وخمسين وسبعمائة تحرك المولى ابو اسحاق الحركة التي افتتح فيها المهدية وكان فتحه اياها في شعبان وسبب انتقاضها عليه انه عقد عليها لاخيه الامير ابي يحيى زكرياء وبعث على حجابته احمد بن خلف من اولياء ابن تافراجين مستبدا عليه فاقام على ذلك حولا او بعضه وذلك بعد انصراف السلطان ابي عنان ثم ضجر السلطان ابو يحيى من الاستبداد عليه فبيت على احمد ابن خلف وقتله وبعث لابي العباس احمد بن مكي صاحب جربة وقابس ليقيم له رسم الحجابة لما كان مناويا لابن تافراجين فوصل اليه وطيروا بالخبر الى السلطان ابي عنان وبعثوا اليه ببيعتهم

واستصرخوه . وسرح الشيخ ابن تافراجين اليها العسكر فاجفلوا امامه ولحق المولى ابو يحيى زكرياء بقابس واستولى العسكر على المهدية واستعمل ابن تافراجين عليها محمد بن الدكداك . واقام المولى ابو يحيى بقابس واجلب به ابو العباس ابن مكي على تونس ثم لحق بالذواودة ونزل على يعقوب بن علي واصهر اليه في ابنة اخيه سعيد وعقد له عليها وبقي بينهم الى ان اجلب به على الحضرة ايام المولى السلطان ابي العباس كما سيذكر . وفي ءاخر سنة تسع وخمسين كانت وفاة السلطان ابي عنان وسنه ثلثون سنة ومدته عشرة اعوام فولي بعده ولده محمد السعيد تحت نظر وزير ابيه الحسن بن عمر البودودي قاتل السلطان ابي عنان . وثار على السعيد منصور بن سليمان ابن منصور بن عبد الحق ونازل البلد الجديد (اي فاس الجديد) دار الملك ودخل في طاعته سائر الممالك والاعمال وبعث في السلطان ابي العباس صاحب قسنطينة ليصرفه الى بلده واستدعاه من محبسه بسبتة فخرج في رجب من سنة ستين . وفيها تحرك المولى ابو اسحاق صاحب تونس الى قسنطينة واقام عليها مدة وبها بنو مرين ثم رحل الى بجاية فقام اهلها على من بها من بني مرين وقائدهم يحيى بن ميمون بن مصمود فكبل وصرف في البحر الى تونس واعتقل بها ودخل المولى ابو اسحاق الى بجاية سنة احدى وستين واستبد بها واقام بها خمس سنين وحاجبه وكافله الشيخ ابو محمد بن تافراجين يمده من تونس . وبقي السلطان ببجاية حتى دخلها عليه صلحا صاحبها ابن اخيه وهو الامير ابو عبد الله محمد ابن الامير ابي زكرياء ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر بعد تردادة اليها مدة وخرج المولى ابو اسحاق الى تونس في البر . وفي العام المذكور خرج الامير ابو سالم ابن السلطان ابي الحسن المريني مختفيا من غرناطة الى ملك النصارى باشبيلية مستغيثا به على ملك ءاباته لما بلغه موت اخيه السلطان ابي عنان واضطراب الوطن بعد ان ايس من اسعاف سلطان الاندلس على هذا الغرض فرثى له ملك النصارى وجهز له جفنا من اسطوله اركبه اياه ومن معه وقصد سواحل البلاد الغربية

فنزل في جبل الصفيحة على طريق سبتة فوافق مجيء السلطان ابي العباس من سبتة لما اطلق . وفي هذا الطريق ولد للمولى ابي العباس ولده الامير ابو اسحاق ابراهيم فلقي المولى ابو العباس الامير ابا سالم وليس معه إلّا رجال من الاندلس نحو الثمانية فطلبه الامير ابو سالم في الاقامة معه وعاهده انه ان تمكن من غرضه رده الى قسنطينة بلده فوقف المولى ابو العباس معه بجملة عبيده القائد بشير وغيره ثم ظهر حال الامير ابي سالم وجاءته القبائل من الجبال . وكان الثائر منصور بن سليمان قد وجه عسكرا مع اخويه عيسى وطلحة لدفاع الامير ابي سالم ووقع بينهم القتال ثم تفرق الجيش عن ابن سليمان ولحق بالامير ابي سالم وخلع الحسن بن عمر البودودي محمد السعيد بن ابي عنان بفاس وبايع الامير ابا سالم فملك ابو سالم المغرب باسره ودخل الى فاس الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين واصطفى خطيب ابيه العالم ابا عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق وجعل توقيعه وكتابة سره الى الفقيه الحافظ ابي زيد عبد الرحمان ابن خلدون صاحب ترجمان العبر وكان نزع اليه من عسكر القائد منصور ابن سليمان لما راى من اختلال احواله ومصير الامر الى السلطان ابي سالم فاقبل عليه واستخصه لكتابته . ولما حل السلطان ابو سالم بفاس ومعه السلطان ابو العباس احمد امر بتسريح الامير ابي عبد الله محمد صاحب بجاية من اعتقاله . ثم ان السلطان ابا سالم تحرك الى تلمسان في سنة احدى وستين فدخلها واقام بها مدة في خلالها زار المولى ابو العباس سيدي ابا مدين وعاهد الله هنالك انه لا يكافي من فعل معه سيئة إلّا بخير . ثم كتب السلطان ابو سالم لمنصور ابن الحاج خلوف الذي كان اخلفه ابو عنان عاملا على قسنطينة ان ينزل عن المدينة للمولى ابي العباس وصرفه اليها بالاكرام فدخلها في شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة . وكان المولى ابو يحيى زكرياء منذ بعثه اخوه المولى ابو العباس الى عمهما السلطان ابي اسحاق صريخا كما تقدم لم يزل مقيما بتونس ثم لما عاد ابو العباس من المغرب واستولى على قسنطينة

حفي الحاجب عبد الله بن تافراجين بادرة منه وتوقع زحفه وراى ان يخفض جناحه في اخيه ويتوثق به فاعتقله بالقصبة تحت كرامة ورعي وبعث فيه المولى السلطان ابو العباس بعد مراوضة في السلم فاطلقه ووقع بينهما الصلح . ولما وصل المولى ابو يحيى زكرياء الى اخيه بقسنطينة عقد له على العساكر وزحف الى بونة فملكها سنة ثنتين وستين وعقد له عليها وانزله بها مع العساكر واصارها تخما لعمله واستمرت حالها على ذلك . وفي ليلة الثلثاء السابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة قام عمر ابن عبدالله بن علي بفاس الجديد على السلطان ابي سالم وبايع تاشفين الموسوس ابن السلطان ابي الحسن المريني وخرج اليه السلطان ابو سالم من فاس القديم فانهزم عنه جنده الى فاس الجديد وفر هو بنفسه فالحق وقتل واتي براسه الى فاس الجديد . ثم ان الناس نفروا على عمر بن عبد الله في تقديمه لتاشفين وكان لا عقل له فبعث للامير محمد ابن الامير عبد الرحمان ابن السلطان ابي الحسن وكان ببلاد النصارى فر اليها خائفا من عمه السلطان ابي سالم فقدم اليه فبايعه في اواسط صفر من عام ثلثة وستين وخلع تاشفين وانزله بدارة مع حرمه . وفي العام المذكور نقم اهل جربة على ابن مكي سيرته فيهم ودسوا الى الحاجب ابي محمد بن تافراجين بذلك فسرح اليها ابنه ابا عبد الله محمدا بالعساكر وكان احمد بن مكي غائبا بطرابلس فنهض ابو عبد الله بالعساكر في الاسطول ونزل بالجزيرة وضايق قشتيلها الى ان فتحه عنوة وملك الجزيرة واقام بها دعوة صاحب تونس واستعمل عليها كاتبه محمد بن ابي القاسم ابن ابي العيون وانكفا راجعا الى الحضرة . وفي فاتح سنة ست وستين وسبعمائة توفي الشيخ الحاجب ابو محمد عبد الله ابن تافراجين بتونس ودفن بمدرسته الكائنة بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة وحضر دفنه المولى الخليفة ابو اسحاق حتى وضع بملحده واستبد السلطان بملكه من بعده واقام سلطانه بنفسه . وكان السلطان عند خروجه من بجاية في البر كما قدمنا مر في طريقه بقسنطينة فنزلها في ضيافة اميرها

ابن اخيه المولى السلطان ابي العباس وارتحل بعد راحته بها اياما في ميالة وخدمه الى الحضرة وعقب حلوله بها اصهر الى الحاجب الشيخ ابي محمد المذكور في كريمته فعقد له عليها واعرس السلطان بها ثم كان مهلك الحاجب عقب ذلك . وكان ابنه ابو عبد الله وقت مهلك ابيه غائبا في الجباية والتمهيد فلما بلغه مهلك ابيه داخلته الظنة واوجس الخيفة فصرف العسكر الى الحضرة ورحل مع حكيم من بني سليم وعرض نفسه على معاقل افريقية التي كان يتظنن انها خالصة لهم كجربة والمهدية فصدة ولاتها عنها . وبعث اليه السلطان بما رضيه من الامان فاصحب بعد النفور وبادر الى الحضرة فتلقاه بالترحيب وقلده حجابته ثم انكر هو مباشرة السلطان للناس ورفعه للحجاب لما الفه من الاستبداد منذ عهد ابيه فاظلم الجو بينه وبين السلطان ودبت عقارب السعاية بينهما فتنكر وخرج لقسنطينة ونزل بها على المولى السلطان ابي العباس مرغبا له في ملك تونس ومستحثا فانزله خير نزل ووعده بالنهوض معه بعد الفراغ من امر بجاية لما كان بينه وبين ابن عمه صاحبها من الفتنة . واستبد المولى ابراهيم بعد مفر ابن تافراجين عنه وعقد على حجابته لاحمد بن ابراهيم المالقي ورفع الحجاب بينه وبين الناس . وفي السنة المذكورة مات قاضي الجماعة الفقيه عمر بن عبد الرفيع فوقع الكلام في مجلس السلطان في تقديم قاض وحضر المجلس امام الجامع الشيخ ابن عرفة فقال بعض الناس ـ جرت العادة ان قاضي الانكحة يولى القضاء ـ وكان اذ ذاك قاضي الانكحة الشيخ ابن حيدرة فقال الشيخ ابن عرفة ـ الله يوفق الناس في خلقه فالاولى تقديم ابن القطان من اهل سوسة ـ فقال السلطان ـ ما ناتي به من القرى حتى تكون تونس قد خلت ممن يصلح ـ وامر بتقديم محمد بن خلف الله النفطي وكان قد نزع اليه من بلده نفطة مغاضبا لمقدمها عبد الله بن علي بن الخلف فرعى له السلطان نزوعه اليه ثم ولاه قود العساكر الى الجريد وحربهم فكان له فيها غناء واستدفعوه مرات بجباياتهم يبعثون بها الى

السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بعسكرة وكان ابن المالقي يغص بمكانه عند السلطان ولم يزل في نفسه منه الى ان هلك السلطان وتقبض عليه كما سيذكر . وفي سنة سبع وستين تحرك السلطان ابو العباس احمد من قسنطينة الى بجاية باستدعاء اهلها اياه لسوء سيرة صاحبها اميرهم ابي عبد الله فيهم ففر من بين يديه ولحقه من رغب في الظهور عليه ولم يتمكن منه الّا بضربه فمات ودخل السلطان احمد بجاية تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة . فلما ملك بجاية جاءه كُتّاب الامير ابي عبد الله وحاجبه الفقيه الوزير ابو زيد عبد الرحمان بن خلدون فتلقاهم بالمبرة وعفا عنهم . وفي الثالث عشر لجمادى الاولى من السنة المذكورة توفي قاضي الجماعة بغرناطة الفقيه الموثق ابو القاسم بن سلمون بن علي بن عبد الله الكناني البياسي الاصل الغرناطي المولد والمنشا المعروف بابن سلمون صاحب التاليف في الاحكام المسمى « العقد المنظم للحكام - في ما يجري بين ايديهم من الوثائق والاحكام » . وبعد تحرك السلطان ابي العباس احمد من بجاية نازل تونس فافتتحها وغلب عليها وعلى من كان بها من عمال بني عبد الواد وانتظمت الثغور الغربية كلها في ملكه كما كانت في ملك جده الامير ابي زكرياء الاوسط وبقي الامير ابو العباس احمد يتردد بين بجاية وقسنطينة الى ان تحرك الى تونس كما يذكر بعد . ولـــما فرغ من فتح بجاية سرح المولى ابا يحيى زكرياء في العساكر مع اولاد مهلهل وكانوا قد قدموا عليه صحبة ابي عبد الله محمد ابن الحاجب ابي محمد عبد الله بن تافراجين فساروا معه الى حضرة تونس وابن تافراجين في جلتهم فنازلوها اياما فامتنعت عليهم فاقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين صاحب الحضرة وبينهم . وقفل المولى ابو يحيي [illegible] بونة ولحق ابن تافراجين بالمولى ابي العباس . وفي سنة تسع وستين وسبعمائة عقد السلطان ابراهيم لابنه ابي البقاء خالد على عسكر لنظر محمد بن وافع من طبقات الجند من مغراوة مستبدا على ابنه وبعثه مع منصور بن حمزة وامرهم بتدويخ ضواحي بونة وجباية اموالها

فساروا اليها وسرح المولى ابو يحيى صاحب بونة عسكره مع اهل الضاحية فاثخنوا في مدافعتهم وانقلبوا على اعقابهم . ولما رجعوا الى الحضرة تنكر السلطان لمحمد بن رافع قائد العسكر فخرج ولحق بقومه بمكانهم من تَجُبَّة من عمل تونس واستقدمه السلطان بعد ان استعتب له فلما قدم قبض عليه واودعه السجن وعلى اثر ذلك كان مهلك السلطان فجاة في ليلة من رجب سنة سبعين وسبعمائة بعد ان قضى وطرا من محادثة السمر وغلبه النوم آخر الليل فنام ولما ايقظه الخادم وجده ميتا فكانت مدة خلافته بتونس ثمانية عشر عاما وعشرة اشهر ونصف شهر وترك من الولد الذكور خمسة ومن الاناث احدى عشرة بنتا . ولما توفي السلطان فجاة غلب على البطانة الدهش ثم راجعوا بصائرهم واتفقوا على مبايعة الاكبر من اولاد سلطانهم . فبويع الامير ابو البقاء خالد ابن السلطان ابي اسحاق ابراهيم ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر ابن الخلفاء الراشدين بويع بتونس في رجب من سنة سبعين وسبعمائة صبيحة موت ابيه اخذ له البيعة من الناس مولاه منصور عتيقه من العلوج وحاجبه احمد بن ابراهيم المالقي وحضرلها الموحدون والفقهاء والكافة وانفض المجلس وقد انعقد امره الى جنازة ابيه حتى واروه التراب . واستبد عليه منصور عتيقه وابن المالقي فلم يمكن له حكم عليهما . وكان اول ما افتتحا به امرهما ان تقبضا على قاضي الجماعة حينئذ محمد بن خلف الله من طبقة الفقهاء لما كان في نفس المالقي منه واودعاه السجن مع محمد بن رافع المتقدم الذكر . ثم ان المالقي بعث اليهما من داخلهما في الفرار من الاعتقال حتى دبراه معه وظهر على امرهما فقتلهما في محبسهما خنقا . وقدم بعد محمد بن خلف الله لقضاء الجماعة بتونس قاضي الانكحة حينئذ الشيخ الفقيه العالم الحافظ ابو العباس احمد بن حيدرة . وفي حدود احدى وسبعين تولى الشيخ الفقيه القاضي ابو البركات محمد بن ابي بكر المعروف بابن الحاج ولي القضاء والخطبة ببلد المرية ومالقة ثم ولي قضاء الجماعة وخطبة الحضرة بغرناطة ولما قدم على السلطان ابي عنان

سالہ عن عمرہ فقال لہ ـ ليس من المروۃ ان يخبر الرجل بسنہ كذا قال مالك ـ فتغافل عنہ واخذ يسالہ عن انتقالاتہ في البلاد وعن زمن رحلتہ لبجايۃ فاخبرہ بالتاريخ فسمّتُ لہ الكلام وقال ـ اترى عمرك حينئذ كم ـ فبادرہ بان قال ـ انسرقني انت ـ وتفطن لما اراد منہ ۔ وفي رابع ذي الحجة من السنۃ المذكورۃ توفي الشيخ العلامۃ الشريف ابو عبد الله محمد بن احمد الحسني شارح الجمل الخونجي بتلمسان وكان اماما ذا عقل وذهن ثابت قال الشيخ ابن عرفۃ رايتہ وقد وفد لتونس فرايت منہ علما تاما ومعرفۃ وحكى عنہ ولدہ قال انشدني ابي في المنام ـ

لانت خليلي في الملاء وفي الخلا   وانت انيسي والعباد هجوع

ولنرجع الى ما كان من امر تونس بعد ولايۃ الامير خالد بها وذلك ان ابن المالقي ومنصور عتيقہ واتباعهما ساروا في الناس سيرة غير مرضيۃ واشخصوا لوقتهم منصور بن حمزة شيخ اولاد ابي الليل وبني كعب بما اطمعوہ في شركتہ لهم في الامر ثـم لم يكملوا لہ بذلك فسخطهم ولحق بالمولى السلطان ابي العباس احمد وهو مستجمع للوثوب بهم فاستحثہ لملكهم فاجاب صريخہ ۔ وكان اهـل قسنطينۃ قـد بعثوا اليہ لمثل ذلك فسرح اليهم ابا عبد الله ابن الحاجب ابي محمد بن تافراجين فسار اليهم واقتضى بياعتهم وطاعتهم وسارع الى ذلك يحيى بن يملول مقدم توزر والخلف بن الخلف مقدم نفطۃ ثـم خرج السلطان من بجايۃ في العساكر الى الحضرة وعقد على بجايۃ لولدہ المولى ابي عبد الله محمد وتلقتہ وفود افريقية جميعا بالطاعة وانتهى الى تونس فخيم بساحتها اياما يغاديها القتال ويراوحها ثـم زحف الى اسوارها وقـد ترجـل اخوہ والكثير من بطانتہ فلم يقم لهم شيء حتى تسنموا الاسوار برياض راس الطابيۃ فنزل عنها المقاتلۃ وفروا الى داخل البلد ودهش الناس وتبـرا بعضهم من بعض واهل دولۃ الامير ابي البقاء في موكبهم وقوف بباب الغدر من ابواب القصبۃ ۔ فلما راوا انهم احيط بهم ولوا الاعقاب وقصدوا باب الجزيرة فكسروا اقفالہ وثار اهـل البلد جميعا بهم فخلصوا بسلطانهم من البلد بعـد

مشقة ومضى الجند في اتباعهم فادرك احمد بن المالقي فقتل وسيق راسه الى السلطان وتقبض على الامير خالد فاعتقل ونجا العلج منصور ۰ ودخل السلطان احمد قصبته في يوم السبت الثامن عشر من ربيع الثاني من عام اثنين وسبعين وسبعمائة وانطلقت ايدي العيث في ديار اهل الدولة لما كانوا يفعلون بالناس من اغتصاب اموالهم وتحاملهم عليهم واضطرمت نار العيث في دورهم ومخلفهم فلم تكد ان تنطفي ۰ وبعث السلطان ابو العباس احمد بالامير خالد واخيه في الاسطول الى قسطنطينة فعصفت بهما الريح وانخرقت السفينة وترادفت الامواج الى ان هلكا فكانت مدة الامير خالد سنة وتسعة اشهر ونصفا ۰ وولي بعده تونس السلطان ابو العباس احمد ابن الامير المرحوم ابو عبد الله محمد ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر ابن الخلفاء الراشدين امه ام ولد اسمها قشوال بويع له بتونس يوم السبت الثامن عشر لربيع الثاني من عام اثنين وسبعين المذكور وكانت ولادته بقسطنطينة في سنة تسع وعشرين ۰ ولما وصل الى تونس سكن ما تزلزل وقوم ما تحول ورفع انواع الفساد عن البلاد واختص خواصا بمجلسه منهم الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابو العباس احمد بن تافراجين التميلي كان يقرر اصول المسائل السلطانية ويذكر العادة فيما التبس منها اذا سئل عنها ورجع اليه في ذلك وعقد على حجابته للمولى ابي زكرياء اخيه ورعى لابي عبد الله ابن الحاجب ابي محمد بن تافراجين حق الحامية اليه فجعله رديفا في الحجابة لاخيه ۰ وقدم من خواصه الواصلين معه اربعة الوزير ابو اسحاق ابراهيم ابن الوزير ابي الحسن علي بن ابراهيم ابن ابي هلال عياد الهنتاتي وشقيقه الشيخ ابو عبد الله محمد وابو هلال هذا هو صاحب بجاية بعهد السلطان المنتصر والكاتب ابو اسحاق ابراهيم بن ابي محمد عبد الكريم من كماد من كبار قسطنطينة ۰ واول من كتب علامته بتونس الفقيه ابو زكرياء ابن الشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن وحاد الكومي القسنطيني وطالت في ذلك مدته الى ان توفي فكتبها بعده الفقيه ابو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن الحجر

من بيتات قسنطينة العدول وطالت كتابته مع حسن الخط ووجازة اللفظ الى وفاة الخليفة . واحدث المولى السلطان احمد بتونس حسنات دائمة فمنها انشاوه لسبالة المدينة بيطحاء ابن مردوم ومنها اقامة القراءة في الاسباع في المقصورة غربي جامع الزيتونة في كل يوم بالوقف الموبد ومنها بناوه البرج الكبير المعروف بقرطيل المحّار شرقي بلد قمرت قرطاجنة وجعله للحراسة ومنها رفع التصييف عن قرى قرطاجنة وقت خروج السلطان الى ذلك المكان الى غير ذلك من محامد افعاله . وفي سنة ثنتين وسبعين قدم الشيخ الفقيه الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن عرفة للخطابة بجامع الزيتونة وفي العام الذي بعده قدم للفتيا به . ثم ان السلطان ابا العباس احمد لما تمهد له ملك تونس انتزع ما بايدي العرب من الامصار فاهمهم ذلك وتنكر منصور بن حمزة شيخ بني كعب واولاد ابي الليل فنزع يده من الطاعة وتابعه على خروجه على السلطان ابو صعنونة احمد بن محمد ابن عبد الله بن مسكين شيخ حكيم وارتحل الى الذواودة صريخا بالامير ابي يحيى زكرياء ابن المولى السلطان ابي يحيى فبايعوه ورحل معهم الى تونس فلقي منصور بن حمزة بمن معه فبايعوه واوفدوا مشيختهم على يحيى بن يملول يستحثونه للطاعة فبايع له وبعث السلطان اخاه زكرياء بعسكر للقيهم فالتقوا فانهزمت عساكر المولى ابي يحيى ونزل العرب على تونس بسلطانهم ونمى الى السلطان ابي العباس احمد ان حاجبه ابا عبد الله محمد ابن الحاجب ابي محمد بن تافراجين داخل العرب في اخذ تونس فتقبض عليه واشخصه في البحر الى قسنطينة فلم يزل بها معتقلا الى ان هلك سنة ثمان وسبعين . ثم ان السلطان بعث الى قوم منصور بن حمزة فانتقضوا عليه فلما احس بذلك عاود الطاعة ورهن ابنه ونزع طاعة سلطانهم زكرياء ورجع على عقبه الى الذواودة والتزم طاعة السلطان الى ان هلك مقتولا قتله محمد ابن اخيه فتيته وقام بامره بعده صولة بن خالد بن حمزة وعقد له السلطان على ذلك . وفي عام ثلثة وسبعين عقد السلطان على قسنطينة للقائد بشير .

وفي ليلة الثلثاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني من سنة اربع وسبعين توفي صاحب فاس السلطان عبد العزيز ابن السلطان ابي الحسن بمرض مزمن فولي بعده ولده محمد السعيد وكان صغيرا خماسيا فبقي الى ان دخل عليه الامير ابو العباس احمد ابن الامير ابي سالم في سنة خمس وسبعين . ولما دخل الى فاس بادر الى القبض على ابن الخطيب الاندلسي لما كان اوصاه به ابن الاحمر صاحب الاندلس فاودعه السجن . ثم قدم رسول ابن الاحمر يهنئه بالملك . فقتل ابن الخطيب بمحبسه خنقا وكان كاتبا بليغا اديبا مورخا جيد النظم عارفا بالنجامة سمعت بعض الشيوخ يحكي ان من نظمه في اليوم الذي قتل فيه —

قف كي ترى مغرب شمس الضحى بين صلاة العصر والمغـــــرب
واسترحم الله قتيلا بهـــــــا كان وحيد العصر في المغـرب

وفي ءاخر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعين توفي قاضي الجماعة بتونس الفقيه الحافظ ابو العباس احمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حيدرة ودفن بالجلاز فتولى بعده قضاء الجماعة الفقيه ابو علي حسن بن ابي القاسم بن باديس القسنطيني . وفي سنة تسع وسبعين توفي صاحب قسنطينة القائد بشير فعقد السلطان عليها لولده ابي اسحاق ابراهيم مستقلا وقد كان قبل ذلك بها لكن مع القائد نبيل وهو المستبد عليه لمكان صغره . وفي سنة تسع وسبعين نهض السلطان ابو العباس احد من الحضرة في عساكره ومن التف عليه من اولاد مهلهل وحكيم قاصدا للجريد لما بلغه من مشيختها من الاستبداد والعتو فسار الى القيروان وارتحل منها يريد قفصة فنازلها فقاتلوه فامر بقطع نخيلهم فتسللت اليه الرعية من اماكنهم واسلموا احمد بن العابد مقدمهم وابنه محمدا المستبد عليه فخرج محمد الى السلطان واشترط له ما شاء من الطاعة والخراج ثم رجع الى البلد فلقيه المولى ابو يحيى زكرياء في ساحة البلد فبعث به الى السلطان ودخل هو الى القصبة وتملك البلد وتقبض السلطان على محمد بن العابد وابنه احمد واعتقلهما واستولى على دلره وذخائره

واجتمع الملأ من اهل البلد عند السلطان واتوه ببيعتهم . فعقد السلطان عليها لابنه المولى ابي بكر وارتحل يغذ السير الى توزر وقد طار الخبر بفتح قفصة الى ابن يملول فركب لحينه واحتمل اهله وما خف ولحق بالزاب وطير اهل توزر بالخبر الى السلطان فتقدم الى البلد فملكها واستولى على ما لا يحيط به الوصف من ذخائر بني يملول وعقد السلطان على توزر لابنه المستنصر وانزله بها . واستقدم السلطان الخلف بن الخلف صاحب نفطة فقدم واتاه طاعته وعقد له على بلده وولاه حجابة ابنه بتوزر وانزله معه وقفل الى حضرته فلقيه اهل الخلاف من العرب فاوقع بهم ودخل السلطان حضرته فوفد عليه صولة بن خالد بن حمزة بعد ان توثق لنفسه فاشترط له على قومه ما شاء فرجع اليهم فلم يرضوا بشرطه ونهض السلطان من الحضرة في العساكر فاجفلوا امامه فاتبعهم واوقع بهم ثلث مرات في ثلثة ايام واقفوه فيها ثم اجفلوا ولحقوا بالقيروان . ثم ان الخلف بن الخلف لما استقل بحجابة المولى المستنصر كما ذكرناه استخلف من ينوب عنه ببلده نفطة ونزل بتوزر مع المولى المستنصر ثم سعي به انه يراسل ابن يملول وعثر على كتابة بخط كاتبه الى ابن يملول والى يعقوب بن علي شيخ الذواودة يحرضهما على الفتنة فتقبض المولى المستنصر عليه واودعه السجن وبعث عماله الى نفطة واستولى على امواله وخاطب اباه في شانه . ثم ان المولى ابا بكر خرج من قفصة برسم زيارة اخيه بتوزر وخلف بالبلد حاجبه القائد عبد الله التريكي . فلما توارى الامير عن البلد قام بها رجل من كبارها وهو احمد بن ابي زيد واجتمعت عليه الاشرار ونادى بنقض الطاعة وتقدم الى القصبة فاغلقها القائد عبد الله دونه وامتنعت عليه وقرع القائد عبد الله الطبل بالقصبة فاجتمع اليه اهل القرى فادخلهم من باب بالقصبة كان يفضي الى الغابة فتسلل الناس عن القائم وخرج القائد بمن معه من القصبة فقبض على كثير من اهل الثورى فسجنهم وسكن الهيعة . وطار الخبر الى المولى ابي بكر فرجع الى قفصة وحين دخوله ضرب اعناق المعتقلين من اهل الثورة ونادى في الناس بالبراءة من ابن

ابي زيد واخيه وامر بالبحث عليهما فعثر عليهما مستترين بزي النساء فاتوا بهما الى الامير فضرب عنقيهما وصلبهما في جذوع النخل وارتاب المولى المستنصر بابن الخلف فقتله بمحبسه . وفي اواخر صفر من سنة احدى وثمانين وسبعمائة استعفى الفقيه ابو علي حسن بن ابي القاسم بن باديس القسنطيني وقدمه ببلده قسنطينة وقدم الفقيه ابا عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمان البلوي القطان لقضاء الجماعة بتونس . وفي تلك السنة توفي الشيخ الفقيه العالم الخطيب ابو عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق بالقاهرة ودفن بين ابن القاسم واشهب وسنه قريب من السبعين سنة . وفي رجب من السنة المذكورة رحل المولى السلطان من تونس ومعه احياء العرب الى ان وصل الى القيروان بعد استراحته في بعض اماكن ثم ارتحل منها يريد قابس وصاحبها عبد الملك بن مكي وقد استكمل التعبية فبادر الى لقيه ولاخذ بطاعته مشيخة ذباب اعراب قابس من بني سليم ووفد منهم خالد بن سباع ابن يعقوب شيخ المحاميد وطائفة معه يستحثونه لمنازلة قابس فاغذ السير اليها وقدم رسلا بين يديه بالانذار لابن مكي فانتهوا اليه فرجعهم بالانابة والانقياد الى الطاعة ثم احتمل ابن مكي رواحله وعبا ذخائره وخرج من البلد ونزل على احياء ذباب هو وابنه يحيى وحفيده عبد الوهاب من ابنه مكي واتصل الخبر بالسلطان فبادر للبلد ودخلها في ذي القعدة من سنته واستولى على منازله وقصوره ولاذ اهل البلد بطاعته وقدم عليها من حاشيته . وكان ابو بكر بن ثابت صاحب طرابلس قد بعث طاعته ووافت رسله السلطان قرب قابس فلما استكمل فتحها بعث اليه من حاشيته لاقتضاء ذلك فرجعهم بالطاعة واقام ابن مكي بعد خروجه من قابس بين احياء العرب ليالي قلائل ثم توفي بغتة ولحق ابنه وحفيده بطرابلس فمنعهما ابن ثابت الدخول اليها فنزلا بزنزور من قراها في كفالة الجواري من بطون ذباب . ولما استكمل المولى السلطان الفتح انكفا راجعا الى حضرته فدخلها فاتح سنة ثنتين وثمانين ولحقه رسله بهدية من ابن ثابت صاحب طرابلس ووفد عليه

في الحضرة اولاد ابي الليل طالبين العفو عنهم فاجابهم الى ذلك ووفد صولة ابن خالد بن حمزة شيخهم وقبله ابو صعنونة شيخ حكيم ورهنوا ابناءهم ثم خرج المولى ابو زكرياء في العساكر لاقتضاء المغارم من هوارة وارتحل معه اولاد ابي الليل واحلافهم من حكيم حتى استوفى جبايته وجال في اقطار عمله ثم انكفا راجعا الى الحضرة ووفدوا معه على السلطان يتوسلون به في اسعافهم بالمحلة الى بلاد الجريد لاقتضاء مغارمهم على العادة واستيفاء اقطاعاتهم فبعث معهم لذلك ابنه المولى الهمام ابا فارس عبد العزيز فارتحلوا معه باحيائهم ثم انهم احسوا بابن مزني ويعقوب بن علي فبعثوا يستصرخون السلطان ابا حمو صاحب تلمسان فظهرت من اولاد ابي الليل عروق الخلاف ونزعوا الى اللحاق بيعقوب بن علي وفارقوا المولى ابا فارس بعد ان بلغوه مامنه من قفصة وساروا باحيائهم الى الزاب فلم يظفروا بالبغية . ووفد يعقوب وابن مزني وقد جاءهم وافد صاحب تلمسان بالعقود عن نصرتهم فسقط في ايديهم وعاهدهم الندم وحملهم شيخ الذواودة على المراجعة للسلطان وبعث معهم ابنه محمدا فلما وصلوا تقبلهم . وفي ثاني عشر صفر من سنة ثنتين وثمانين توفي الشيخ الفقيه الحافظ المفتي ابو محمد عبد الله البلوي الشبيبي ودفن بدار الشيخ ابي محمد عبد الله بن ابي زيد بازاء قبره داخل القيروان . وفي ثاني عشر ذي القعدة من سنة خمس وثمانين توفي الاستاذ القاضي الامام ابو بكر بن جرير كان قاضي الاندلس نحويا مرضيا بارع النظم والنثر له تصانيف منها - زمام الرائض في علم الفرائض - والاغراب في الاعراب - وشرح الفية ابن مالك - وتشطير قصيدة « قفا نبكي » وهي عجيبة . ومن نظمه —

لما علاني الشيب قال صواحبي   لا نرتضي خلا يغود اشيب
فصبغته خوف الصدود فقلن لي   هذه رواية اصبع عن اشهب

وفي حدود العام المذكور توفي قاضي الجماعة بتونس الفقيه ابو عبد الله محمد ابن عبد الرحمان البلوي القطان فولي قضاء الجماعة بعده الفقيه ابو زيد

عبد الرحمان البرشكي ثم بعد مدة من تقديمه مرض فقدم للنيابة عنه شيخ شيوخنا الفقيه العالم ابو مهدي عيسى الغبريني . ثم لما كانت سنة سبع وثمانين توفي القاضي البرشكي المذكور واستقل بالقضاء ابو عيسى المذكور . وفي يوم الخميس حادي عشر جمادى الاخرى من السنة المذكورة توفي الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد الظريف ودفن بزاويته المعروفة به بجبل المرسى . وفي سنة ثنتين وتسعين نزل النصارى المهدية في مائة قطعة بين مراكب كبيرة واغربة فوجه السلطان احد محلة نزلت قرب البلد قدم عليها ولده المولى ابا فارس عبد العزيز صحبه باخيه المولى زكرياء فاتفق للمولى ابي فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منهـا في يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة بحيث اسلموا المحلة ودخلها العدو ولم يجد فيها عينا تطرف عدا رجلا واحدا مشغبا قتلوه . وبينما هم في سبي الازواد والاسباب اذا بالمولى ابي فارس نادى في المسلمين وجمع القواد ومن حضرهم من الجند وكر راجعا تجاه العدو حتى اخذ المحلة من ايديهم قهرا فحميت العرب وانصرف العدو منهزما وقتل منهم نحو خمسة وسبعين راسا . وواجه العدو بنفسه ودفع في صدورهم دفعة شتت بها شملهم فلم يلتفت الا والعدو قد احاط به من كل جهة . وعلم العدو انه ابن الخليفة . ومن عادتهم في الحروب انهم اذا اخذوا ملكا او ابن ملك فانهم لا ينزلونه عن فرسه فاخذوا بعنان فرسه وساروا به فالهمه الله سبحانه فاخلع عنان فرسه من راسه والح الفرس وهمزه فخرج الفرس من بينهم فرموه بسهام واسنة واتبعوه بخيل واعنة وهو لا يلتفت الى ان وصل الى المسلمين وسلمه الله عز وجل . ثـم ان النصارى اختلفوا فيما بينهم واراد الجنوي الغدر بالفرنسي فارتحل الفرنسي بسفنه ولما راى الجنوي انه لا يقدر وحده رحل ايضا وكفى الله المسلمين شرهم فانصرفوا خائبين بعد ان اقاموا على ما حكاه ابن الخطيب شهرين ونصفا . وحدث الشيخ الفقيه القاضي احمد القلجاني عن عمه الشيخ الصالح الزاهد الورع ابي العباس احمد وكان ممن حضر قتال

المهدية فقال نزل النصارى المهدية في منتصف شوال وذلك في عام اثنين وتسعين وسبعمائة فاقاموا عليها فيما قيل ستين يوما . وفي السنة المذكورة حج الشيخ الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي واستخلف على امامة جامع الزيتونة والفتوى قاضي الجماعة حينئذ تلميذه الشيخ ابو مهدي عيسى الغبريني وعلى الخطابة بالجامع المذكور الفقيه المقري ابو عبد الله محمد البطرني . وعاد من الحج في جمادى الاولى من عام ثلثة وتسعين وسبعمائة . وفي شوال من سنة ثلث وتسعين توفي صاحب قسنطينة المولى ابراهيم ابن المولى السلطان ابي العباس احمد ببلده قسنطينة بمرض اصابه فكانت ولايته بها اربعة عشر عاما وسنه ثلث وثلثون سنة فولي بعده كاتبه الفقيه ابراهيم بن يوسف ابن القائد ابراهيم الغماري . وفي السنة المذكورة توفي بتونس الشيخان الصالحان سيدي ابو عبد الله محمد البطرني وسيدي همان القرنبالي ودفنا بالجلاز باعلى جبل الفتح منه . وفي عام خمسة وتسعين وسبعمائة نافق اهل قفصة فتحرك المولى السلطان حتى نزلها فحاصرها وقطع كثيرا من نخلها وشجرها وارتحل عنها بعد مدة تملالا من العرب ورجع الى تونس . وكان المولى السلطان لما استقر بتونس استخلص جميع البلاد الا طرابلس وبسكرة فكانتا تحت طاعته بنظر شيخهما . وفي صفر عام ستة وتسعين دخل الامير ابو زيان تلمسان على اخيه ابي يعقوب يوسف ابن السلطان ابي حمو المتقدم الذكر فملكها وفر السلطان ابو يعقوب المذكور الى بني عامر فبعث اليه اخوه ابو زيان من قتله هنالك . وفي يوم الاربعاء ثالث شعبان من سنة ست وتسعين وسبعمائة المذكورة توفي المولى الخليفة السلطان ابو العباس احمد بتونس بمرض سابق طويل تزايد في اشهر هذا العام ودفن بالقصبة فكان عمره سبعا وستين سنة ومدة خلافته بتونس اربعا وعشرين سنة وثلثة اشهر ونصفا . فتولى تونس و بلادها بعده ولده مولانا امير المومنين ابو فارس عبد العزيز ابن المولى السلطان ابي العباس احمد ابن المولى الامير ابي عبد الله محمد ابن المولى السلطان ابي يحيى ابي بكر ابن الامير المولى

ابي يحيى زكرياء ابن المولى السلطان ابي اسحاق ابراهيم ابن المولى الامير ابي زكرياء ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص امه ام ولد اسمها جوهرة من الحرات المحاميد عرب طرابلس ولها حكاية يطول ذكرها هاهنا تزايد بقسنطينة سنة ثنتين او ثلث وستين وسبعمائة وبويع بتونس يوم وفاة والده على رضى من الناس والف بين اخوته واعتضد بهم في دولته . وكان والده اغمي عليه واشرف على الهلاك في غرة شعبان فاجتمع اولاده وتوامروا في ان كتموا حاله ودسوا الى عمهم المولى ابي يحيى زكرياء وهو اذ ذاك ساكن بالرياض الذي هو الان مدرسة بالحلفاوين من باب السويقة من اخبره ان اخاه المولى الخليفة اصبح في عافية فجاء برسم عيادته على عادته . فلما دخل القصبة وجد اولاد السلطان بالقصبة فظن ان اخاه قد توفي فاراد الرجوع الى رياضه فقام اليه بعضهم وحلف لهم ومنعوه الخروج حتى يدبروا واقوامهم اسماعيل فقبضوا عليه وادخلوه لداره بالقصبة واعتقلوه بها . فلما سمع اولاده بالقبض على ابيهم خرجوا من حينهم لاخيهم الامير ابي عبد الله صاحب بونة . ولما قبض على الامير زكرياء اجتمع الامير ابو فارس مع اخوته باخيهم المولى ابي يحيى ابي بكر وهو اذ ذاك ولي عهد ابيهم فقال له الامير ابو عبد الله - ابن عمنا صاحب بونة جالس بمحلته على الطريق بوطن بونة يستمع الاخبار فان هو سمع باخذ ابيه يمشي الى قسنطينة وياخذها فاختر اما ان تمكث انت هنا بتونس وامضي انا منهما والّا تمضي انت اليها وامكث انا هنا بتونس - فراى انه لا قدرة له على القيام بتونس فقال بل انا امضي الى قسنطينة . فاجتمع اولاد الخليفة وكتبوا كتابا عن ابيهم بولاية قسنطينة للمولى ابي يحيى ابي بكر فخرج يوم الاثنين غرة شعبان المذكور الى قسنطينة فوصلها يوم الخميس رابع يوم خروجه فاخرج القائد ابراهيم البواب حتى وقف على الكتاب وتردد في الجواب ثم لم يسعه الّا دخوله فدخلها المولى ابو يحيى ابو بكر عشية الخميس المذكور . واستقل بتونس مولانا امير المومنين ابو فارس عبد العزيز واخذ بالحزم في

امورة واوقف بين يديه خديمه المختص به محمد بن عبد العزيز شيخ الموحدين وجعل لخط علامته كاتبها لوالدة الفقيه ابا عبد الله محمد بن قاسم ابن الحجر المتقدم الذكر واختار لخط الانشاء من اعطي التصرف في العلوم كيف شاء الفقيه الفاضل الامام الشامل المتفنن في العلوم العالم بالمنثور والمنظوم القاضي المحصل الاسد ابا عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الاجل المدرس ابي عبد الله القلجاني من كبار بيوتات عدول باجة وقدم لقلم جبايته وتنفيذه خديمه الفقيه ابا عبد الله محمد بن قاسم بن قليل الهم وجعل في كل خطة من يصلح بها فاستقامت الامور بتونس في ايامه كلها احسن استقامة . واحدث في ايامه بتونس حسنات دائمة فمنها بناوه لزاوية باب البحر من تونس بعد ان كانت بقعة معدة للمعاصي يجباها للمخزن عشرة ءالاف دينار ذهبا في كل عام . ومنها بناوه للسقاية خارج الباب الجديد من تونس تردة الناس والدواب واوقف عليه اوقافا تقوم بها . ومنها بناوه للماجل الذي بمصلى العيدين بتونس وهو من الابنية الضخمة التي قل ان يبنى مثلها واخرج منه سبيلين لاحدهما للشرب للعاطش من جعاب نحاس يجذب منها الماء بالنفس والاخر ورد لمن يردة بقربة او غيرها . ومنها بناوة للزاوية التي خارج باب ابي سعدون بحومة باردو وجعلها منهلا للوارد من اي افق كان ياوي اليها عشية الى ان ينش بمعدة من هنالك سحرا وحبس عليها ما يقوم بها . ومنها بناوة للزاوية التي بحومة الداموس خارج باب علاوة المعروف بالشيخ الصالح سيدي فتح الله جعلها ملجا للواردين من تلك الجهة اذا لم يقدروا على الوصول الى المدينة . ومنها بناوة محارس جلة تحوط ثغور المسلمين كمحرس ءادار والحمامات وابي الجعد ورفراف وغير ذلك . ومنها اقامة الخزانة بجوفي جامع الزيتونة وحبس ما فيها وفي غيرها من الكتب في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب والتاريخ والادبيات وغير ذلك . ومنها احداث قراءة البخاري في كل يوم بعد صلاة الظهر بجامع الزيتونة وكتاب الشفاء والترغيب والترهيب

بعد العصر واوقف على ذلك وقفا . ومنها احداث المرستان بتونس للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين واوقف على ذلك اوقافا كثيرة تقوم به . ومنها ما عينه لاهل الاندلس اعانة لهم على العدو في كل عام وذلك الفا قفيز طعاما من عشر وطن وشتاتة عدا ما يتبعها من ادام وغير ذلك . ومنها ما ترك من المجابي لوجه الله سبحانه . فمنها مجبى سوق الدهانة وكان قدره ثلثة ءالاف دينار ذهبا في كل عام اذ كان كل من اشترى شيئا من انواع الامتعة واللباس يغرم نصف عشر الدينار . ومنها مجبى رحبة الماشية وقدره عشرة ءالاف دينار ذهبا . ومجبى فندق الخضرة وقدره ثلثة ءالاف دينار ذهبا . ومجبى سوق العطارين وقدره مائتان وخمسون دينارا ذهبا — ومجبى فندق الملح وقدره الف دينار ذهبا ونصف الالف . ومجبى فندق البياض وقدره الف دينار ذهبا . ومجبى قائد الاشغال وقدره ثلثة ءالاف دينار ذهبا . ومجبى سوق القشاشين وقدره مائة دينار ذهبا . ومجبى سوق الصفارين وقدره خمسون دينارا ذهبا . ومجبى سوق العزافين وقدره خمسون دينارا ذهبا . ومجبى الصابون وقدره ستة ءالاف دينار ذهبا . وابيح للناس عمله بعد ان كان عمله محصورا متوعدا فاعله بالعقوبة المالية والبدنية . وترك ما كان على المنكر من خراج كالشرطة كان غير واحد من المساكين التزمها بثلثة دنانير ونصف الدينار ذهبا في كل يوم . وكان على الفخارين وظائف فتركها وقطع موضع اجتماعهم . وكذلك كان على الزفافين والغانيات مغارم فتركها عنهم . وكذلك على المخبثين فتركها واجلاهم من جميع بلاده لما بلغه عنهم من عمل المناكر . فجميع هذه المجابي كلها تركها عنهم لوجه الله سبحانه * ولنرجع الى ما كان من امر المولى ابي بكر وانه بعد دخوله الى قسنطينة بعشرة ايام جمع الناس وطلبهم في بيعته لما بلغه وفاة والده فبايعوه . وبعد مبايعته لازم داره في لذاته واقتصر على راحته فظهرت كلمة العرب وفتحوا باب الطمع والطلب وزين لهم الكاتب احمد بن الكماد كل نوع من انواع الفساد ثم توجه احمد بن الكماد مع بعض الاعراب الى صاحب بونة الامير ابي

عبد الله محمد ابن المولى ابي يحيى زكرياء وحضه على المبادرة الى ملك قسنطينة فجمع الامير ابو عبد الله اجناده واهل وطنه ونازل قسنطينة يوم الخميس السادس لذي القعدة من سنة ست وتسعين ومنع الواصل والداخل وقطع الاشجار ورمى بالحجارة والاوتار واقتصر اهل البلد على مدافعته من الاسوار فاقام عليها خمسة وسبعين يوما ثم ارتحل ءائسا منها وعاد في السنة الثانية اليها فخرب المنازل وهتك الزرع والمناهل . ثم ان المولى ابا فارس تحرك اليه من حضرة تونس والتقى الجمعان في شهر رمضان المعظم عام سبعة وتسعين فهزمه مولانا السلطان من تبرسق الكائنة بارض الحنانشة التي عندها اصل وادي مجردة الى سيبوس هزيمة شنيعة فر فيها الامير ابو عبد الله محمد بنفسه على فرسه ودخل بونة مع من لحقه وهم يظنون اقامته فارتقب يوم وصوله الظلام وركب البحر من غير وداع اهله ولا سلام وقصد فاس مستصرخا بصاحبها . ودخل المولى ابو فارس بونة وامن اهلها ومن وجد فيها من خدمة الامير ابي عبد الله محمد وخدمة ابيه مثل القائد يوسف بن المغربي فانه عفى عنه وسرح له ماله وما كان له في تونس من الربع واجرى له راتبه ونقله الى الحضرة . ثم قدم على المولى ابي فارس اخوه ابو بكر من قسنطينة وسلم عليه ورحب به وعند وداعه اعتذر له بالعجز الا ان يكون تحت نظره فقبل ذلك منه وكتب الامير ابو بكر خلع نفسه بيده في العشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة . وفي عام سبعة وتسعين توفي قاضي الانكحة بتونس الشيخ الفقيه ابو علي عمر بن البراء فولي بعده قضاء الانكحة الشيخ الفقيه العالم ابو عبد الله محمد بن قليل الهم . فبعث اهل قسنطنية الى المولى ابي فارس ان يغيثهم فخرج المولى السلطان بجيشه وسار الى صفاقس قاصدا صاحبها اخاه الامير ابا حفص عمر وكان والده الخليفة المرحوم تركه عاملا بها . فنزل صفاقس وحاصرها الى ان تحدث مع اهلها فدخلوا على الامير عمر في الحمام فقبضوا عليه واتوا به الى المولى السلطان وملك السلطان البلد وقدم فيها عاملا من قبله وقفل راجعا بمحلته الى ان

قرب من تونس فجدد حركة منها ثم انصرف قاصدا قسنطينة . فحين
اشرف عليها اظهر الامير ابو بكر عصيانا وامتناعا من اللقاء مع تيقن
الامان والمدبر لذلك كاتبه ابراهيم المذكور فنازلها السلطان خامس عشر
شعبان من سنة ثمان وتسعين وسبعماية . وقرر ما عنده من الخير لاخيه وشاقهه
من شاطي الهوى بكلام دل على مصافاته له ودام الحصار مدة تزيد على
عشرين يوما واسم المولى ابي فارس لم يزل يذكر في قسنطينة على المنابر ولم
تتفق هذه القضية قبل لمحاصر . وفعل السلطان ما لا يفعله محاصر من حفظ
الجنات والزرع ودفع المضرات عن جميع جهات البلد . ولما عاد امر الحصار
نادى بعض من في السور- الفرار الفرار- وتوجهت للاعانة في ذلك وانتظمت
الكلمة من هنالك ودخل بعض الناس من سور الحيشية ودخل السلطان
ومن معه من باب الحمة وذلك في ليلة الاحد ثامن عشر شهر رمضان
المعظم من العام المذكور . وقصد المولى ابو بكر الى القصبة فقبض عليه وقصد
كاتبه الفقيه ابراهيم الى سور الحيشية فاهبط من هنالك وحبس حتى قتل
بسبب جرمه بمدينة تونس بعد ان ضرب ضربا كثيرا ثم اخرج الى الناس
فجروه حتى مات بين ايديهم . واقام السلطان بقسنطينة بعد اخذ اخيه
ازيد من شهر حتى مهد امرها ثم سافر الى حضرته من ءاخر شوال من سنته
ورفع معه اخويه الامير عمر صاحب صفاقس والامير ابو بكر صاحب
قسنطينة بعد ان عين لقيادتها مملوكه القائد نبيل وعين لقصبتها الشيخ ابا
الفضل ابا القاسم ابن تافراجين التينملّلي فلازم القصبة وحسنت سيرته بالبلد
الى ان سافر رسولا لبجاية . وفي عام ثمانمائة وتسعين ازداد للمولى الخليفة
المولى الاجل ابو عبد الله محمد المنصور . وفي العام المذكور في رجب فرغ من
بناء الساقية التي خارج باب الجديد من تونس . وفي هذه السنة خرج المولى
ابو العباس احمد ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى الخليفة ابي العباس
احمد فجاء بيعة بجاية بعد ان خلع نفسه . وفي شهر رمضان المعظم من هذه
السنة وثب الاسد على السلطان وهو على فرسه فكاد يختطفه وسلمه الله

سبحانه وتعالى . وفي سنة احدى وثمانمائة امر السلطان بهدم الفندق الذي
كان بباب البحر تباع فيه الخمر وكان مجباه عشرة ءالاف في العام فترك ذلك
وامر ببنائه زاوية ومدرسة لطلبة العلم وحبس عليها ما يقوم بها وكذلك فعل
بفندق قسنطينة . وفي سنة ثنتين وثمانمائة توفي قاضي الانكحة بتونس
الشيخ ابو عبد الله محمد بن قليل الهم فولي بعده الشيخ المدرس ابو يوسف
يعقوب الزغبي . وفي السنة المذكورة خرج السلطان الى استرجاع توزر من
يد ابن يملول فحاصرها حتى اخذها قهرا وقبض على ابن يملول . ثم انتقل في
ءاخر شعبان من السنة المذكورة الى استرجاع قفصة فاقام عليها اياما حتى تمكن
منها باستسلام اهلها ودخلها قهرا وقبض على بني العابد شيوخها المخالفين عنه
وهم الاخوة الثلاثة منصور وابو بكر وعلي وذلك في ثاني شهر رمضان المعظم
من السنة المذكورة وعفا عن اهلها بعد في وقع فيها وامر بتخريب سورها
وقدم فيها القائد محمد التراسي في خبر يطول ثم رجع الى الحضرة على ما
امل . وفي اوائل سنة ثلاث تحرك السلطان الى طرابلس واقام محاصرا لها
مدة طويلة الى ان تمكن منها برغبة اهلها على يد صالحائها وذلك في
سادس رجب من السنة المذكور وجعل قائدا من قبله فيها ورجع الى
حضرة تونس . وفي الرابع والعشرين لجمادى الاخرى من السنة المذكورة
توفي الشيخ الفقيه الحجة ابو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي ودفن بجبل
الجلاز تحت جبانة الشيخ الصالح ابي الحسن المنتصر وكانت ولادته في
عام ستة عشر وسبعمائة فجملة عمره سبع وثمانون سنة واشهر . ولذلك
قال في ابيات له خمسها في حياته تلميذه الامام الرملي

علمت العلوم وعلمتها ونلت الرئاسة بل حزتها
وهاك سنيني عددتها بلغت الثمانين بل جزتها
فهان على النفس صعب الحمام
فلم تبق لي في الورى رغبة ولا في العلا والنهى بغية
وكيف ارجي ولو لحظة وءاحاد عصري مضوا جلة

وعــادوا خيالا كطيف المنام

ونادى الردى بي ولا لي مغيث   وحث المطية كل الحثيث

واني لراج وحبي الـــــيث   وارجو بها نيل صدق الحديث

بحب اللقاء وكرة المقـــــام

فيا رب حقق رجاء الذلـــيل   ليحظى بدارك مما قـليل

فيمسي رجاءي بموتي كفيل   وكانت حياتي بلطف جميل

لسبق دعاء ابي في المقـــــام

وكان رحمه الله اماما في العلوم صنف في كثير منها والغالب على كلامه الاختصار واشتغل ءاخر عمره بالفقه على مذهب الامام مالك رضي الله عنه وكان معتنيا بالمدونة غاية ملازما لنظرها محتجا بها قرا القرءان العظيم في صغره على ابن سلامة من طريق الداني وابن شريح وعلى ابن بذال من طريق الداني وقرا اصول الفقه على ابن عبلون واصول الدين على ابن سلامة وابن عبد السلام والنحو على ابن نفيس والجدل على ابن الحباب والفقه على ابن عبد السلام والمعقول على الشيخ الايلي وكان يثني عليه خيرا هو والشريف التلمساني وكان مجدا في الامور الدينية والدنيوية ولي امامة جامع الزيتونة عام ستة وخمسين وسبعمائة حسبما تقدم وابتدا تصنيف المختصر عام اثنين وسبعين وكمله عام ستة وثمانين وحج عام اثنين وتسعين وكان صواما قواما تلاءا لكتاب الله عز وجل وكان مجدا في دنياه موسعا عليه فيها مالا وجاها ونفوذ كلمة . ولما توفي تولى بعده الصلاة بالجامع والخطبة والفتيا به بعد صلاة الجمعة نائبه الفقيه القاضي ابو مهدي الغبريني .

وفي سنة اربع وثمانمائة تحرك السلطان من تونس الى بسكرة فاقام ببئر الكاهنة مدة حتى دبر امره ثم ارتحل اليها وضاق امر شيخها احمد بن يوسف ابن مزني ولم يبق له غير الفرار او التسليم فدخل المولى السلطان بسكرة يوم السبت سابع جمادى الاخرى من السنة المذكورة واقام بها مدة ثـــم انصرف الى حضرته ورفع معه ابن مزني المذكور وقدم في البلد قائدا من

قوادة بعد ان مضت لاولاد ابن مزني بها المشيخة المستقلة نحو مائة واربعين عاما منها لاحد هذا اربعون سنة . وفي سنة تسع وثمانمائة تحرك السلطان من تونس بمحلة الى درج وغدامس وفي اثناء سفرة امر بالقبض على منفذه وصاحب قلم جبايته الفقيه محمد بن ابي القاسم بن قليل الهم وعلى ابي محمد عبد الله بن فالية وبعثهما من محلته الى قابس فاركبهما البحر منها الى الحضرة وثقفا بها . وقدم لتنفيذه الفقيه الاحسب ابا العباس احمد ابن القاضي المدرس ابي عبد الله محمد بن قليل الهم . وفي شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة امر السلطان بالقبض على اخوته المولى التريكي والمولى خالد والمولى ابي زيان لما بلغه عنهم وقيدوا وقبض على من شاركهم مثل القائد ابن اللوز وابن ابي عمر . فامر السلطان فقتلا وبعث براسيهما الى تونس وعلقا بها . وفي السنة المذكورة توفي ببونة الفقيه الشهير الضرير ابو عبد الله محمد المراكشي كان جيد النظم والنثر وله في فرس حمراء بعث بها اليه المولى ابو يحيى زكرياء لياتيه عليها فاملا —

وعدوانية من خير نسل تفوق الورد في حسن احمرار
اتتني من امام امير يحيى كريم الاصل حفصي النجار
لها نغم ولكن لست ادري افي المزموم ام في المستعار

فكتب اليه المولى ابو يحيى ما نصه — في المزموم . وفي عام ثمانية وثمانمائة قدم الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد لابي قاضيا بالجزيرة القبلية . وفي ليلة الجمعة الثانية عشرة لربيع الاول من سنة تسع توفي قاضي قسنطينة الفقيه ابو العباس احمد بن الخطيب شارح رسالة الشيخ ابن ابي زيد وشارح جمل الخونجي وغيرها . وفي عام عشرة كانت بين السلطان وبين عرب حكيم وقيعة عين الغدر بين الحامة ونفزاوة وثبت فيها المولى السلطان بنفسه وانهزم اهل محلته فاحتوشتهم العرب نهبا وقتلا ورئيس العرب حينئذ الشيخ المرابط احمد بن ابي صعنونة بن عبد الله بن مسكين . فلما راى السلطان قد ثبت رجع على اصحابه فردهم واتى هو الى السلطان فقبله

ورضي عنه . وفي العام المذكور توفي صاحب قلم العلامة الفقيه ابو عبد الله
محمد بن قاسم بن حجر فقدم بعده للعلامة حفيده الفقيه ابو عبد الله ابن ولده
قاسم . وفي العام المذكور خرج المولى السلطان من تونس بمحلته للقاء الامير
ابي عبد الله محمد ابن عمه المولى ابي يحيى زكرياء . وذلك انه لما هزم
الهزيمة الشنعاء في شهر رمضان المعظم من عام سبعة وتسعين حسبما تقدم
ركب البحر من بونة وقصد فاس مستصرخا صاحبها على المولى السلطان
ابي فارس . فلما وقع بين السلطان وبين العرب ما وقع سارت طائفة منهم
الى صاحب فاس واستصرخوه على السلطان فبعث معهم الامير ابا عبد الله
محمد وبعث معه جيشا عظيما من جيش بني مرين وامرهم الّا يرجعوا الى
بلادهم الّا باذنه حين لا تبقى له بهم حاجة . فجاءوا معه الى ان وصلوا الى
اطراف عمالة بجاية فوفد على الامير ابي عبد الله محمد هنالك عرب افريقية
واتوه طاعتهم ووفد عليه شيخ حكيم المرابط وهون عليه امر افريقية فلما راى الامير
محمد وفود العرب عليه وكثرتهم امر جيش بني مرين فانصرفوا وسار مع العرب
فلقيه القائد ابو النصر ظافر بمحلته . وكان السلطان ابو فارس لما بلغه مجيء
الامير ابي عبد الله محمد خشي على بجاية فعقد عليها لاخيه المولى زكرياء
صاحب بونة وصرفه اليها وعزل عنها القائد ظافر وامره بالخروج بالمحلة للقاء
الامير ابي عبد الله محمد فالتقيا فهزمه الامير ابو عبد الله محمد واخذ محلته بجميع
ما فيها ثم سار الامير ابو عبد الله محمد لبجاية فقام اهلها على الامير ابي يحيى
زكرياء واخرجوه منها فركب البحر فارا وملك الامير ابو عبد الله محمد بجاية وعقد
عليها لولده المنصور وسار للقاء المولى السلطان ابي فارس صاحب تونس
ومن معه من العرب . فمر المولى ابو فارس ببجاية فاخذها بمداخلة بعض
اهلها بعد ان قاتلها اياما وانطلقت ايدي العيث في ديار اهلها فانتهبوها
وقبض السلطان ابو فارس على الامير محمد المنصور وعلى كبار البلد كالاشبيليين
فبعث بهم الى الحضرة واعتقلوا بها وعقد على بجاية لصاحبها كان المولى ابي
العباس احمد ابن اخيه المولى ابي عبد الله محمد وخرج للقاء الامير ابي عبد الله

محمد . فلما التقى الجمعان تحول شيخ العرب المرابط عن الامير ابي عبد الله محمد وتركه لعهد كان بينه وبين السلطان على ذلك فانهزم من كان مع الامير ابي عبد الله محمد وفر هو بنفسه طالبا النجاة فلحقه خيل السلطان بموضع يقال له بتيتة جوفي بلد تامغزة فقتلوه ودفنت جثته هنالك فقبره معروف بذلك الموضع الى الان واحتز راسه واتوا به الى السلطان ابي فلوس فبعث به رجلا من رجال الطريق يقال له الحمصي الى مدينة فاس فعلقه ليلا بباب المحروق بها فاصبح اهل فلس يتداورونه وكان قتله في اوائل المحرم عام اثنى عشر * وفي عام ثلاثة عشر اخذت الجزائر على صلح من اهلها * وفي يوم السبت السابع والعشرين لربيع الثاني من العلم المذكور توفي الشيخ الفقيه القاضي بتونس قاضي الجماعة الخطيب المدرس ابو مهدي عيسى الغبريني ودفن بالجلاز وقدم بعده قاضيا قاضي الانكحة كان الفقيه العالم ابو يوسف يعقوب الزغبي قاضيا خاصة وقدم للامامة والخطابة والفتيا بجامع الزيتونة الشيخ الفقيه الحافظ الحاج ابو القاسم البرزلي وقدم لقضاء الانكحة والتدريس بمدرسة عنق الجمل الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد القلجاني وقدم عوض الفقيه محمد المذكور قاضيا بقسنطينة ولده الشيخ الفقيه الحافظ ابو العباس احمد * وفي عام اثنين وعشرين امر المولى السلطان بعمل بيت الكتب بمجنبة الهلال جوفي جامع الزيتونة تحت الصومعة وفرغ منها في اواخر ربيع الاخر من العام المذكور وهبط اليها جميع ما عنده من الكتب وجعل لها خدمة وامر ان تحل كل يوم من اذان الظهر الى صلاة العصر وحبس عليها احباسا لما تحتاج اليه * وفي عام اربعة وعشرين توفي الامير اسماعيل صنو السلطان ودفن بجبانة سيدي ابي سعيد الباجي بالمرسى * وفي العام المذكور عزل المولى السلطان صاحب بجاية المولى ابا البقاء خالد عنها وعقد عليها لولده المولى المعتمد وصرفه اليها * وفي عام سبعة وعشرين وثمانمائة افتتح المولى السلطان مدينة تلمسان في المرة الاولى وملكها من يد صاحبها السلطان عبد الواحد ابن السلطان ابي حمو الزناتي

لما سمع عنه ان سيرته غير محمودة و بعث اليه ونهاه فلم ينته . فلما وصلها السلطان ابو فارس وانكسر ولده السلطان عبد الواحد وفر هاربا لابيه علم ابوه ان لا طاقة له على المقابلة فخرج من تلمسان فارا بنفسه الى الجبال ودخل السلطان ابو فارس تلمسان واستقر في قصبتها واستولى على جميع ما فيها وذلك في ثالث عشر جمادى الاخرى من عام سبعة وعشرين المذكور فبقي بها مدة مقيما ثم نظر من يقلده امرها فاختار لها الامير محمد ابن السلطان ابي تاشفين ابن السلطان ابي حمو الزناتي . فعقد له عليها ثم ارتحل قاصدا مدينة فاس حتى لم يبق بينه وبينها الا مسيرة يومين فوجد له صاحب فاس ان البلاد بلادكم والسلطنة سلطنتكم وجميع ما تامروننا به نمتثله . فقبل السلطان ابو فارس كلامه ووجه له هدية عظيمة كافاه عليها باكثر منها وقفل راجعا الى حضرة تونس غانما منصورا ولحقته بيعة فاس ثم بيعة صاحب الاندلس فصارت البلاد الافريقية والمغرب الاقصى والاوسط كلها تحت نظره وفي ملكه * وفي عام سبعة وعشرين المذكور بعث سلطان النصارى القطلاني رسولا من قبله الى حضرة تونس برسم التحدث في الصلح فوجد الرسول السلطان ابا فارس بالمغرب فبعث الغراب الذي جاء فيه لسلطانه اخبره بغيبة سلطان تونس فبعث له الغراب وقال له ارجع في الحين فرجع في الغراب فوجه عمارة عددها خمسون جفنا وقصدوا قرقنة ونزلوها ليلا على حين غفلة من اهلها والنصارى نحو العشرة الاف مقاتل والمسلمون نحو الفين ما بين رجال ونساء واولاد والجزيرة ليس فيها بلد ولا حصن يمتنعون فيه فوقفوا وقاتلوا عن انفسهم وحريمهم وقتلوا من النصارى نحو اربعمائة نفس وقتل منهم نحو مائتين . ثم اخذوا باقيهم واستولت النصارى على الجزيرة . وكان السلطان قد انصرف من المغرب فلما وصل الى قفصة بلغه العلم بالعمارة فجد السير الى ان اتفق وصوله ووصول النصارى لصفاقس فطلبوا من السلطان الامان لينزلوا ويتحدثوا في فدية المسلمين فاعطاهم الامان ونزل منهم نحو ستمائة نفس من كبارهم فاعطاهم السلطان خمسين الف دينار فدية فابوا فاتى المرابط ابن ابي صعنونة

السلطان وقال له - النصارى خانوك فانهم بعثوا رسولهم للصلح وفعلوا ما فعلوا وليس لخائن امان فالراي عندي والصواب القبض على هولاء حتى يردوا المسلمين - فقال - لا لئلا يتحدث الناس اني خائن نعطي الامان ونخون نعوذ بالله من ذلك - . فقال له المرابط - اذا لم تفعلها انت نفعلها انا تمشي انت للصيد وانا ناخذهم في غيبتك - . فنهاه وطلعوا لاجفانهم على الامان وسافروا بالمسلمين لبلادهم .

وفي ذي القعدة من عام ثلاثين بعث المولى السلطان ابو فارس رئيس الدولة ابن عبد العزيز صحبة الامير الهمام المنتصر ابن المولى الخليفة ابي عبد الله محمد المنصور برسم القبض على رئيس قسنطينة الحاج ابي عبد الله محمد الدهان لما بلغه عنه من العتو والطغيان واقتناء الاموال ومعارضة ولاة الامر وعدم الانقياد لهم فمضيا في الرابع عشر لذي القعدة المذكور واظهرا عزل القائد جاء الخير من البلد بتقديم المولى المستنصر فخرج الحاج الدهان مستبشرا برسم لقائهما فقبضوا عليه خارج البلد وعلى اصحابه وقدموا الجميع على السلطان بتونس فاعتقلوا بالقصبة . وفي عام اثنين وثلاثين وثمانمائة عمر السلطان من تونس اسطولا كبيرا وبعثه الى جزيرة مالطة وامر عليه مملوكه القائد رضوان وامره ان ينازلها ثلاثة ايام فان اخذت والّا رحل عنها فنازلها وضيق عليها الحصر ثم اقلع عنها بعد ان اشرف على اخذها * وفي العام المذكور توفي الامير ابو حفص عمر اخو السلطان ودفن بالجلاز خارج باب علاوة وله اشغال عظيمة في مدح سيدنا ومولانا المصطفى صلى الله عليه وسلم * وفي حدود العام المذكور بعث المولى السلطان عسكرا صحبة قائد قسنطينة القائد جاء الخير الى تلمسان لما بلغه عن صاحبها الامير محمد ابن السلطان ابي تاشفين من العتو والاستبداد وقطع اسم المولى السلطان من الكتب والخطبة وبعث مع جمهم السلطان ابا محمد عبد الواحد الذي كان صاحبها وكان قدم لتونس بعد فراره من بين يديه حين ملك تلمسان . فلما وصلوا خرج الامير محمد بجيشه فالتقى بهم وهزمهم فسار السلطان ابو محمد عبد الواحد الى الجبال واستصرخ باعرابها واتى بهم الى تلمسان فملكها وبعث بيعتها للسلطان

بتونس وخرج الأمير محمد ابن السلطان ابي تاشفين فارا بنفسه الى الجبال وفي الثامن والعشرين لجمادى لاخرة من سنة ثلاث وثلاثين قتل الزواودة قائد قسنطينة جاء الخير في معركة كانت بينهم فعقد عليها السلطان لملوكه محمود فدخلها في ثاني عشر رجب من عامه . وفي العام المذكور قتل صاحب طرابلس نبيل ابن ابي قطاية شيخ حكيم المرابط ابن ابي صعنونة بصحراء طرابلس و بعث براسه . وفي عشية يوم لاحد الثاني والعشرين من رجب العام المذكور مات المولى لاجل ولي عهد الخلافة ابو عبد عبد الله محمد المنصور ابن المولى ابي فارس بوطن طرابلس وحمل الى تونس ودفن بالتربة المجاورة لتربة سيدي محرز ابن خلف . وفي ءاخر شوال من السنة المذكورة توفي الشيخ العالم الفقيه احمد الشماع قاضي المحلة والخطيب بجامع القصبة وتولى بعده الخطابة والقضاء الفقيه الورع لافضل ابو عبد الله محمد المسراتي . وفي السادس لذي الحجة من العام المذكور توفي قاضي الجماعة بتونس الفقيه ابو يوسف يعقوب الزغبي ودفن بالجلاز فقدم بعده لقضاء الجماعة الفقيه العدل المدرس ابو القاسم بن سالم الوشتاتي القسنطيني في شهر رمضان المعظم من علم اربعة وثلاثين . وفي اواخر العام المذكور عزل المولى السلطان ولده المولى المنتصر عن بجاية وعقد عليها لملوكه القائد ابي النعيم رضوان وسببه انه لما بلغه وفاة اخيه المولى ولي العهد طمع في ولاية العهد بعده فجاء في محلة عظيمة من بجاية لتعزية والده فوجد المولى المنتصر قد اخذ موضع والده فامر السلطان ولده بالانصراف الى بلده فتلكا عن الودائع فامر السلطان بثقافه وحمله الى تونس واعتقله بالعلو الكائن بسقيفة سانية باردو . وفي العام المذكور خرج من تونس السلطان بعساكره قاصدا تلمسان لما بلغه ان لامير محمد ابن السلطان ابي تاشفين دخل تلمسان على عمه ابي محمد عبد الواحد وقتله وملك تلمسان فسار المولى السلطان بعساكره حتى نزل على تلمسان واخذ بمخنقها وحاصرها اشد الحصار . فلما علم لامير محمد ان لا قدرة له على القيام في البلد واشتد عليه الحصار خرج

ليلا هاربا الى جبل بني يزناتن ولما إصبح اهل البلد فتحوا الباب ودخلها بمن
معه وبعث القائد نبيل بن ابي قطاية في عسكر الى الجبل وحاصرهم الى
لن طلبوا منه الامان على ان يمكنوه من الامير محمد فانزلوه الى المولى السلطان
فعفا عنهم وقبض عليه واعتقله ثم نظر من يقلده امر تلمسان فوقع اختياره
على الامير احمد ابن السلطان ابي حمو موسى بن يوسف الزناتي فعقد له
عليها وانزله بها وقفل راجعا الى حضرته في سنة خمس وثلثين وثمانمائة
وحمل معه الامير محمد ابن السلطان ابي تاشفين واعتقله بقصبة تونس وبقي
بهـا الى ان هلك في سنـة اربعين . وفي العشر الاول من ذي الحجة من
السنة المذكورة سنة خمس وثلثين ونزل طاغية النصارى ملك ارغون القطلاني
على جزيرة جربة في امم لا تحصى وكان المولى السلطان نازلا بعمرة بمحلته
فبلغه الخبر فارتحل في الحين ووجد العدو قد قطع القنطرة فنزل بمحلته
خارج الجزيرة مما يلي القنطرة وكان بعث قبل نزول العدو عسكرا صحبة قائد
من قواده ليحفظ الجزيرة ويمنع العدو من النزول اليها فكان المولى السلطان
بعساكره خارج الجزيرة والعسكر داخلها والعدو في البحر على طرف القنطرة
وقد جعل بينه وبين المسلمين سورا من الخشب وكان المولى ابو فارس
يجلس كل يوم بطرف القنطرة مع اصحابه ويجعل بين يديه القائد نبيل
بجيش معه للقتال فاذا خرج احد من المسلمين جيء به الى السلطان
فاحسن اليه فاخبر العدو بذلك وبان اصحابه ينصرفون عنه لمآربهم في
وقت القائلة ولا يبقى الا الخواص فبعث عدة سفن احاطت بالقنطرة في
القائلة وارادت القبض على السلطان ومن معه فركب السلطان وسلمه الله
واستشهد بعض من كان معه مثل القائد محمد ابن شيخ الموحدين ابن عبد
العزيز وانظاره واحاط العدو بالميدان وما فيه واخذه . ثم ان بعض اهل جربة
قدموا على المولى السلطان واخبروه بان للجزيرة طريقا غير القنطرة في البحر
فبعث معهم عسكرا ادخلوه الجزيرة فلما راى العدو العسكر دخل الجزيرة من
غير القنطرة ايقن بالخيبة فاقلع باساطيله عن الجزيرة خائبا وكانت اقامته

عليها سبعة وعشرين يوما واصلح مولانا السلطان القنطرة وارتحل سالما * وفي يوم الثلثاء الحادي عشر لربيع الثاني من سنة تسع وثلثين توفي بتونس قاضي الانكحة الفقيه ابو عبد الله محمد القلجاني ودفن بالجلاز وتولى بعده قضاء الانكحة ومدرسة عنق الجمل ولده ونائبه الفقيه عمر * وفي السنة المذكورة توفي الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن قليل الهم الذي كان منفذا وقبض عليه * وفي ايام التشريق من السنة المذكورة توفي بتونس الشيخ الفقيه ابو القاسم بن موسى العبدوسي ودفن بالجلاز . وفي صبيحة عيد الاضحى من سنة سبع وثلثين توفي المولى السلطان ابو فارس عبد العزيز فجاة بموضع يعرف بولجة السدرة وبه عين تسمى عين الزال بقرب جبل وانشريس من عمل تلمسان وذلك بعد ان تطهر وجلس ينتظر وقت الخروج لصلاة العيد وذلك انه لما رحل عن جربة بعد انصراف العدو عنها اعطى للجند عطياتهم وجرد حركته وسار متوجها الى تلمسان لما بلغه عن صاحبها الامير احمد ابن السلطان ابي حمو موسى بن يوسف الزناتي من التحدث في الاستقلال كعادة اسلافه فادركته منيته قبل الوصول اليها فكانت مدة خلافته بتونس احدى واربعين سنة واربعة اشهر وسبعة ايام وترك من الولد الذكور اربعة * ولما توفي رحمه الله فجاة اخبر بموته ولي عهده حفيده المولى ابو عبد الله محمد المنتصر فامر بكتم ذلك وخرج وصلى صلاة العيد ورحل بالمحلة راجعا الى حضرة تونس واشاع في الناس ان السلطان اصبح مريضا ورفع في محفة . واخبر المولى المعتمد ان والده مات فخرج فارا من المحلة فبعث ولي العهد في طلبه فاتى به واعتقل وكحلت عيناه بالنار واظهر موت السلطان وبويع لولي عهده المولى السلطان ابي عبد الله محمد المنتصر ابن الامير الشهيد ابي عبد الله محمد المنصور ابن مولانا امير المومنين ابي فارس عبد العزيز ابن الخلفاء الراشدين امه ام ولد علجية اسمها ريم وبويع بالمحلة على رضى من الناس واظهر موت جده الخليفة وامر بغسله وتكفينه ثم بعثه الى حضرة تونس ودفن بها بازاء قبر ولده بالتربة المجاورة لسيدي محرز بن خلف * ورحل

بمحلته متوجها الى حضرته ولما وصل الى مسيلة وردت عليه هنالك بيعة قسنطينة وعقد على بجاية لعمه المولى ابي الحسن علي ابن المولى الخليفة ابي فارس عبد العزيز وصرفه اليها وسار بمحلته الى ان وصل الى قسنطينة فوردت عليه هنالك بيعة الحضرة فاستبشر بها وقرئت بمحضر الملا بجامع قسنطينة ثم عقد على قسنطينة لشقيقه المولى ابي عمر عثمان وامره بدخولها فدخلها واليا في ثالث عشر ذي الحجة من عام سبعة المذكور وعزل عنها قائده محمودا * وفي غرة المحرم من عام ثمانية وثلثين وثمانمائة رحل المولى السلطان المنتصر بمحلته من ظاهر قسنطينة متوجها الى تونس فلما وصل الى تيفاش قبض على اخيه لابيه المولى ابي الفضل وعلى من كان يخدمه و يواليه وفر اكثرهم طلبا للنجاة واخذ بعضهم بعد حين . ولما قبض عليه تخوف على الحضرة من الشيخ عبد العزيز اذ بلغه اخذ حفيده ابن ابنه الامير ابي الفضل واخذ ولده محمد معه فوجه قائده ابا الفهم نبيل وابا الثناء محمود في عسكر الى الحضرة فوجدا شيخ الموحدين ابن عبد العزيز قد اغلقها لما بلغه ما فعل بحفيديه وابنه ورتب الرجال على الابواب والاسوار ثم اعمل التدبير في الخروج منها فخرج منها عشاء هو واولاده وبعض من يخدمه فارين بانفسهم ودخل القائدان الحضرة بعد صلاة العشاء الاخيرة وانتهب من جاء معهما من الغوغاء ديار الشيخ ابن عبد العزيز وديار اولاده ومن يخدمه واحتفلا من حصل في ايديهما من خدامه ثم اخبرا بان الشيخ ابن عبد العزيز ومن معه نزلوا عند ديار القاطنين بالجزيرة ما بين وادي الرمل وسوسة وقبضوا عليهم فخرج من تونس القائد نبيل فتمكن منهم وادخلهم لتونس بمشهد من الملا واعتقلهم بالقصبة الى ان هلكوا بها . ثم ورد السلطان ابو عبد الله محمد المنتصر الى حضرته تونس فخرج اهلها للقائه واتوه ببيعتهم فدخلها في بروز عظيم يوم عاشوراء سنة ثمان وثلثين المذكورة وجددت له بها البيعة واطلق بعض اهل السجون وتصدق باموال كثيرة على الفقراء والمساكين وطلبة العلم وقدم على مشيخة الموحدين الشيخ ابا عبد الله محمد ابن الشيخ

ابي العباس احمد ابن الشيخ الوزير ابراهيم بن هلال وجعل لخطة علامته كاتبها لجده الفقيه ابا عبد الله محمد بن قاسم بن حجر وجعل لقلم جبايته وتنفيذه صاحبه وسميره الفقيه ابا عبد الله محمد بن قليل الهم واوقف بين يديه مزوارا الحاج ابا عبد الله محمد الهلالي وجعل في كل خطة من يليق بها . ولاول ولايته في عام ثمانية وثلثين امر ببناء المدرسة الكائنة بسوق الفلقة من تونس وبناء السبالة الكائنة بداخل باب ابي سعدون من تونس ايضا سبيلا للناس والدواب * وفي العام المذكور خرج المولى السلطان ابو عبد الله محمد المنتصر بجيش عظيم من حضرته برسم تفقد بلاده وتهدين اوطانها فسار الى ناحية قفصة في طريقه ودخل قفصة مريضا وبقي بها اياما وامر بصدقة مال على الفقراء والمساكين وطلبة العلم ففرق من امره اياما . ثم فر من المحلة الامير ابو يحيى زكرياء ابن الامير ابي يحيى زكرياء ابن الامير ابي عبد الله محمد ابن المولى ابي يحيى زكرياء صاحب بونة ولحق بالعرب واستقر عند اولاد ابي الليل هو واخوه فاجتمعوا عليهما ولما بلغ ذلك السلطان بعث قائدا بعسكر لمبادرة حفظ تونس ورحل هو بمحلته وهو مريض من قفصة راجعا الى حضرته فدخلها في اواسط العام المذكور وكان قد بعث لشقيقه الامير عثمان لقسنطينة ليقدم عليه فقدم عليه وترك نائبا عنه بقسنطينة مزواره القائد ابا علي منصور المعروف بالمزوار ثم صرفه عنها وعقد عليها لقائده الكبير نبيل بن ابي قطاية وصرفه اليها وامره بحفظها ثم ان المولى السلطان جدد حركته من حضرته وفرق اموالا في عسكره وعقد عليها لشقيقه المولى ابي عمر عثمان للقاء العرب وسلطانهم فبادره العرب قبل كمال تعيينه وقبل لحوق باقي عسكره بمقربة من جبل الريحان ووقعت بينهم معركة قتل فيها بعض اصحابه كالفقيه ابن حجر وسار المولى ابو عمر عثمان للاجتماع باولاد مهلهل فاجتمعوا عليه فرجع بهم في طلب اولاد ابي الليل وسلطانهم فوجدهم قد حاصروا مدينة تونس ونزلوا بسبخة باب خالد والمولى ابو عبد الله محمد المنتصر يتكلف الركوب كل يوم وهو مريض ويخرج بجيوشه اليهم وهو مريض

مع اهل تونس فيقاتلهم بالسبخة . فلما احسوا بقدوم الامير ابي عمر عثمان مع
اولاد مهلهل اقلعوا عن الحضرة خائبين والتقوا به فوقعت بينهم معركة خاب
فيها ظنهم وانصرفوا ودخل الامير ابو عمر الحضرة فازاح العلل وبلغ السلطان
ان العرب قد عسكروا مع سلطانهم بظاهر القيروان وانهم ارادوا الرجوع لحصار
الحضرة فاخرج اليهم اخاه ابا عمر عثمان بجيش عظيم فلقيهم بموضع يعرف بالكروية
بمقربة من تونس فقتل منهم خلقا كثيرا واخذت رجالهم وانصرفوا فارين على
وجوههم خائبين ورجع المولى ابو عمر عثمان بجيشه الى الحضرة منصورا ظافرا .
ولما راى الامير ابو يحيى اختلال امر اولاد ابي الليل خاف على نفسه وعلى
اخيه وانصرف عنهم ولحق بالذواودة فاجاروه ووفد معه شيخهم عيسى بن
محمد الى تونس فقبل المولى السلطان شفاعته فيه وفي اخيه وعفا عنهما فبقي
بتونس الى ان قبض عليهما بعد ذلك قبيل موت السلطان المنتصر لما اشتد مرضه
فاعتقلا ثم هلكا * وفي السادس عشر لصفر من سنة تسع وثلثين وثمانمائة
توفيت والدة السلطان ودفنت بالدار الكائنة قرب دار سيدي محرز وفي
ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر من السنة المذكورة توفي بسانية باردو المولى
المنتصر الخليفة من مرضه المتقدم وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد
صلاة الجمعة ودفن بالدار التى بها جده الخليفة ووالده فكانت خلافته من
وفاة جده سنة واحدة وشهرين واثنى عشر يوما وبويع صبيحة يوم وفاته
شقيقه المولى السلطان العالم الشهير ابو عمر عثمان ابن المولى الامير ابي
عبد الله محمد المنصور ابن امير المومنين ابي فارس عبد العزيز ابن الامراء
الراشدين امه ام ولد علجية اسمها ريم كما تقدم في اسم اخيه ولد في
السابع والعشرين من شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثمانمائة . وبويع
بتونس على رضى من الخاصة والعامة صبيحة يوم الجمعة الثاني عشر من
صفر عام تسعة وثلثين وثمانمائة وصلى بقية يومه صلاة الجمعة بجامع
الزيتونة وتفرغ للامر اليه ووقف بين يديه من كان واقفا بين يدي
اخيه المولى المرحوم محمد المنتصر وظهرت الدولة الحفصية في ايامه انتم

ظهور * ذكر رجال دولته * - اولهم حاجبه وحاجب اخيه ورئيس الدولتين الشيخ المعظم ابو عبد الله محمد بن ابي العباس احمد ابن الشيخ الوزير ابي اسحاق ابراهيم بن ابي هلال . - كاتب قلم جبايته وتنفيذه الفقيه ابو عبد الله محمد ابن قليل الهم ثم الفقيه الامجد الاسعد ابو العباس احمد ابن الشيخ الحاج ابي اسحاق ابراهيم السليماني وطلب الاستعفاء في ءاخر عمره وعوفي وقدم الفقيه الاجل ابو عبد الله محمد الزواغي سادس عشرين جمادى الاخرى من عام سبعة وثمانين وثمانمائة . - كاتب علامته الفقيه ابو عبد الله محمد بن قاسم ابن حجر ثم الفقيه محمد الندلاس ثم الفقيه الكاتب المكرم ابو علي عمر بن قليل الهم ثم ناب عنه ولده ابو الغيث واخر لعدم قيامه ثم الفقيه ابو البركات ابن عصفور ثم الفقيه ابو عبد الله محمد البوني . - مزوارة الحاج ابو عبد الله محمد الهلالي ثم الشيخ ابو عثمان سعيد الزريزر ثم القائد ابو علي منصور الملقب بالمزوار ثم ابو اسحاق ابراهيم بن احمد الفتوحي ثم عبد العزيز ولده * قضاة الجماعة بحضرته * - الفقيه الاجل ابو القاسم بن سالم الوشتاتي القسنطيني ثم الشيخ الفقيه ابو علي عمر القلجاني ثم الفقيه الاجل المكرم ابو عبد الله محمد الحزامي المشتهر بابن عقاب ابن الشيخ الاجل ابي العباس احمد القلجاني ثم حفيده الشيخ المعظم ابو عبد الله محمد القلجاني ثم الشيخ الفقيه الاجل ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم الرصاع ثم الشيخ الفقيه المكرم ابو عبد الله محمد الوشتاتي * قضاة الانكحة بحضرته * - الشيخ ابو حفص عمر القلجاني ثم الشيخ العالم الكبير ابو محمد عبد الله البحيري ثم الفقيه المكرم ابو العباس احمد القسنطيني ثم الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الزنديوي ثم ولده الفقيه ابو الحسن ثم الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد الرصاع ثم الشيخ الفقيه ابو محمد عبد الرحيم الحمصيني ثم ولده الفقيه ابو الحسن * المفتيون بجامع الزيتونة * - الشيخ ابو القاسم البرزلي الشيخ ابو القاسم الوشتاتي القسنطيني الشيخ الفقيه القاضي ابو حفص عمر القلجاني الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد ابن عقاب الشيخ الفقيه القاضي ابو محمد عبد الله البحيري الشيخ الفقيه

القاضي ابو العباس احمد القلجاني ثم حفيده الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد ابن شقيقه ابو حفص عمر ثم الشيخ ابو عبد الله محمد الرصاع * ذكر ما احدث في ايامه من الحسنات * منها بناوه للمدرسة والزاوية تحتها بالدار المعروفة بدار صولة جوار دار الشيخ الصالح سيدي محرز بن خلف والسقاية بازائها . ومنها كماله للمدرسة التي بدا بناءها اخوه السلطان المنتصر بسوق الفلقة من تونس . ومنها بناوه للميضاة الصحيحة التي بدرب ابن عبد السلام جوفي جامع الزيتونة وامر بتسخين الماء فيها في زمن الشتاء . ومنهـا بناوه للسبالة شرقي صومعة جامع القصبة سبيلاً للعطاش والدواب . ومنهـا بناوه المصاصة شرقي جامع الزيتونة يشرب منها العطاش من جعاب نحاس يجذب منها الماء بالنفس . ومنها امره بالسبيل قرب المارستان ينتفع به من بجواره لقلة الماء هنالك . ومنهـا بناوه للسقاية بازاء باب الجبيلة بين بابي برج الاونقي بتونس وجلب الماء لذلك من ام الوطا خارج مدينة تونس . ومنها اقامته للخزانة التي للكتب وبناوها بمقصورة سيدي محرز بن خلف شرقي جامع الزيتونة وحبس فيهـا من الكتب من غير ما فن من العلوم الشرعية واللغة والطب والتاريخ والحساب وغير ذلك . ومنهـا بناوه لزاوية الفندق فوق غابة شريك قبلي جبل زغوان جعلها ملجا لمبيت الواردين من ناحية تونس او من ناحية القيروان وكذلك بناوه للزاوية المعروفة بعين الزميت بين مدينة تونس وباجة وتحبيسه عليها ما يقوم بها وزاوية ابي الحداد وزاوية النهلة وزاوية قرناطة بالمكان المعروف بين قفصة وتوزر وزاوية بسكرة وزاوية العومي وغير ذلك . وفي اول ولايته امر باحداث المدرسة والزاوية التي بدار صولة وقدم فيها مدرسا الشيخ محمد الزنديوي وامر باكمال المدرسة التي بسوق الفلقة وقدم فيها مدرسا الفقيه القاضي ابا عبد الله محمد بن عقاب وحبس على كل واحدة ما يقوم بها . ولمـا استقام له الامر فرعم ابيه الامير المدرس ابو عبد الله محمد الحسين ابن المولى الخليفة احمد من تونس ليلا هو وبعض اولاده ولحق باولاد ابي الليل وكانوا بقرب من الحضرة فوقع بسبب

ذلك تشويش بالحضرة واوطانها وغلا السعر وتخوف الناس من اجلاب العرب
به من الحضرة فبعث المولى السلطان الى العرب وتوعدهم على ذلك ان فعلوه
فقبضوا عليه وعلى مَن معه واتوا به الى السلطان فاعتقلهم بالقصبة فهلك
هو في ربيع الثاني من عام تسعة وثلثين وثمانمائة وبقي اولاده الى ان عفا
عنهم بعد ذلك فاطلقهم وقدم عوض عم ابيه المذكور مدرسا بمدرسة الشماعين
قاضي الجماعة حينئذ الفقيه ابا القاسم القسنطيني . ثم انه قبض على مزوارة
الحاج ابي عبد الله محمد الهلالي وذلك في ءاخر جمادى الاولى من العام
المذكور وقدم عوضه مزوارا الشيخ ابا عثمان سعيد الزريزر . وفي اوائل جمادى
الاولى من السنة المذكورة صرف الشيخ الفقيه القاضي ابا العباس احمد
القلجاني عن قضاء قسنطينة وقدم عوضه الشيخ ابا عبد الله محمد الزنديوي .
ولما قدم الشيخ الفقيه احمد القسنطيني لتونس قدم مدرسا بالمدرسة الجديدة
قرب دار سيدي محرز * ثم ان عرب افريقية اولاد ابي الليل ومَن انضاف
اليهم افسدوا في جميع الاوطان واخافوا السبل فبعث اليهم المولى السلطان
ينهاهم فتثاقلوا بالمطاليب لهم ولمن معهم وتمادوا على غيهم فجهز المولى
السلطان عساكره واخرج مضاربه للسعترية في شعبان من سنة تسع وثلثين
فانفوا اذ خرج بمضاربه ولم يسعفهم بمقصودهم وعزموا على الهجوم على المحلة
قبل كمال جيشها فبلغ ذلك السلطان فامر بادخال مضاربه كلها الى تونس
ونزل العرب سبخة باب خالد محاصرين للحضرة في اوائل شهر رمضان
فكان المولى السلطان يخرج اليهم باهل حضرته وجيوشه ويقاتلهم بالسبخة
بنفسه وظهرت منه شجاعة ودفع في نحر الاعداء ما يقصر عنه الوصف
الى ان انصرف عنه العرب خائبين بعد قتل كثير منهم . ولما بلغهم ان
اولاد مهلهل ومَن انضاف اليهم عزموا على لقائهم في نصرة امير المومنين افرجوا
عن تونس والتقوا معهم بالكرومة وخرج السلطان بمَن معه من الحضرة في
طلبهم فوقعت معركة عظيمة قتل فيها خلق كثير وفروا على وجوههم طالبين
النجاة . وكان صاحب بجاية الامير ابو الحسن ابن المولى الخليفة ابي

فارس عبد العزيز قد دعا لنفسه ببجاية وبويع بها لما بلغه موت الخليفة ابي عبد الله محمد المنتصر فلما انصرف اولاد ابي الليل من الحضرة خائبين وفدوا عليه واستدعوه الى الحضرة فاجابهم ونازل معهم قسنطينة فحاصرها وضيق عليها نحو شهر يغاديها القتال ويراوحها فوقف له قائدها نبيل وقاتله ومنعه عنها فرحل خائبا قاصدا للحضرة ومعه شيخ الزواودة عيسى بن محمد . وكان المولى السلطان خرج بمحلته للغائة ووفد عليه سباع بن محمد شيخ الزواودة فكان في جملته وقدم المولى السلطان بين يديه قائده محمود يحشد الحشود من الحنانشة وقرفة فورد عليه اصحاب الامير ابي الحسن فحملوه اليه فبايعه ووقف معه واشار عليه بمناجزة المولى السلطان الحرب قبل كمال عساكره وقبل قدوم العرب عليه وكان ابو النظر ابن القائد محمود بمحلة المولى الخليفة فلما سمع بما وقع لابيه فر ولحق به وامر الخليفة بالقبض على قائد بونة محمد ابن القائد محمود المذكور فاعتقل بالحضرة الى ان اطلق بعد حين . وسار المولى الخليفة بعساكره ومعه اولاد مهلهل ومن انضاف اليهم الى ان قرب من سراط فوفد عليه في مساء الليلة التي كانت المعركة صبيحتها شيخ حكيم سعيد بن احمد ومعه اتباعه من حكيم وبني علي وغيرهم فالتقى الجمعان بازاء وادي سراط بقرب تيفاش يوم الاربعاء الثاني والعشرين من ربيع الاول عام اربعين وثمانمائة واجتمع به ذلك اليوم بذلك الموضع عرب افريقية كلها فصفت الصفوف ووقف المولى الخليفة في وسطها فلما راى اصحاب الامير ابي الحسن كثرة ما وفد على الخليفة من الجيوش ندموا اذ لم يناجزوهم الحرب في امس ذلك اليوم ثم قووا عزائمهم وحملت ميمنتهم على ما يقابلها فهزمتهم ثم حملت ميسرتهم كذلك . حدث عن الشيخ الفقيه ابي العباس احمد الشماع قاضي المحلة حينئذ قال كنت واقفا في ذلك اليوم في موضع مرتفع فرايت امير المومنين لما راى ما نزل بميمنته وميسرته دفع باهل الحفيظة وجماعة الحفظيين وذوي الصدق في وجوه العدو ولم يبال بهضم جناحيه وقصد نحو الامير ابي الحسن فتفرقت فرق الفتح واهل الظفر وتفرقت

من الامير ابي الحسن اصحابه وقتل كثير منهم وكر اصحاب السلطان لما
راوا النصر من قبله فبقي الشرار من ضحوة النهار الى العصر وافلت الامير
ابو الحسن بفرسه طالبا نجاة نفسه واسلم محلته واصحابه فاخذهم النهب
وما ايقن هو بدخول بلد بجاية مع من خف من اصحابه فقفل السلطان
راجعا الى حضرته فدخلها منصورا ظافرا * وفي شهر رمضان من عام اربعين
المذكور وفد على المولى السلطان بحضرته وفد اولاد ابي الليل على غير تقدم
امان منه فقبض عليهم بسانية باردو وامر بتقييدهم وادخالهم الى القصبة واعتقلوا
بها وهم منصور بن خالد بن صولة بن خالد بن حمزة وطلحة بن محمد بن
منصور بن حمزة ومنصور بن ذويب بن احمد بن حمزة واتباعهم . ثم ان
السلطان خرج حركته من حضرته واعطى الجند عطياتهم وخرج بعساكره
قاصدا الى وطن بجاية فنزل مكوس في اواخر عام اربعين وقاتل به عبد الله
ابن عمر بن صخر شيخ بني سيلين ثم قفل راجعا الى حضرته فدخلها في اوائل
عام احد واربعين . وفي آخر يوم من ربيع الاول من عام احد واربعين هذا
توفي بتونس كاتب العلامة الفقيه ابو عبد الله محمد بن قاسم بن حجر ودفن
من الغد بدار الشيخ الصالح ابي زكرياء يحيى بن الدمان خارج باب السويقة
من تونس وحضر لدفنه المولى الخليفة ووجوه دولته فقدم بعده لكتابة
العلامة الفقيه ابو عبد الله محمد التواسي . وفي آخر العام المذكور فرغ من
البناء من مدرسة سوق الفلقة . وفي يوم خامس عشرين لذي القعدة من
العام المذكور توفي بتونس الشيخ الفقيه الحاج ابو القاسم البرزلي ودفن بجبل
الجلاز فتولى بعده الامامة بجامع الزيتونة والخطابة والفتيا بعد صلاة الجمعة
قاضي الجماعة حينئذ الشيخ الفقيه ابو القاسم القسنطيني وولي التدريس
بمدرسة ابن تافراجين الفقيه ابو البركات محمد بن محمد عرف بابن عصفور
وولي الخطابة بجامع التوفيق والفتيا به بعد قاضي الجماعة قاضي الانكحة
حينئذ الشيخ ابو حفص عمر القلجاني . وفي اواسط عام اثنين واربعين امر
الخليفة بالقبض على منفذه وصاحب قلم جبايته الفقيه ابي عبد الله محمد بن

قليل الهم وعلى ولديه ابي البركات ويونس وعلى صاحبه قايد باجة ابي الحسن علي بن مرزوق واخيه فقبض عليهم واعتقلوا بالقصبة واستصفيت اموالهم وقدم بعده للتنفيذ والجباية الفقيه ابو العباس احمد بن ابي اسحاق ابراهيم السليماني . وفي عصر يوم الخميس الرابع عشر لشعبان من العام المذكور توفي الشيخ الفقيه العلامة ابو عبد الله محمد بن مرزوق . وفي اوائل عام ثلثة واربعين اتى السلطان براس ابن صخر وهو عبد الله بن عمر السليني الى حضرة تونس ونصب بباب خالد . وفي رابع جمادى الاخرى من العام المذكور دخل السلطان بجاية بعد خروج الامير ابي الحسن فارا بنفسه منها وخرج اهلها للقائه فامن جميعهم في انفسهم واموالهم ثم عقد عليها لابن عمه الامير ابي محمد عبد المومن بن ابي العباس احمد وقفل راجعا الى الحضرة على ما امل فدخلها في رجب من العام المذكور . وفي اخر عام اربعة واربعين فرغ من بناء المدرسة المجاورة لسيدي محرز . وفي يوم الخميس الرابع عشر لربيع الاخر من عام خمسة واربعين توفي الفقيه المدرس ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغ وصلي عليه من الغد بعد صلاة الجمعة بالجامع الاعظم ودفن خارج البلد بطريق العباد وكان مدرسا بتلمسان وله تصانيف جليلة منها التوضيح في علم الفرايض من الواحد الصحيح استوفى فيه طريق القرشي بالكسور واستنبط فيها اشياء ظهرت له لم يسبق اليها ومنها اختصاره ومنها مقدمة في تفسير القرءان العظيم وخاتمة في ذلك وغير ذلك من تاليفه . وفي عام خمسة واربعين وثمانمائة بلغ المولى السلطان ان بلد نفطة قام بها رجل يعرف بابي زكرياء من فخذ بني الخلف من مشيختها واجتمع عليه الاوباش واغلق البلد في وجه النائب فخرج المولى الخليفة بجيوشه من حضرته قاصدا اليها وقدم بين يديه قائده ابا ابراهيم نبيل بعسكر معه فنزل البلد وحاصرها اياما ثم ورد عليه المولى الخليفة فاحاط بعساكره بها وضيق عليها الحصار الى ان دخلها بعد ان قتل منها خلق كثير وملكها في اواخر جمادى الاخرى من العام وانتهبت ديارهم واموالهم

وقبض على القائم بها واتى به الى المولى السلطان فامر به فقتل ثم قبض
على ابيه واتى به الى المولى السلطان فامر به فقتل في الحضرة ثم عقد
عليها لقائد من قبله وانصرف عنها راجعا الى حضرته فدخلها في اواخر
العام المذكور . وفي يوم الجمعة حادي عشرين من المحرم عام ستة واربعين
عمل مجلسا بالقصبة العلية بحضرة الخليفة من سبب مقالة نسبت الى
الشيخ الفقيه احمد القلجاني وحضر المجلس المذكور هو وشقيقه والشيخ الفقيه
القاضي ابو حفص عمر والشيخ الفقيه محمد بن عقاب والشيخ الفقيه عبد الله
البحيري ومفتي بجاية الفقيه منصور بن عثمان البجائي وكلم الخليفة في
القصبة الفقيه ابن عقاب المذكور فامر باعتقاله بجامع الجبيلة من القصبة
دون قيد فاعتقل نحو شهرين ثم اطلق . وفي يوم الاربعاء سابع عشر صفر
من العام المذكور ضرب قاضي الجماعة وامام جامع الزيتونة وخطيبه والمفتي
به الشيخ المفتي ابو القاسم القسنطيني بمغروس عند سلامه من صلاة الصبح
بالجامع المذكور وهو جالس على السجادة عند باب البهور حيث صلى بالناس
هنالك فقتل ضاربه في الحين تحت صومعة الجامع المذكور والتي خارج
المسجد ورفع القاضي المذكور الى داره وكتب وصيته وتوفي في الليلة القابلة
وصلي عليه بالغد بالجامع المذكور ودفن بالجلاز . وقدم لقضاء الجماعة بعده
والخطبة بجامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة الشيخ القاضي ابو
حفص عمر القلجاني وقدم للامامة بالجامع المذكور الفقيه محمد بن عمر المسراتي
القروي خطيب جامع القصبة وقدم للخطابة والفتيا بجامع التوفيق بعد
صلاة الجمعة به الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب وقدم لقضاء
الانكحة والتدريس بمدرسة الشماعين الفقيه ابو عبد الله محمد البحيري .
وفي اوائل عام ستة واربعين بلغ المولى السلطان ان محمد بن يحيى السيليني
المعروف بابن حجر اغتال صاحب بجاية الامير ابا محمد عبد المومن وقتله
فعقد عليها المولى الخليفة لاخيه الامير ابي محمد عبد الملك اخي عبد المومن
المذكور . وفي اوائل عام سبعة واربعين كان الوباء بتونس ونواحيها وفيه

مرض قاضي الجماعة الشيخ الفقيه ابو حفص عمر القلجاني وطال مرضه واتصل الى ان توفي ليلة الاربعاء الرابع والعشرين لشهر رمضان من العام المذكور وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل الجلاز بازاء قبر والده وكانت ولادته بباجة ليلة السبت الثانية لشوال من عام ثلثة وسبعين وسبعمائة فكان عمره اربعة وسبعين عاما غير سبعة ايام فولي بعده قضاء الجماعة والفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة به والخطابة بجامع القصبة الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن محمد بن عقاب والتدريس بمدرسة عنق الجمل ولده الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد والخطابة بجامع الزيتونة ابو عبد الله محمد المسراتي وقدم للخطابة بجامع التوفيق والفتيا به بعد صلاة الجمعة الفقيه القاضي ابو العباس احمد القلجاني . وفي ليلة الخميس الثاني لشوال من العام المذكور توفي الشيخ الصالح سيدي فتح الله بزاويته بمقربة من جبل الجلود ودفن من الغد . وفي ليلة السبت ثامن عشر صفر من عام ثمانية واربعين وثمانمائة توفي الشيخ الولي الصالح سيدي ابو الحسن علي الجبالي ودفن من الغد بجبل المرسى بطرف جبانته . وفي عام خمسين بلغ المولى الخليفة ان الامير ابا الحسن دخل بجاية على قائدها احمد بن بشير على حين غفلة فخرج المولى السلطان من حضرته بجيوشه وقصدها وقدم بين يديه القائد نبيل بعسكر معه فنزلها وفر منه الامير ابو الحسن ولحق بالجبال بعد اقامته بها عشرين يوما وملكها القائد المذكور وقدم عليها المولى الخليفة القائد محمد بن فرج وانصرف الى حضرته . وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال من العام المذكور توفي امام جامع الزيتونة وخطيبه الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد المسراتي ودفن من الغد بالجلاز فولي بعده الامامة والخطابة قاضي الجماعة حينئذ الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب وولي التدريس بعده بمدرسة التوفيق اخوه الفقيه ابو العباس احمد وكذلك ولي الخطابة بجامع القصبة . وفي حدود العام المذكور توفي الفقيه ابو عبد الله محمد بن قليل الهم بمرض اصابه بمكان اعتقاله من القصبة . وفي ذي

الحجة من عام خمسين المذكور فرغ من البناء من المدرسة الكائنة شرقي باب ينتجمي احد ابواب القصبة وهي التي احدث بناءها القائد نبيل ابو قطاية وقدم فيها مدرسا الفقيه الاجل ابا اسحاق ابراهيم الاخضري . وفي يوم السبت الثاني والعشرين للمحرم من عام احد وخمسين وثمانمائة قبض على المولى الامير ابي اسحاق ابراهيم اخي المولى الخليفة لابيه وعلى ولدي اخيه المولى الامير ابي الفضل واعتقلوا بالقصبة . وفي يوم الخميس ثاني عشر صفر من العام المذكور وقعت الزلزلة بتونس قرب الزوال . وفي ليلة الاثنين سابع عشر جمادى من العام المذكور توفي قاضي الجماعة بتونس الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب بعد صلاة العشاء الاخرى وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل المرسى بجبانة الشيخ سيدي ابي سعيد الباجي فولي بعده قضاء الجماعة والتدريس بمدرسة سوق الفلقة الشيخ الفقيه القاضي احمد القلجاني في يوم الثلثاء ثاني جمادى الاخرى واستقل حفيده احمد ابن شقيقه عبد الله بقضاء الجزيرة والتدريس بالمدرسة المجاورة لسيدي محرز بن خلف وقدم الفقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الوانشريسي للامامة والخطابة بجامع الزيتونة في ثالث المحرم فاتح عام اثنين وخمسين وثمانمائة وقدم الشيخ القاضي قاضي الانكحة بتونس الشيخ محمد البحيري للفتوى بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة في الثامن للمحرم المذكور فكان يخطب بجامع ابي محمد بربض باب السويقة الجمعة وياتي للفتوى بجامع الزيتونة . وفي عام اثنين وخمسين وثمانمائة امر السلطان ببناء الميضاة الكائنة على يسار الداخل لدرب ابن عبد السلام جوفي جامع الزيتونة فشرع في بنائها في شعبان من العام المذكور . وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة مكمل العام توفي بالديار المصرية قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر شارح كتاب البخاري وغيره كانت ولادته في شعبان من سنة ثلث وستين وسبعمائة كذا وجد بخطه رحمه الله تعالى وفي عصر يوم الاربعاء خامس ربيع الثاني

من عام ثلثة وخمسين توفي امام جامع الزيتونة وخطيبه الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الوانشريسي ودفن من الغد بالجلاز فقدم بعده خطيبا الشيخ عبد الله محمد البحيري يوم الجمعة سابع الشهر المذكور وقدم اماما الفقيه ابو الحسن اللحياني وخطيبا بجامع ابي محمد . وفي يوم الخميس سادس شعبان من العام المذكور خرج السلطان بمحلته من الحضرة ونزل الزعترية ثم ارتحل قاصدا تقرت وكان في اوائل دولته قام بها رجل من فخذ مشيختها اسمه يوسف بن حسن واحتوى عليها ومنع جبايتها لاشتغال الخليفة عنه بما هو اهم وبعد قطره ففي هذا العام رحل السلطان اليه وقدم بين يديه القائد نبيل بعسكر معه يزيد على الف فارس فحاصر البلد في ءاخر شوال من العام المذكور وقاتلها يومين ثم امر بقطع نخلها في اليوم الثالث واناب من فعل ذلك لما راى من مقاتلة اهلها له ووقوفهم مع شيخها يوسف المذكور ثم ان المولى السلطان قدم واحاط بالبلد في اليوم الرابع فدخل قائد باجة ابو شعيب مدين مع علج من علوجه من غير تقدم طلب فامر بهما يوسف المذكور فقتلا وامر المولى السلطان بالقتال وقطع النخل فلما راى يوسف ذلك وعلم انه لا قدرة له على الدفاع طلب الامان فامن في نفسه وخرج وطلب من السلطان ان يقبل منه مالا ويبقيه في بلده فانعم له بذلك فدفع له بعض المال ثم بدا له واغلق الباب ثم اقام بها ستة ايام فامر الخليفة بمعاودة الحصار والقتال فلما راى ذلك نزل من البلد وقصد المحلة لكمال ما كان تحدث به فقبض عليه بها يوم الخميس ثاني ذي القعدة من العام المذكور وملكت البلد واخذها النهب واحتوى المولى السلطان على ما جمعه يوسف المذكور وقدم في البلد قائدا من قبله ورحل عنها متوجها لحضرته ومعه يوسف المذكور وولده واخوه وعمه واهله معتقلين ودخل السلطان تونس يوم السبت ثالث عشرين ذي الحجة من العام المذكور وادخل يوسف المذكور ومن معه للحضرة بقيودهم على جمال تتهادى بهم وقدم على باجة قائدا وهو القائد نصر الله من احرار العلوج . وفي اوائل عام اربعة وخمسين وثمانمائة امر

الخليفة ببناء خزانة الكتب بجامع الزيتونة فبنيت بمقصورة الولي سيدي محرز بن خلف شرقي الجامع وفرغ منها في رجب من العام المذكور . وفيه بنيت زاوية عين الزميت قرب كاف غراب بين تونس وباجة وحبس عليها ما يقوم بها . وفي اوائل رجب من العلم المذكور فرغ من البناء من الميضاة المحدثة بدرب ابن عبد السلام ونزل السلطان اليها وراى بنيانها في يوم الاثنين ثامن رجب من العام المذكور . وفيه ايضا فرغ من البناء من زاوية الفندق بغابة شرك بين تونس والقيروان وحبس عليها ما يقوم بها . وفي اوائل ربيع الثاني من عام خمسة وخمسين وثمانمائة احدث بتونس خطبة ثامنة بجامع سيدي جعفر بالتبانين بربض باب السويقة . وفي يوم السبت الموفى عشرين لربيع الثاني المذكور عمل المولى السلطان عرس ولده المولى الهمام ولي عهد الخلافة ابي عبد الله محمد المسعود على ابنة عمه شقيق الخليفة المنتصر وبنى بها في الليلة القابلة واطعم في العرس المذكور بالقصبة اهل الحضرة من غرة ربيع الاول الى يوم البناء ثم اعطى قرب البناء لاهل ربض باب السويقة ستين راسا بقرا وستين قفيزا قمحا ومثل ذلك لاهل ربض باب الجزيرة . وفي جمادى الاولى من العام المذكور صرف قاضي قسنطينة الشيخ الفقيه محمد الزنديوي عن قضائها بعد ان بقي بها ستة عشر عاما وقدم عوضه قاضيا بها الفقيه ابو عبد الله محمد الغافقي . وفي اواخر الشهر المذكور قدم الفقيه ابو عبد الله محمد الزنديوي في جميع خطط الفقيه الغافقي المذكور بالحضرة وذلك التدريس بمدرسة المعرض والخطابة بجامع باب الجزيرة والفتيا به والقضاء ببلد باجة . وفي يوم الاثنين سادس شوال من عام خمسة وخمسين رحل السلطان من تونس مشرقا لبلد طرابلس يهدن اوطانها ويطلب جبايتها وانصرف راجعا للحضرة . وفي يوم عيد الاضحى مات الفقيه التواسي كاتب الاوامر الكريمة بقابس فانه كان تخلف بها لمرض اصابه ثم حمل بعد موته للحضرة ودفن بجبل الموسى وقدم بعده للكتابة الفقيه الناظم ابو علي عمر بن ابي العباس احمد بن قليل

اليهم . وفي العام المذكور توفي بتلمسان الشيخ المفتي العلامة ابو القاسم
العقباني . وفيه بنيت السقاية قرب المارستان من تونس . وفي اواسط جمادى
الاخرى من عام ستة وخمسين وثمانمائة صرف الفقيه احمد بن كحيل
من قضاء المحلة وعن الشهادة بالحضرة وقدم عوضه قاضيا بالمحلة الشيخ
ابو عبد الله محمد الزنديوي . وفي اوائل رجب من العام المذكور ورد الخبر
لتونس بان الامير ابا الحسن المذكور اجتمع عليه خلق كثير من وطن بجاية
وانه ضيق عليها واخذ بمخنقها فبعث السلطان عسكرا لنصرتها واعطى السلف
ورحل ثامن شعبان من العام المذكور بجيوشه مغربا وكان لمحمد بن سعيد
السيليني ابن عم قد استولى على وطنه واخرجه منه واعانه على ذلك
صاحب بجاية الامير عبد الملك فقدم بسكرة وطلب من قائدها ابي زيد
عبد الرحمن الكلاعي على ان يحسن لمن ياتيه من اهل وطن حمزة ليكون
ذلك سببا للاحتيال على الامير ابي الحسن فيامن فجاء من يحذره من اهل
وطن حمزة فصدق ذلك عنده احسان قائد بسكرة اليهم فخرج من عندهم
فارا بنفسه ولحق بابن صخر المذكور ونزل عند صهره سعيد بن عبد الرحمن
ابن عمر بن محمد بن سعيد المذكور فتحدث محمد بن سعيد مع احمد بن علي
من الزواودة ومع قائد قسنطينة ابي علي منصور المزوار فالتزم له القائد المذكور
الوفاء بجميع ما يطلب ان قبض عليه فلما خرج المولى السلطان بمحلته من
حضرته مغربا بعث ابن صخر المذكور الى قائد قسنطينة بان يكون قريبا
منه بعسكرة ففعل ثم ان ابن صخر اخبر ابن عمه سعيد بن عبد الرحمن
بما تحدث به من القبض على الامير ابي الحسن وطلب منه المساعدة
فعظم ذلك عليه ثم انه راى انه لا بد له من ذلك فاتفقا معا على القبض
عليه فاخذاه بمحاولة وطيرا بالخبر الى القائد ابي علي منصور المذكور
قائد قسنطينة فاتاهما بمن معه فامكناه منه ثم بعث القائد ولده عليا مع سعيد
ابن عبد الرحمن المذكور للسلطان فاخبراه بذلك فوجه شيخ الموحدين الشيخ
ابا عبد الله محمد بن ابي خالد مع القائد علي الواصل المذكور بعسكر فقدما

على القائد المذكور بموضع يعرف بايكجان يوم عيد الفطر فامكنهما من الامير ابي الحسن فارتحلا به مقيدا راكبا على بغلة ثم توقعا ان يفلته العرب من اسره قبل وصوله الى المولى السلطان فلما كانت ليلة الثالث من شوال امرا به فذبح بموضع بطرف السبخة ودفنت جثته هنالك وبعثا براسه الى السلطان مع البريد فقدم به عليه في الرابع لشوال المذكور وهو متوجه اليه فوضع بين يديه ثم نصب على قناة بالسوق حتى رءاه الناس وتحققوه ثم امر بدفنه فدفن هنالك . ثم رحل السلطان بمحلته قاصدا لبجاية وبعث لصاحبها ابن عمه الامير ابي محمد عبد الملك ليقدم مع كبار بلده للقائه ليجدد به عهدا فقدم وجوه البلد وتلكا هو عن القدوم فوجه اليه المولى السلطان قاضي المحلة وبعض الفقهاء والمرابطين فرغبوه في القدوم فقدم معهم في يوم الاثنين ثالث عشري شوال المذكور فوجد الخليفة ينتظر بابي بحاب بمقربة من جبل اولاد رحمة فبات ليلة بالمحلة ثم قبض عليه بها من الغد وقيد وعقد على بجاية للقائد منصور المذكور وصرفه اليها مع وجوه اهلها وانكفا راجعا بمحلته وعقد في طريقه على قسنطينة للقائد فارح ابن القائد منصور المذكور وصرفه اليها وسار متوجها لحضرته في يوم الاثنين موفي عشري ذي الحجة مكمل عام ستة وخمسين . وفي يوم الاثنين ثالث عشري ذي الحجة من العام المذكور قتل العامة وبعض خدام القائد نبيل حاكم بباب المنارة المكحول ونقبوا عراقبه وجروا شلوه في ازقة المدينة واحرقوه واشاعوا ان ذلك من امر الخليفة وكان ذلك اليوم الخليفة قد خرج للصيد فلما جاء بالعشي اخبر بذلك فانكره وامر بالقبض على من فعل ذلك فقبض على خمسة رجال منهم فذبحوا في الموضع الذي احرقوا القائد فيه على يسار باب الجديد . وفي حادي عشري ربيع الاول من عام سبعة وخمسين اخذ القائد نبيل ابو عطاية بالقصبة العلية وعلى اولاده الذين بالحضرة وعلى خدمة القائد عبد الله الصقلي فاعتقلوا كلهم بالقصبة وخرج في الحين الشيخ ابو الفضل بن ابي هلال بعسكر معه الى بلد بونة فقبض على قائدها ابي النصر ابن القائد

نبيل المذكور وعلى اصحابه فقدم بهم الى الحضرة فثقف ابو النصر بالحضرة واطلق اصحابه وعقد الخليفة في حين اخذ القائد نبيل على قفصة لابي محرز محفوظ وصرفه اليها وامره ان يامر صاحبها القائد فتوح بالانصراف الى بلد توزر ليقبض على صاحبها القائد ناصر رضيع القائد نبيل ففعل ذلك وقبض على ناصر المذكور وجيء به الى قفصة فثقفه بها هو وولده محمد الى ان اطلق بعد ذلك وتولى فتوح توزر . ثم ان المولى السلطان امر بجمع الاموال التي للقائد نبيل وولده ومن قبض عليه منهم فجمعت كلها من مكامن احتجابها وحصل فيها فيما قيل ما يزيد على عشرين قنطار ذهبا من العين وما يقارب ذلك قيمة من الجوهر والعقار والاثاث ولما كانت ليلة الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى من العام المذكور توفي القائد نبيل المذكور بمحبسه ودفن ليلا بالقصبة ثم اخرج ليلة الخميس رابع عشر الشهر المذكور وانزل الى المدرسة الكائنة شرقي باب ينتجمي احد ابواب القصبة فدفن بمقبرة كان اعدها لذلك حين بنائه لها . وفي جمادى الاولى المذكور وقع ابتداء الوباء بتونس فانتقل المولى السلطان من القصبة الى سانية باردو ثم انتقل منها الى سانية توزر . وفي ليلة السبت اول ليلة من جمادى الاخرى من عام سبعة وخمسين وثمانمائة صرف الشيخ ابو عبد الله محمد الزنديوي عن قضاء المحلة واعيد اليهما الفقيه احمد بن كحيل والي الشهادة بالحاضرة . وفي جمادى الاخرى ايضا اخذ السلطان المجاهد في سبيل الله ابو عبد الله محمد ابن السلطان عثمان ابن السلطان مراد التركي مدينة قسطنطينية العظمى قهرا واحتوى عليها وعلى جميع خزائنها بعد حصره لها اشد الحصار واسكنها المسلمين واقطعهم اياها . وفي رابع عشر شعبان من العام المذكور توفي بتونس الشيخ الفقيه محمد الرملي ودفن بالجلاز . وفي السادس عشر منه قدم الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الكماد ناظرا في الاشغال بالحضرة وقدم ابو عبد الله محمد بن عصفور شاهدا بالتنفيذ . وفي ثالث عشر شهر رمضان من العام المذكور اغمي على الشيخ سعيد بن احمد بوطن نفزاوة طن الولادة

انه توفي فانصرفوا قاصدين الى الحضرة لطلب المشيخة فوقع بين عامر واخيه مقاتلة في طريقهم جرح فيها محمد وتاخر وقدم اخوه عامر لتونس ومعه ولده واخوه عبد الله فامر السلطان بالقبض عليهم فاعتقلوا بتونس ثم قدم محمد فاكرمه وقدمه عوض ابيه ثم ورد الخبر ان الشيخ سعيد افاق فاطلق عامر ثم توفي الشيخ في ذي القعدة من العام فاستقل محمد بالمشيخة . وفي عاشر شوال من عام ثمانية وخمسين خرج المولى السلطان بمحلته مشرقا ثم رجع مغربا وجدد حركاته لسماعه ان المفسدين باطراف بجاية ضيقوا على قائدها ومنعوه التصرف فامر في طريقه بالقبض على الامير ابي بكر ابن الامير عبد المومن لسوال اهل بجاية عنه وقصدهم تقديمه لتقدم سالفته فيهم من ابيه وعمه فقبض عليه وهو متوجه من تونس الى المحلة بقرب ميلة وورد الى تونس ودخلها يوم الاربعاء سادس عشري جمادى الاخرى من عام تسعة وخمسين واعتقل بالقصبة هو ومن معه . وسار المولى السلطان الى ان وصل تاكورة فقدم عليه وجوه اهل بجاية وقد تنصلوا من اشرارها واخبروه بفرارهم فعزل عنها قائدها ابا علي منصور الزوار وعقد عليها لولده ابي فارس عبد العزيز وصرفه اليها في تاسع عشري جمادى الاخرى عام تسعة وخمسين المذكور وانصرف بمحلته قافلا الى الحضرة وعقد في طريقه للقائد فارح صاحب قسنطينة على بسكرة وتقرت واضافهما الى قسنطينة . وفي عشية يوم الاثنين خامس ذي القعدة من عام ثمانية وخمسين توفي بتونس الفقيه القاضي ابو عبد الله محمد البحيري ودفن من الغد بالجلاز . وفي ربيع الاول من العام المذكور توفي المولى المسعود اخو السلطان لابيه بمرض اصابه في المحلة في الجداري وحمل من الغد الى تونس فدفن بها . وفي اوائل رجب من العام المذكور قبض على اولاد الامير ابي الحسن وثقفوا بالقصبة . وفي يوم السبت خامس عشري رجب من العام المذكور بعث السلطان مزوارة سعيد الزريزر لقاضي الجماعة الشيخ ابي العباس احمد القلجاني بتونس فخيره بان يتولى خطابة جامع الزيتونة والفتيا به بعد

صلاة الجمعة عوض الشيخ البحيري ويترك القضاء او يبقى على خطبته خاصة فاستخار الله في ذلك وكتب براءة بخطه في السابع والعشرين من رجب باختيار الخطابة والفتيا واستعفائه عن قضاء الجماعة فاعفاه وكتب له بذلك في اوائل شعبان وكتب له المدرسة الشماعية بعد ان بقي يحكم بين الناس بتونس في قضاء الانكحة مع قضاء الجماعة من وقت استعفائه وذلك ازيد من ثمانية اشهر . وفي التاسع والعشرين من رجب المذكور امر السلطان الشيخ الفقيه ابا عبد الله محمد ابن الفقيه ابي حفص عمر القلجاني بالجلوس بمجنبة الهلال من جامع الزيتونة لثبوت عقد هلال شعبان على عادة قضاء الجماعة ففعل وكتب له بقضاء الجماعة والخطابة بجامع التوفيق في غرة شعبان المذكور ثم في تاسع شعبان كتب له بالفتيا بالقلم بجامع التوفيق بعد صلاة الجمعة . وفي غرة شعبان المذكور قدم الفقيه احمد القسنطيني قاضيا بانكحة تونس ومدرسا بالمنتصرية التي بسوق الفلقة . وفي الخامس منه قدم الفقيه ابو عبد الله محمد بن عصفور ناظرا في الاحباس بتونس ثم اضيف اليه بعد ذلك النظر في المحاسبة بالحضرة . وفي يوم السبت سابع عشر شعبان المذكور توفي المزوار بتونس سعيد الزريزز ودفن من الغد مجاورا دار الولي سيدي محرز بن خلف وحضر لدفنه السلطان وخواصه وقدم بعده ابو علي منصور المزوار . وفي ثاني ربيع الاول من عام ستين توفي الشيخ الحاج ابو اسحاق ابراهيم السليماني ودفن بازاء الشيخ الصالح ابي يحيى زكرياء وحضر لدفنه الخليفة واهل دولته وحضرته . وفي جمادى الاخرة خرج الفقيه احمد البنزرتي بهدية لصاحب فاس صحبة رسوله ابن سمعون . وفي حادي عشري رجب من العام المذكور توفي بتونس ابو الهادي اخو السلطان لابيه بمرض اصابه ودفن من الغد بازاء دار الولي سيدي محرز بن خلف . وفي اوائل شهر رجب ظهر بتونس النجم المسمى بابي الذوائب في الجهة الشرقية قبل طلوع الفجر وهو نجم له عمود نور متصل به ثم ظهر في ءاخر الشهر بعد غروب الشمس في الجهة

الغربية قال صاحب عجائب المخلوقات ظهوره يدل على امر سماوي يقع فوقع بتونس في الشهر المذكور ريح قلع كثيرا من شجر الغابة ثم وقع في اواسط شوال مطر ببَرَد قدر بيضة الدجاجة واكبر من ذلك . وفي حادي عشر المحرم من عام احد وستين وثمانمائة خرج المولى السلطان مسافرا بجيشه الى بلد طرابلس وبعث شيخ دولته الشيخ محمد بن ابي هلال صحبة القائد رضوان لعزل قائد البلد القائد ظافر وتقديم رضوان ففعل وقدم القائد ظافر باهله وولده لحضرة تونس . وفي ثامن عشري المحرم من العام المذكور توفي الشيخ ابو الحسن الجباس امام جامع الزيتونة وقدم عوضه اماما الفقيه احمد السراقي في اوائل صفر من العام المذكور وقدم عوضه خطيبا بجامع ابي محمد والفتيا به قاضي الانكحة الفقيه ابو العباس احمد القسنطيني . ولما قفل المولى السلطان الى الحضرة صرف الفقيه محمد بن عصفور عن النظر في الاحباس وفي بيت الحساب وقدم الفقيه محمد البيدموري ناظرا في الاحباس وعلي بن عباس في بيت الحساب . وفي اوائل صفر عام اثنين وستين قدم لتونس الفقيه احمد البنزرتي من مدينة فاس وقدم معه رسولان بهديتين احدهما من قبل صاحب فاس السلطان عبد الحق المريني والاخرى من قبل صاحب تلمسان احمد بن حمو الزناتي فانزلا في دارين عظيمتين واجريت لهما الارزاق الى ان قدم مولانا فادخلا عليه ومع كل واحد هديته فاكرمهما . وفي صفر من العام المذكور توفي بتونس محمد بن عصفور بمرض اصابه . وفي اوائل العام المذكور اصاب الناس بتونس غلاء في الطعام بلغ قفيز القمح اربعة دنانير ذهبا والشعير على الشطر من ذلك فشكى الناس قلة الطعام وغلاءه للسلطان فامر بان يخرج من المخزن في كل يوم ما يصنع منه الف خبزة وتفرق على الفقراء بتونس بباب ينتجمي فابتدي بتفريقها في ثالث ربيع الثاني ودام الى رجب حتى كثر الطعام الجديد ورخص ثمنه . وفي اواخر ذي القعدة من العام المذكور بعث السلطان هديتين احداهما لصاحب فاس والاخرى لصاحب تلمسان بصحبة رسوليهما ووجه مع هدية

تلمسان رسولا من قبله ابراهيم بن نصر بن غالية . وفي ثاني عشر ذي الحجة من العام المذكور خرج السلطان في محلته وانتهى الى تاورغة وقفل راجعا وعقد في رجوعه على طرابلس للقائد ابي النصر بن جاء الخير وصرفه اليها فدخلها في ربيع الثاني من عام ثلاثة وستين . وفي اواسط رجب من العام المذكور بلغ الخبر ان المولى عبد العزيز نازل محمد بن صخر بمكرس فقاتله واحتوى على زمائله وفر ابن صخر هزيما لطلب النجاة . وفي يوم الاحد عند غروب الشمس منه ثامن شعبان من العام المذكور توفي بتونس الشيخ الفقيه المفتي ابو العباس احمد القلجاني وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بالجلاز وحضر لدفنه السلطان ووجوه اهل دولته كان عمره اربعا وثمانين سنة . وفي تاسع عشر شعبان خرج السلطان بمحلته ونزل الزعترية وبعث في تلك الليلة بايقاف الفقيه احمد القسنطيني من جميع خططه من قضاء الانكحة والخطابة والفتيا والدعاء عقب ختم البخاري بالمضرب السعيد على عادة قضاة الانكحة . وفي صبح تلك الليلة تقدم الفقيه الامام احمد بن عمر المسراتي خطيبا بجامع الزيتونة وقدم قاضي الجماعة الفقيه محمد القلجاني خطيبا بجامع القصبة والفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة وقدم الفقيه محمد الزنديوي خطيبا بجامع التوفيق ومفتيا به ومدرسا بمدرسة الشماعين وقدم الفقيه ابو عبد الله محمد الغافقي خطيبا بجامع باب الجزيرة ومفتيا به ومدرسا بمدرسة ابن تافراجين وعزل عن قسنطينة . وفي سادس عشري شعبان بعث من المحلة تقديم ثمانية عدول على يد قاضي الجماعة . وفي اواخر شهر رمضان ورد الامر بان يخرج الفقيه محمد الجباس ليكتب له بقضاء قسنطينة فخرج وكتب له بذلك وانصرف . وفي اوائل ذي الحجة من العام المذكور ورد الامر من المحلة لقاضي الانكحة برجوعه لجميع خططه . وفي ليلة السبت ثالث ربيع الاول من عام اربعة وستين توفي النائب بتونس الشيخ المعظم ابن ابي هلال شيخ الموحدين وحاجب الخلافة العثمانية ودفن بدار الولي سيدي محرز بن خلف . ولما

خرج السلطان من حضرته سار الى وطن بجاية فاجتمع مع ولد صاحبها
المولى ابي فارس عبد العزيز فاخبره بما وقع له مع محمد بن سعيد و بفراره
بين يديه فبعث لمحمد بن سعيد بالامان صحبة ولده وولي عهده المولى
المسعود فقدم معه راغبا في الطاعة فاكرمه واتى به وبجميع اهله الى تونس
فاسكن بها واعطى ما يقوم به ثم ان المولى السلطان قفل راجعا الى وطن
قسنطينة فعزل القائد فارح وقدم القائد ظافر بن جاء الخير وصرفه اليها
في اول المحرم فاتح شهور عام اربعة وستين ٠ وفي اواخر شهر رمضان من
العام المذكور قدم السلطان القائد منصور المزوار قائدا بقفصة وصرفه اليها وقدم
بين يديه مزوارا عوضه ابا اسحاق ابراهيم بن احمد الفتوحي في اول
شوال ٠ وفي يوم الاحد ثاني عشري شوال من العام المذكور توفي قاضي
الانكحة بتونس الفقيه احمد القسنطيني وسنه احدى واربعون سنة وقدم بعده
لقضاء الانكحة الشيخ ابو عبد الله الزنديوي وقدم بعده خطيبا بجامع ابي
محمد من ربض باب السويقة ومفتيا به بعد صلاة الجمعة ومدرسا بالمنتصرية
وناظرا في الاحباس الفقيه ابو عبد الله محمد البيدموري ٠ وفي يوم الاربعاء
خامس جمادى الاخرة من عام خمسة وستين قتل الشيخ الصالح سيدي
احمد عسيلة بسبخة سيجوم ودفن بالجلاز قتله الرياحي مختبل العقل وقتله
العامة ٠ وفي شهر رجب من العام المذكور صرف الفقيه ابن احمد بن كحيل
عن قضاء المحلة والتدريس بزاوية باب البحر وقدم عوضه فيهما الفقيه
محمد الرصاع وقدم هو عدلا ومفتيا بالقلم ثم توفي الفقيه احمد بن كحيل المذكور
ءاخر ذي الحجة من العام المذكور ٠ وفي اواسط العام المذكور توفي بالقصبة
القائد ظافر وقدم عوضه القائد رمضان الشارب ثم صرف وقدم عوضه الحاج
عبد الرحمن الفتوحي في اوائل المحرم من عام ستة وستين ٠ وفي ربيع الاول
من العام المذكور ملك الامير محمد بن محمد بن ابي ثابت مدينة تلمسان
واخرج عنها صاحبها عم ابيه السلطان ابا العباس احمد بن ابي حمو فنزل
بالعباد ثم صرف الى الاندلس ولما سمع المولى السلطان بذلك جدد حركته

من حضرته وخرج بمحلته سابع شوال من عام ستة المذكور قاصدا تلمسان بجميع عرب افريقية فسار في جيوش عظيمة المدد مجهولة العدد الى ان قرب من قسنطينة فتوفي هناك شيخ الموحدين الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي هلال في ذي الحجة من العام المذكور وحمل الى حضرة تونس فدفن بدار الشيخ سيدي محرز بن خلف ليلة الحادي عشر لذي الحجة . ثم ان السلطان اجتاز في طريقه بقلعة حليمة اخدى قلاع جبل اوراس فاحاط بها بجيوشه الى ان اخذها قهرا وارهقهم عسرا ثم انصرف لجهة تلمسان ولما نزل بارض بني راشد وبقي بينه وبين تلمسان نحو يومين وفد عليه جميع عرب سويد بالاهل والولد وبنو يعقوب والزواودة من بني عبد الواد وبنو عامر راغبين في الطاعة فتقبلهم واحسن اليهم وفرق قواده في ارض تلمسان ففزعت الرعايا واتت بجبايات الاوطان وكان هذا في شهر نومبر العجمي فاخذتهم فيه ثلوج من اوله الى العشرين منه ثم عزم على الوصول الى تلمسان فقدم عليه الشيخ الورع الصالح ابو العباس احمد بن الحسن والفقيه العالم ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه ابي القاسم العقباني وابو الحسن علي بن حمو بن ابي تاشفين خال الامير محمد المذكور بعقد شهود على صاحب تلمسان بان جميع ما يفعلونه جائز عليه فترامو على المولى السلطان في الكف عن البلد على ان يلتزموا له بالبيعة عن صاحبها ويدخل تحت طاعته ونظره فقبل انابتهم ولم يحرم اجابتهم فعقدوا على انفسهم عقدا بالبيعة وانصرفوا الى بلدهم وقفل السلطان راجعا الى جهة تونس يوم الاربعاء سابع عشر صفر من عام سبعة وستين وعقد في طريقه على قسنطينة لحفيده ابي عبد الله محمد المنتصر ابن ولده ولي عهده المولى ابي عبد الله محمد المسعود وصرفه اليها في ربيع الثاني من العام وجعل بين يديه مزوارا القائد ابا علي منصور الصبان وقائدا في البلد القائد بشيرا وعزل القائد ظافر وصرف ايضا في طريقه محمد بن سعيد ابن صخر الى وطنه بجاية ودخل الحضرة يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الاولى من عام سبعة المذكور . ثم ان المولى السلطان لما استقر بحضرته

بعد وروده من تلمسان بلغه ان عرب افريقية اولاد مسكين واولاد يعقوب والشنانفة من اولاد مهلهل ومن انضاف اليهم اجتمعوا وتعاقدوا عليه ان لم يسعفهم في عوائدهم بالسكة القديمة ولم يف لهم بها وبغير ذلك من المطالب ناجزوه الحرب وشنوا الغارات في جميع بلاده فخرج بعساكره للقائهم في عاشر رجب من عام سبعة وستين المذكور وبعث لجميع اوطانه فاتته العساكر وقصد نحوهم فافرجوا بين يديه وعقد على مشيخة اولاد يعقوب للحاج محمد بن سعيد عوضا عن ابن اخيه سمير البعبو وعلى مشيخة اولاد يحيى للحاج جديد عوضا عن اخيه اسماعيل ولطاهر بن رحيم عوضا عن فارس بن علي من اولاد سلطان ولمالك بن منصور عوضا عن علي بن علي ابن علي الشيعي ولقاسم بن طالب العوني عوضا عن يحيى بن طالب فجعل على كل طائفة ممن خالفه رجلا منهم اما اخا للشيخ او عما او ابن عم واخذ اولادهم مراهين وبعثهم الى الحضرة وانزلوا بدار قرب القصبة واجريت عليهم النفقات ٠ وسار بالشيوخ الذين عقد لهم في طلب المخالفين الى ان وصل الى بلد نفطة والجاهم الى دخول الصحراء في زمن القيظ الشديد وكانت صائفة شديدة الحر جدا فهامت ابلهم وصارت تنفلت وتجيء للموارد حيث كانت ومن شدة حر هذه الصيفية ولهيبها ان النعلم كان يرد شريعة بياش بقفصة ويصطاده الناس هنالك الى ان هلكت ابلهم ونساوهم واولادهم جوعا وعطشا وحريقا في الصحراء فراوا ان لا بد لهم من الاياب والوفود على امير المومنين فوفدوا عليه واحدا بعد واحد طالبين عفوه فعفا عنهم على ان ليس لهم في المشيخة شيء وانما هي لمن عقد له ورجع السلطان بعد ان دخل نفطة وارتاح بها وكذلك توزر ودخل قفصة وارتاح بها هو وجيشه ودخل القصبة وتغدى بها مع بعض خواصه والقائد منصور قائدها واقف بين يديه يهنئه ويتلطف له ويتعطف وهو يتبسم له ودخل ايضا المولى الامير المسعود وتغدى بالسلام الفوقاني الشارف على الرحبة والقائد علي بين يديه وكان يوما عظيما راحة وهناء وكل امير في بستان متنزها وكذلك

القواد وغيرهم كل منهم في مكان على قدره وبعد راحته بها اياما رحل الى حضرته ظافرا مسرورا منصورا وكذلك جميع المسلمين . ولما قرب منها امر بالقبض على المشايخ فقبض على محمد بن سعيد وسمير بن عبد النبي وفارس ابن علي بن رحيم ونصر الزوادي واسماعيل بن ضراري هولاء كبراوهم بعد الاحتيال عليهم ونصب شبكة الخداع اليهم حتى دخلوا وسط المحلة واعطى كل شيخ منهم تظمينا لهم الف دينار ذهبا فبذلك اطمانوا و باتوا عند قواده فاصبحوا و بارجلهم الاساورة وهم مصفدون وكما تدينوا تدانوا وكفى الله الومنين شرهم وقبض ايضا على بقية المشايخ وقيدوا جميعا وادخلوا لتونس ركوبا على بغال وكان يوم دخولهم يوما كبيرا وسلهوا من العامة واخذوا للقصبة واعتقلوا بها ودخل السلطان حضرته في ثامن عشر ذي القعدة من العام المذكور . وفي اواخر شهر رمضان من عام سبعة توفي مفتي بجاية وعالمها الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد المشدالي . وفي اوائل المحرم فاتح عام ثمانية وستين قدم الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد السلاني ناظرا في بيت الحساب عوض الفقيه علي بن عباس ثم صرف في اواخر شهر رمضان من العام عينه وقدم الفقيه محمد بن الكماد بها وبدار الاشغال و بدار المختص ابراهيم بن عصفور . وفي اواسط المحرم المذكور مرض السلطان مرضا قويا اشرف منه وفرج الله عنه . وفي العشرين منه خرج احمد البنزرتي رسولا الى الاندلس فركب البحر في ثالث يوم من خروجه ووصل الى الاندلس فادى رسالته ورجع الى تونس في شعبان من عامه وقدم معه بهدية من قبل صاحب الاندلس من جملتها الختمة العظيمة الشان التي هي الان بالجامع الاعظم يقرا منها فيه كل يوم عند التوابيت . وفي ثاني صفر من العام المذكور توفي بتونس الشيخ الولي الصالح ابو العباس احمد بن عروس ودفن بزاويته حيث كان استقراره قرب جامع الزيتونة وكان له مشهد عظيم حضره اولاد الخليفة كلهم . وفي اواخر جمادى الاخرى من العام المذكور وردت لتونس هدية صاحب تلمسان السلطان محمد بن ثابت صحبة قاضيه الفقيه محمد

ابن احمد العقباني وصحبه رجل من بني عمه وصادف ذلك من الخليفة
فياقه من مرضه وزينت الاسواق كلها بتونس وكان فرح كثير . وفي اواسط
العام المذكور قدم القائد ظافر بن جاء الخير قائد الحضرة بتونس ونائبا بها
عند غيبة الخليفة كما كان الشيخ ابن ابي هلال . وفي شعبان من العام
المذكور اطلق الخليفة محمد بن سعيد المسكيني بعد اعطائه العهود والمواثيق
بانه لا يخالف على السلطان بوجه ولا يدخل في راي الاعراب . وفي ذي
القعدة بعث الخليفة هدية لصاحب تلمسان مكافاة لهديته صحبة اصحابه
الذين قدموا بها وبعث معهم محمد بن فرج العربي . وفي اواخر الشهر
المذكور امر السلطان بعمل القلاع بجامع الزيتونة يوم الجمعة ليقي الناس
من حر الشمس في زمن الصيف فعمل . وفي يوم الخميس التاسع عشر من
ذي الحجة خرج الخليفة بمحلة وترك بتونس نائبا القائد ظافر . وفي صفر
من عام تسعة وستين توفي الشيخ المرابط ابو حفص عمر الدكداكي بتونس
ودفن بجبل المرسى . وفي ثاني عشر صفر توفي الشيخ الصالح ابو العباس
احمد ابن الشيخ الصالح محمد بن ابي زيد بالمنستير ودفن بها . وفي اول عام
تسعة المذكور امر الخليفة بالقراءة بجامع الزيتونة قبل صلاة الصبح وقبل
صلاة الظهر والعصر بالختمة العظيمة الشان المهدية من الاندلس كما تقدم
ورتب لذلك اربعة من القراء اصواتهم حسنة . وفي يوم السبت سادس
عشري جمادى الاخرى دخل الخليفة تونس بمحلته بعد ان سار في بلاده
وهدن اوطانها . وفي اواخر شعبان من العام المذكور بلغ الخليفة ان نصر بن
صولة احد اشياخ الزواودة اوقع بالقائد منصور الصبان مزوار قسنطينة واخذ
بعض محلته فبعث السلطان ولده ولي عهده المولى ابا عبد الله محمد المسعود في
عسكر عظيم فاتاهم على حين غفلة فاوقع بهم وقيعة عظيمة واخذ ابلهم وفروا
بين يديه طالبين نجاة انفسهم فاقام بقسنطينة شهر رمضان كله ثم
انصرف في شوال قافلا الى الحضرة منصورا ظافرا فدخلها يوم خميس ثامن
عشر منه . وفي سابع عشري شهر رمضان من العام المذكور قام بمدينة فاس

مزوار الشرفاء بها محمد بن علي بن عمران الادريسي على السلطان عبد الحق
ابن السلطان ابي سعيد المريني وملك البلد وكان السلطان بمحلته خارج
البلد فلما سمع فر عنه اصحابه ورجع هو الى البلد في اناس قلائل فقبض
عليه وقتل صبرا وقتل من بالبلد من اليهود وقتل رئيس دولته هارون اليهودي
وسبب ذلك انه كان في ايدي بني وطاس كالمحجور عليه وهم يتولون امور
المملكة منذ سنين كثيرة ثم انه تحدث في الاستقلال ببني وطاس فاخذهم واخذ
اموالهم وفر باقيهم واستقل بامور مملكته وصار يباشر الاشياء بنفسه ويسافر
بمحلته واوقف بين يديه في ذلك هارون اليهودي يتولى امور المسلمين
بفاس ويحكم في المسلمين ويذلهم فوقع ذلك في الناس موقعا عظيما الى ان
خرج السلطان بمحلته ليهدن اوطانه وليضايق بني وطاس الذين اخذوا له
طنجة وتازا وغيرهما فتحدث الناس مع مزوار الشرفاء وقاموا على من بفاس
من اليهود فقتلوهم وتخوفوا من السلطان عبد الحق ومن هارون اليهودي
رئيس دولته فضبطوا البلد الى ان قدم عبد الحق عقب تلك الهيعة في قليل
من الناس فقبضوا عليه وعلى اليهودي وقتلوهما صبرا وبويع الشريف على
رضى من الناس واستقل بالخلافة وعادت الخلافة في فاس ادريسية كما
كانت وانقضت دولة بني مرين . وفي ثاني عشرين لذي الحجة من
العام المذكور خرج السلطان بمحلته وذلك في خامس عشر اغشت ونزل
بالزعترية وسار الى بلاد ريغ وهدم سور بلد نقرت لاجل فساد اهلها ومخالفتهم
لقواده والزمهم مالا عقوبة لهم فدفعوه ثم سار الى قرب وركلة فقدم فيها عاملا
واخذ منها ومن بلد مزاب مالا جليلا وانصرف قافلا الى حضرته فوفد عليه
في اثناء قفوله حفيده الامير المولى ابو عبد الله محمد المنتصر صاحب قسنطينة
فاكرم نزله وصرف من بين يديه القائد منصور الصبان لاجل ما وقع له
مع الزواودة واهل البلد واستقل المولى المنتصر بولاية قسنطينة وانصرف
اليها . وفي اثناء قفول الخليفة من بلاد ريغ فر من المحلة محمد بن سعيد
المسكيني ولحق بطرود وطلب منهم اجارته فخشوا وامتنعوا من ذلك الا طائفة

يسيرة منهم اجاروه الى ان لحق بمحمد بن سباع بن ابي يونس شيخ الزواودة فاجاره ومنعه ورجع الخليفة الى بلده فدخلها ثامن رجب من عام سبعين وثمانمائة . وفي اواخر ربيع الاول من عام سبعين توفي بقسنطينة قاضيها الفقيه الجباس ودفن بها وقدم عوضه قاضيا الفقيه ابو عبد الله محمد العلوسي . وفي اواسط العام المذكور وفد على امير المومنين بتونس اعراب تلمسان من بني عامر وسويد وغيرهم فعرفوه بسوء سيرة سلطانها ابن ابي ثابت الزناتي ونكثه للبيعة وإخراج قائد ليانة من قبل الخليفة و بعثه لمحمد بن سباع ومحمد بن سعيد بالهدايا ليكونا له عونا على الخليفة مهما قدم الى تلك المدينة وطلبوا منه الوصول الى تلك البلاد فاستخار الله عز وجل ونصب لهم سلطانا الامير ابا جميل زيان ابن السلطان عبد الواحد بن ابي حمو الزناتي وكتب له بذلك في اوائل شوال من العام المذكور واعطاه ما يحتاج اليه من الالة والاخبية والجيش والاموال وصرف صحبته قائدا على العسكر محمد بن فرح الجبائي وجعل التدبير والراي للشيخ الفقيه احمد البنزرتي وكتب الى المولى الامير عبد العزيز ولده بان يصحبه بمحلته الى تلمسان بخلال ما يلحق فخرج الامير ابو زيان من تونس في شوال ولحق ببجاية وخرج المولى السلطان على اثره عاشر ذي القعدة وسار بعساكره متوجها الى المغرب ففر بين يديه محمد بن سباع وصاحب محمد بن سعيد ومن انضاف اليهما ولحقا بالصحراء واجتاز الخليفة بجبل اوراس فاخذ بعض القلاع المتمنعة به واستباح اهل عسكره اموالهم ثم سار في الصحراء الى اوطان تلمسان ووردت عليه بيعة المرية ومليانة وتنس ووفد عليه اعراب ذلك الوطن فاكرم نزلهم واوفدهم وفرق قواده في الاوطان فاتت بالجبايات والضيافات وقدم بين يديه عسكر الحصار للبلد فنزل العسكر بساحتها في ربيع الاخر من عام احد وسبعين وخرج اليه خلق كثير من البلد خيلا ورجلا فقاتلوهم اشد قتال الى المغرب ومن الغد صبيحة يوم الخميس صبح الخليفة البلد بعساكره ونزل بالمنصورة قرب البلد وركب الى البلد فقاتلها اشد قتال وتحصنوا بالاسوار والمرابع والسهام ثم

قاتلهم اشد قتال ثم امر بهدم الاسوار وعاجلهم الليل قبل ملك البلد فرجعوا الى محلتهم عازمين على اخذ البلد في صبيحة تلك الليلة فاصابهم مطر كثير ففي صبيحة يوم السبت قدم الشيخ والقاضي وكبار البلد ورغبوا من السلطان العفو وكتبوا البيعة وشهدوا فيها وكتب فيها خطه ونصه شهد على نفسه عبد الله المتوكل عليه محمد لطف الله به ولا حول ولا قوة الّا بالله واعطى ابنته بكرا للمولى ابي زكرياء يحيى ابن المولى المسعود دون خطبة فقفل السلطان راجعا الى حضرة تونس في تاسع شعبان عام التاريخ . وفي ذي القعدة عام اثنين وسبعين ابتدا الوباء بتونس ولم يزل يتزايد الى شوال من عام ثلاثة وسبعين حتى بلغ الفا كل يوم ثم ارتفع في ذي الحجة مكمل العام . وفي الثامن والعشرين من صفر عام اربعة وسبعين دخل السلطان حضرته ونزل بسانية باردو فكانت غيبته سنة واحدة وثلاثة اشهر . وفي خامس جمادى الاولى من العام المذكور توفي قاضي الانكحة الفقيه محمد الزنديوي ودفن بجبل المرسى جوار سيدي ابي سعيد وتولى بعده ولده الفقيه ابو الحسن جميع وظائفه . وفي خامس عشر صفر عام خمسة وسبعين عزل الفقيه الزنديوي المذكور عن جميع الوظائف المذكورة فيه وقدم عوضه الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الرصاع وتولى قضاء المحلة عوضا عن الشيخ الرصاع الفقيه محمد القسنطيني . وفي ربيع الاخر من عام خمسة المذكور عزل الفقيه محمد البيدموري عن الاحباس بتونس وقدم عوضه الفقيه ابو البركات بن عصفور . وفي رجب من العام المذكور مرض الشيخ القاضي ابو عبد الله محمد القلجاني وقدم السلطان ابا عبد الله محمد الحسني بالنيابة عنه في الاحكام في اواسط شهر رمضان . وفي اواسط صفر من عام ستة وثمانين قدم الفقيه عبد الرحيم الحصيني نائبا عن قاضي الجماعة من سبب مكالمة وقعت بين النائب وولد القاضي افضت الى ان جلس كل واحد منهم يحكم بين الناس فوقع الخلاف . وفي العام المذكور اخذ النصارى طنجة واريلا من بلاد المغرب وملوكها . وفي يوم الجمعة سابع جمادى الاولى من عام تسعة وسبعين

مات بتونس الشيخ الفقيه العالم الكبير ابو اسحاق ابراهيم الاخضري ودفن بالجلاز . وفي اواسط العام المذكور فرغ البناء من السقاية الكائنة قرب الاسواق . وفي اول عام احد وثمانين ملك المسلمون مدينة سبتة من ايدي العدو على يد رجل شريف كان من عمارة . وفي اوائل ربيع الثاني من العام المذكور قدم الفقيه محمد البوني كاتب العلامة . وفي الشهر المذكور شرع في فسقية باب علاوة من تونس وجلب الماء اليها من هنشير حمزة . وفي اواسط المحرم من عام اثنين وثمانين وثمانمائة ورد على السلطان نصر بن صولة شيخ الزواودة طالبا للعفو فعفا عنه واكرمه وانصرف الى اهله بعد الاحسان

خديما * * * وبخط الناسخ ما نصه — انتهى

ما وجد بخط المولف رحمه الله تعالى

وكان الفراغ من نسخه يوم الخميس

ثامن عشر من شعبان

الاكرم عام ستة

وعشرين ومائة

* والف *

ذيـــل

لهـذا التـاريخ

يشتمل على

اسمـاء ملوك الدولتين

مع تاريخ ولاية كل واحد منهـم

وتاريخ وفاته وذكر

بعض مـآثرهم

لبسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

الدولة الموحدية

نسب المهدي هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ولد بهرغة سنة احدى وتسعين واربعمائة وبويع يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان عام خمسة عشر وخمسمائة وتوفي ليلة الاربعاء الثالث عشر من شهر رمضان ايضا من عام اربعة وعشرين وخمسمائة فكان ملكه تسعة اعوام غير ثلاثة ايام *

استخلف عبد المومن بن علي بن مخلوف بن يملا بن مروان بن نصر بن علي بن عامر ابن الامير ابي موسى بن عبد بن يحيى بن ورزايغ بن مظفور بن ينور بن مطماط بن هودج بن قيس بن عيلان بن مضر توفي ليلة الخميس عاشر جمادى الاخرى من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بتينمل بازاء الامام المهدي فكانت مدته ثلاثا وثلاثين سنة وثمانية اشهر وخمسة عشر يوما *

ثم بويع ولده ابو يعقوب يوسف بن عبد المومن في جمادى الاخرى من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفي مجاهدا اصابه نشاب في جوفه يوم السبت الثامن عشر لربيع الاخر سنة ثمانين وخمسمائة ودفن برياض الفتح فكانت خلافته احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام *

فخلفه ابو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي ازداد في العشر الاواخر من ذي الحجة سنة اربع وخمسين وخمسمائة وبويع بالمحلة بعد وفاة والده يوم الاحد تاسع عشر ربيع الاخر سنة ثمانين وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشري ربيع الاول من سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بمجلس سكناه من مراكش ثم نقل الى تينمل وقيل غير هذا فكانت خلافته اربعة عشر عاما واحد عشر شهرا واربعة ايام *

ثم بويع لابنه ابي عبد الله محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويع يوم وفاة والده في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة وتوفي يوم الثلثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة فكانت ولايته خمسة عشر عاما واربعة اشهر وتسعة عشر يوما *

ثم بويع لابي يعقوب يوسف المنتصر بن ابي عبد الله محمد بن يعقوب ابن يوسف بن عبد المومن بن علي بويع يوم وفاة ابيه وسنه عشرة اعوام وتوفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة سنة عشرين وستمائة سمه وزيره ابو سعيد فكانت خلافته عشر سنين واربعة اشهر ويومين *
ابو عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويع بعد وفاة يوسف المنتصر وخلع يوم السبت موفي عشرين شعبان من سنة احدى وعشرين فكانت خلافته ثمانية اشهر وتسعة ايام *

ابو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بعثت له البيعة بمرسية حين خلع الامين عبد الواحد في يوم السبت

موفى عشرين شعبان سنة احد وعشرين وقتل خنقا ثاني عشرين شوال سنة اربع وعشرين وستمائة فكانت خلافته ثلثة اعوام وثمانية اشهر وعشرة ايام *

ابـو يحيى زكرياء المعتصم بن ابي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويع في شوال سنة اربع وعشرين بمراكش ثم خلع من حينه وبعث البيعة الى المامون باشبيلية *

ابو العلاء ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن ابن علي بويع في شوال سنة اربع وعشرين وتوفي مسافرا يوم السبت عاشر ذي الحجة عام تسعة وعشرين وستمائة فكانت خلافته من حين بويع باشبيلة خمس سنين وثلاثة اشهر *

ابو محمد عبد الواحد الرشيد بن ابي العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويع يوم موت ابيه وتوفي غريقا في بعض جوابي القصر يوم الجمعة عاشر جمادى الاخر من سنة اربعين وستمائة فكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وعشرة ايام *

ابو الحسن علي السعيد بن ابي العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المومن بن علي بويع يوم وفاة اخيه يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرى من سنة اربعين وستمائة وقتل السعيد وولده في معركة مع بني عبد الواد ونهبوا محلته يوم الثلثاء منسلخ صفر سنة ست واربعين وستمائة فكانت خلافته خمسة اعوام وثمانية اشهر وعشرين يوما *

ابو حفص عمر المرتضى بن ابي ابراهيم اسحاق بن يوسف بن عبد المومن ابن علي دخل مراكش بعد ان كتب له البيعة واستقدموه من سلا في جمادى الاخرى من سنة ست واربعين ودخل مراكش وبقي بها الى ان اخرجوه منها يوم السبت ثاني عشري المحرم سنة خمس وستين وستمائة فكانت ولايته تسعة عشر عاما واربعة اشهر وثمانية ايام ودخل مراكش *

ابو العلاء ادريس الواثق بن محمد بن عمر بن عبد المومن بن علي شهر بابي دبوس دخل مراكش يوم السبت الثاني والعشرين المحرم من عام خمسة وستين وستمائة بعد خروج المرتضى منها ثم قتل واحتز راسه واخذ من بطنه بطينة مملوة جوهرا وياقوتا وزمردا وحملوا راسه والبطينة الى ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني في يوم الجمعة عند غروب الشمس ءاخر يوم من ذي الحجة من سنة سبع وستين وستمائة فكانت خلافته سنتين واحد عشر شهرا وثمانية ايام ولما بلغ خبر موته بايع الناس ولده عبد الواحد وخطب له جمعة واحدة من المحرم فزحف اليه ابو يوسف هاربا هو واخوانه وبنو عمه وجميع الموحدين فاخذهم النهب من ساعتهم من حين خرجوا من باب الكحل الى ان وصلوا الى الجبل وكانت مدته سبعة ايام وانقضت دولة عبد المومن ودخل الامير يعقوب بن عبد الحق مراكش في المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة فكانت الدولة المامونية مائة سنة واربعا واربعين سنة واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما والبقاء لله سبحانه وتعالى *

الدولة الحفصية

اولها الشيخ ابو محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي بن احمد بن ولال بن ادريس بن خالد بن الياس بن عمر بن وافتو بن محمد بن نحية بن كعب بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما عزم السلطان الناصر بن يعقوب المنصور على الانصراف من تونس بعد ان هدنها واقام بها حولا نظر ان يخلف عليها الشيخ عبد الواحد فامتنع فكلفه ذلك وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وستمائة وتوفي يوم الخميس غرة المحرم عام ثمانية عشر وستمائة بتونس ودفن بقصبتها بعد صلاة الصبح *

الامير ابو زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد دخل تونس بعد ان قبض على اخيه الامير عبد الله عبو يوم الاربعاء رابع عشري رجب من

سنة خمس وعشرين وستمائة ووجهه الى المغرب في البحر وكتب الامير ابو زكرياء الى جميع بلاد افريقية بخلع ابي العلاء المامون وبقي يستبد في امور اشغاله بالملك شيئا فشيئا الى سنة اربع وثلاثين بعد ان بويع بتونس سنة سبع وعشرين وكتب علامته بيده الشكر لله وحده توفي ليلة الجمعة ثاني عشري جمادى الاخرى من سنة سبع واربعين وستمائة بمحلته بظاهر بونة ودفن من الغد بجامع بونة وكانت ولادته بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمائة فكان عمره تسعا واربعين سنة وخلافته بتونس عشرين سنة وستة اشهر *

ابو عبد الله محمد المستنصر بن ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بويع على بونة يوم وفاة ابيه وجدد بتونس يوم الثلثاء ثالث رجب سنة سبع واربعين وستمائة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة وتسمى اولا بالامير وفي سنة خمسين تسمى بامير المومنين وتلقب بالمستنصر وفي سنة ست وستين رفع الحناية واوصلها الى ابي فهر ومات يوم عيد الاضحى من مرض متطاول عام خمسة وسبعين وستمائة فكانت خلافته ثمانية وعشرين عاما وخمسة اشهر واثنى عشر يوما وفي السنة المذكورة توفي صاحب مصر الملك الظاهر *

ابو زكرياء يحيى الواثق بن محمد بن يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ولد سنة سبع واربعين وستمائة وبويع ليلة موت ابيه ثم خلع نفسه وبايع لعمه ابي اسحاق وذلك يوم الاحد ثالث ربيع الثاني عام ثمانية وسبعين وستمائة فكانت خلافته سنتين وثلثة اشهر واثنين وعشرين يوما *

ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ولد سنة احدى وثلاثين وستمائة ودخل تونس يوم الثلثاء خامس ربيع الاخر سنة ثمان وسبعين وستمائة وجددت له البيعة وانتقل الواثق المخلوع الى دار الغوري بالكتبيين فسكن بها فبعد وشي به للسلطان ابي اسحاق

فطلعه هو وابناءه الفضل والطاهر والطيب وذبح جميعهم ليلا وفي المحرم عام احد وثمانين ظهر رجل عند ذباب تسمى بالفضل ابن السلطان الواثق وقام فاطاعته جميع عرب افريقية فبعث اليه السلطان ابو اسحاق ولده الامير ابا يحيى فبلغ قمودة فتملل عنه الناس فرجع الى تونس ووصل الدعي للقيروان فخرج السلطان ابو اسحاق بجيش عظيم في شوال فنهب بمنزل المحمدية فرجع الى تونس فاخرج نساءه واولاده ذاهبا الى قسنطينة فاغلقت في وجهه فزاد الى بجاية فمنعه ولده عبد العزيز الدخول اليها فخلع نفسه لولده فكانت خلافته بتونس من خلع الواثق الى فراره منها ثلاثة اعوام ونصف واثنين وعشرين يوما والله يقدر الليل والنهار *

احمد بن مرزوق بن عمارة الدعي ولد بمسيلة سنة اثنتين واربعين وستمائة وتربى ببجاية وفي يوم الثلاثاء ثاني جمادى الاولى من سنة ثلاث وثمانين وستمائة قتل الدعي قتله الامير ابو حفص عمر ابن المولى السلطان ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بويع له بتونس يوم الاربعاء خامس عشري ربيع الثاني من سنة ثلاث وثمانين وستمائة وتوفي بمرض اصابه يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة فكانت خلافته احد عشر عاما وثمانية اشهر غير يومين *

وتولى بعده السلطان ابو عبد الله محمد المستنصر ابن ابي زكرياء يحيى بن محمد بن ابي زكرياء يحيى بن الشيخ ابي محمد عبد الواحد المشهور بابي عصيدة بويع بتونس باشارة الشيخ المرجاني في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام ثلثة وتسعين وستمائة وتوفي بمرض الاستسقاء يوم الثلثاء ثالث عشر ربيع الاخر سنة تسع وسبعمائة ولم يخلف ابنا ذكرا فكانت خلافته اربعة عشر عاما وثلثة اشهر وسبعة عشر يوما وبويع بعده الشهيد *

السلطان ابو يحيى ابو بكر ابن عبد الرحمن ابن الامير ابي يحيى ابي بكر ابن الامير ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بويع له

بتونس يوم وفاة السلطان ابي عصيدة يوم الثلثاء عاشر ربيع الاخر من سنة تسع وسبعمائة وضربت عنقه شهيدا يوم الجمعة في السابع والعشرين من الشهر المذكور فكانت ولايته بتونس ستة عشر يوما *

السلطان ابو البقاء خالد بن ابي زكرياء يحيى ابن الامراء الراشدين بويع بتونس يوم قتل الشهيد يوم الجمعة سابع عشري ربيع الاخر من سنة تسع وسبعمائة وتلقب بالناصر ثم خلع نفسه لمرض كان به لا يقدر على الركوب وتوفي قتيلا بتونس في عام احد عشر وسبعمائة فكانت خلافته سنتين وثلثة عشر يوما *

الامير ابو يحيى زكرياء ابن الشيخ ابي العباس احمد ابن الشيخ ابي عبد الله محمد اللحياني ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بويع له البيعة العامة بمنزل المحمدية يوم الاحد ثاني رجب من سنة احدى عشرة وسبعمائة ثم لما راى اضطراب الاحوال وقيام العربان جمع الاموال وباع الذخائر التي بالقصبة حتى الكتب وارتحل لقابس اول عام سبعة عشر وسبعمائة وبايع الناس ولده الامير محمد ابي ضربة بخارج تونس في اواسط شعبان من العام المذكور فكانت الخطبة بينه وبين ابيه فكانت خلافته بتونس ستة اعوام وشهرا واحدا واربعة ايام *

الامير ابو عبد الله محمد المنتصر ابن الامير زكرياء ابن الشيخ احمد اللحياني ابن الشيخ محمد اللحياني ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بويع بتونس بعد خروج والده منها لقابس في منتصف شعبان من عام سبعة عشر وسبعمائة ثم انه خرج في جيش للقاء الامير ابي يحيى ابي بكر فهزمه وهرب للمهدية ثم ادرك وقتل في ربيع الاخر من سنة ثمان عشرة وسبعمائة فكانت خلافته بتونس سبعة اشهر وخمسة عشر يوما *

الامير ابو يحيى ابو بكر بن ابي زكرياء يحيى ابن السلطان ابي اسحاق

ابراهيم ابن الامير ابي زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ولد بقسنطينة في شعبان عام اثنين وتسعين وستمائة و بويع له يوم الخميس سابع وعشرين ربيع الاخر من عام ثمانية عشر وسبعمائة وتكررت له البيعة بتونس سبع مرات الاخيرة منها بعد خروج الامير عبد الواحد ابن السلطان ابي يحيى زكرياء بن اللحياني اخي الامير محمد ابي ضربة وذلك في ايام عيد الفطر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة واستوطن تونس وشرفها بأثارة وحسن سيرته وفي ليلة الاربعاء الثانية من رجب سنة سبع واربعين وسبعمائة توفي الملك ابو يحيى ابو بكر وعمرة خمسة وخمسون عاما غير شهر وخلافته تسع وعشرون سنة وعشرة اشهر وخمسة وعشرون يوما *

الامير ابو حفص عمر ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بويع بالخلافة يوم وفاة والده يوم الاربعاء ثاني رجب عام سبعة واربعين وسبعمائة فلما بلغ الخبر اخاه احمد ولي العهد وكان بقفصة رحل قاصدا تونس واجتمع عليه اخواه عبد العزيز وخالد صاحب سوسة والمهدية و بايعاه وكان السلطان عمر رحل بجيشه ونزل على باجة فصادف الامير احمد غرة فنزل براس الطابية و بايعه اهل تونس واطلق اخاه خالدا وتلقب بالمعتمد فرحل عمر من باجة وصبح تونس يوم السبت سادس عشر شهر رمضان المذكور وفرق خيله ورجله على ابواب المدينة وكسر الاقفال وفتحت له الابواب وقامت معه العامة فلم يجي وقت الضحى الا وقد استولى على جميع المدينة وقتل اخاه احمد ونصب راسه على قناة فبلغ ابا الحسن المريني فعل السلطان في نقض عهد والده وقتل اخوته فقصد تونس فوفد عليه عند قسنطينة عرب افريقية كلهم وهرب الامير عمر فبعث خلفه فادرك بقابس فقطع راسه وراس حاجبه ظافر فكان مقتله يوم الاربعاء سابع عشري جمادى الاولى من عام ثمانية واربعين وسبعمائة فكانت خلافته عشرة اشهر وخمسة وعشرين يوما منها سبعة لاخيه احمد ،

وملك تونس السلطان ابو الحسن بن ابي سعيد عثمان بن ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ثاني جمادى الاخرى من سنة ثمان واربعين وسبعمائة ودخلها معه الشيخ ابو محمد عبد الله بن تافراجين ولما استوثق به ملك افريقية منع العرب من البلاد التى ملكوها بالاقطاعات فتفاوضوا بينهم في ولاية الامير احمد بن ابي دبوس ثم ان الامير ابا الحسن نزل القيروان وحصر وفر لسوسة وركب البحر فوصل لتونس فحصرة العرب واداروا على سور المدينة خندقا واستقدموا السلطان الفضل من بونة وانتقضوا على المريني فخرج من تونس في البحر في اوائل شوال من عام خمسين وسبعمائة وعقد لابنه الفضل على تونس فوصل الخبر الى ابي العباس الفضل وهو بالجريد فنزل على تونس محاصرا لها واخرج ابن المريني على الامان ولحق بالجزائر بابيه فكانت مدة المريني بتونس سنتين واربعة اشهر ويومين •

وتولى ابو العباس الفضل ابن السلطان ابي يحيى ابي بكر في التاسع والعشرين من ذي القعدة عام خمسين وسبعمائة وتلقب بالمتوكل ثم خلع بحيلة من الشيخ بن تافراجين وعمر بن حمزة من اولاد ابي الليل في حادي عشري جمادى الاولى سنة احدى وخمسين وسبعمائة فكانت مدته بتونس خمسة اشهر واثنى عشر يوما ثم بويع بتونس لاخيه —

الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن السلطان ابي يحيى ابي بكر على يد الحاج عبد الله بن تافراجين بعد القبض على اخيه الفضل وهو يومئذ غلام مناهز وتوفي بليل فجاة السلطان ابراهيم في رجب من سنة سبعين وسبعمائة فكانت خلافته ثمانية عشر عاما وعشرة اشهر ونصف شهر وبايع الناس ولده — ابا البقاء خالد اخذ له البيعة على الناس حاجبه القائد منصور صبيحة موت ابيه وسار سيرة رديئة فخرج السلطان ابو العباس احمد من بجاية محاصرا لتونس وهرب السلطان ابو البقاء خالد فبعث في اثره واخذ وبعث الى قسنطينة في البحر فغرق فكانت مدته بتونس سنة واحدة وتسعة اشهر ونصفا •

وتولى امير المومنين ابو العباس احمد ابن الامير ابي عبد الله محمد ابن السلطان ابي يحيى ابي بكر بويع يوم القبض على الامير خالد يوم السبت ثامن عشر ربيع الثاني عام اثنين وسبعين وسبعمائة وكان حسن السيرة في البلاد والعباد وتوفي يوم الاربعاء ثالث شعبان سنة ست وتسعين وسبعمائة فكانت خلافته بتونس اربعة وعشرين عاما وثلاثة اشهر ونصفا *

وتولى السلطان ابو فارس عبد العزيز ابن السلطان ابي العباس احمد تزايد بقسنطينة سنة ثلاث وستين وسبعمائة وبويع له بتونس يوم وفاة والده على رضى من الناس يوم الاربعاء ثالث شعبان من سنة ست وتسعين صلحت به البلاد والعباد وتوفي يوم الاضحى من سنة سبع وثلاثين وثمانمائة فجاة بموضع يعرف بولجة السدرة ونقل الى تونس فدفن بازاء قبر والده بالتربة المجاورة لقبر سيدي محرز فكانت مدته بتونس وجميع افريقية احدى واربعين سنة واربعة اشهر وسبعة ايام *

وتولى بعده حفيده السلطان ابو عبد الله محمد المنتصر ابن الامير ابي عبد الله محمد المنصور ابن السلطان ابي فارس بويع بالمحلة على رضى من الناس وجددت له البيعة بتونس يوم عاشوراء من المحرم سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ثم رحل لتهدين الاوطان فمرض في الطريق فبعث لشقيقه الامير ابي عمرو عثمان فورد عليه من قسنطينة فعهد اليه وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشري صفر من عام تسعة وثلاثين وثمانمائة فكانت مدته سنة واحدة وشهرين واثني عشر يوما *

وتولى بعده السلطان ابو عمرو عثمان ابن الامير ابي عبد الله محمد المنصور ابن الامير ابي فارس عبد العزيز بن ابي العباس احمد المذكور انفا بويع بتونس يوم الجمعة ثاني عشري صفر من عام تسعة وثلاثين وثمانمائة وانصلحت به البلاد والعباد *

* انتهى *

